

# الْبَخِيلُ

الطبعة  
مكتبة مصير  
شارع كاسر سدقي - الجزائر

محمد بن الحاج

## ملخص كتاب الأبطال

لخصه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

ملخص المحاضرة الأولى " شهرس "

## البطل في صورة الله

موضوع هذا الكتاب هو الكلام عن عظماء الرجال - تاريخ عظماء الرجال هو التاريخ بمخلفه ١ - فائدة ذكرى العظماء - أهم ما في الفرد أو الأمة دينها - ما هو الدين ٢ - الوثنية وآراء العلماء ٤ - في كل دين عنصر من الحق ٥ - حقيقة الوثنية وكيف ابتدأت ٩ - عظمة الكون ٨ - في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد ١٠ - أكبر آيات الخلق هو الإنسان - كان الأقدمون أفهم منا لجلال هذا الكون ١٢ - معنى عبادة الأبطال ١٣ - ضلال منكرى البطولة ١٤ - عقيدة إجلال الأبطال فطرية في الإنسان - أبعد الإنسان من إجلال الأبطال هم الفرنسيون - والفرنسيون مع ذلك يقدسون فولتيرهم ١٦ - فضيلة إجلال الأبطال هي الصخرة الراسخة التي تجمع الدول من السقوط ١٧ - وثنية قدماء النرويج - جزيرة آيسلندة مقسرة تلك الوثنية ١٨ - أول من حوّن أخبار هذه الوثنية ١٩ - أول عواصم هذه الوثنية هو الإيمان بأن القوى الكونية هي أرواح كبيرة ملهشة مقدسة - فسرقي ما بين فطر المتوحشين الكائنات ونظفنا إياها اليوم ٢٠ - جوهر هذه الوثنية ٢٢ - رأى وثني الشمال في خلق الدنيا ٢٣ - تشبيههم الحياة بشجرة

وأنه لا يتقيد بالشفايد والعادات ٦٣ و ٦٤ - اختلاء النبي بنفسه واعتزاله الناس شهر رمضان ٦٤ - ابتداء البعثة - حقيقة الإسلام وكلمة حايته فيه ٦٥ و ٦٦ الوحي وجبرائيل ٦٦ و ٦٧ معنى كلمة محمد رسول الله - فضل السيرة عديجة التي هي أول من آمنت به ٦٧ - الدعوة إلى الإسلام وما لاقاه النبي في ذلك - المادة التي اجتمع فيها أربعون من أقرباء النبي وما أظهره علي من المروية والنجدة وفضل علي ٦٨ - استيلاء قريش من عمل النبي - إشارة أبي طالب على النبي بأخفاء دعوته وعزيمة النبي - استمرار النبي في تأدية الرسالة ووجوده الشدايد ٦٩ - تألب قريش على قتل النبي ومهرته بعد ذلك إلى المدينة ٧٠ - الرد على الطاعنين على نشر الإسلام بالسيف ٧١ - عدل الطبيعة ٧٢ - كان الإسلام خيراً من النصرانية في تلك الأوقات ٧٣ - إتيان الإسلام على وثنية العرب والمقائد الدائمة في تلك الأيام ٧٤ - القرآن وإعجازاه ٧٥ - من فضائل القرآن الإعلاص - الإعلاص منشأ الفضائل ٧٦ و ٧٧ - المعجزات في نظير الإسلام ٧٧ - الرد على متهمي الإسلام بشهوانيته ٧٩ - تواضع النبي وقشفه ٨٠ - مكرمت النبي - براعة النبي من التصنع والرياء ٨١ - ما كان النبي بهيأث - التلاصق بالحقائق من أظفح الجرائم - من علال الإسلام التسوية بين الناس ٨٢ - الزكاة في الإسلام - اللجنة والنار في نظير القرآن - الصيام في الإسلام ٨٣ - منزلة الإسلام في نفوس المسلمين - تأثير الإسلام في العرب وفضله عليهم ٨٥ .

٨٥ - تأثير البط ٢٥ - تأثير أودين في سم الشمال ٢٦ - ريخ أودين - رأى حور حين في أودين ٢٧ و ٢٨ - كل نعت كان في الأساطير - كيف صار نوصي بـ ٢٩ و ٣٠ - اختراع أودين حروف الهجاء - شعر ٣١ - إفرط - سم الشمال في حب أودين ٣٣ - إخلاص أمم الشمال في وثنيته ٣٤ - فرق بين وثنيته في الأول وفيما بعد - عقائدهم كما في الأدب - الشجاعة هي غصم أصول الشرايع ٣٥ - عرافات الأساطير ٣٥ .

## ملخص الخاضرة الثانية

البطل في صورة رسول

## محمّد - الإسلام

من أكثر العار القول إن محمداً كذاب - ومثل هذا القول نتيجة أهمال الكفر وغيث القلوب ٤٩ - الرجل الكاذب لا يستطيع أن يثنى بشياً من الطوب فكيف يوجد ديناً - على المرء أن يستر في جميع أمره طبق قوانين الطبيعة - محال أن يكون الرجل الكبير كاذباً ٥٠ - إخلاص الرجل الكبير ٥١ - كسلات الرجل العظيم ضرب من الوحى - المفوات لا تزرى بصدق الرجل العظيم ٥٢ - من أكثر المفوات أن يحسب المرء أنه يرى من المفوات ٥٣ - العرب وصفة جزيرة العرب - التدين - سفر أيوب كتب في بلاد العرب ٥٥ - المحر الأسود والكعبة - بئر زمزم ٥٦ و ٥٧ - مكة ٥٨ و ٥٩ - مولد عمده ( عليه السلام ) ٥٩ - نشأة النبي رقيام حمله وعمه بترينه وسفره للشام والتقاءه ببحر الأرهب ٥٩ و ٦٠ - أمية النبي ٦٠ - صدق النبي منذ فتائه - الاتسام الصادق والكاذب ٦١ - عينته الحادثة وقصته مع السيدة خديجة ٦٢ - إخلاص النبي وصدق نبوته وإنه كان نافذ البصيرة لا يتقيد بالاصطلاحات - من مزايا الرجل العظيم نظره من خلال الظواهر إلى البواطن

## ملخص المحاضرة الرابعة

(الطل في صورة قسيس)

لوتر - البروتستانتية - نوكس - البيوريتانية

من هو القسيس ؟ - القسيس الحقيقي ١ - كان لوتر ونوكس قسيسين مصلحين ٢ - كما أن العظماء يتبن الأديان كذلك قد يهدمونها وقد يكون المدم ضروريا ٣ - الإنسان سائر في حرج الرقي ٤ - فساد العقائد وتفتش الشك والإلحاد من أسباب إصلاح الأديان ٦ - معنى الوثنية وسبب مقاومتها الأتباء إياها ٨ - لوتر قس مقاومه مسألة الفسق وما شابهها ١٠ - من الخطأ الظن أن البروتستانتية حمت عبادة الأبطال والتقنة بزعماء الدين ١١ - البروتستانتية منشأ الملكية الصادقة - الرأي الشخصي في العبادة ليس أمراً حديداً في العالم ١٢ - ليست القوضي نتيجة البحث الحر ولكنها نتيجة الكذب وضعف الإيمان ١٣ - لا بأس على غير العظيم أن يعتقد رأي العظيم - مولد لوتر ١٤ - أبو لوتر - لوتر وهو تلميذ ١٥ - موت « الكسيس » صديق لوتر بالصاعقة وتأثير ذلك عليه ١٦ - لوتر وهو قسيس ١٧ - تأثير الإنجيل في نفس لوتر - رؤية لوتر مدينة رومة لأول مرة ١٨ - غواية البابوية إذ ذاك ١٩ - كان البابا يبيع الناس عفواً لله - تحكك أحد أتباع البابا بلوتر في قرينه ٢٠ - ثورة لوتر ضد البابا وكتابته رسالة يرد بها عليه - مقاومة البابا للوتر وأسر به أحرار كتاباته ٢١ - حتى لوتر على البابا وأحرقه لائحة البابا ٢٢ - كان لوتر قس مقاومه أضايل البابا كالأتباء في مقاومة الأصنام ٢٣ - حفلة ورمز وظهور لوتر هناك ٢٤ - تأثير دعوة لوتر في نهضة أوروبا ٢٥ - مما امتاز به لوتر توترته في وجه

## ملخص المحاضرة الثالثة

الطل في صورة شاعر

دانتي .. شاكسبير

العظيم يمكنه أن يكون عظيماً في كل فن ٨٧ - الفرق بين الشاعر والنبي - ويل الذين لا يفقهون السر إلا - هي الموجود في الكائنات ٨٩ - فضل الأتباء والشعراء على الناس ٩٠ - الفرق بين الشعر الحر والكلام الحر - حقيقة الشعر ٩٢ - لا يزال في الناس غريزة إحلال العظيم على الرغم من الشك والكفر والاستغفاف التفسفية في هذه العصور ٩٤ - إحلال الناس لدانتي وشاكسبير ٩٥ - غموض تاريخ دانتي - صورة دانتي ودلائنها على أخلاقه ٩٦ - مولد دانتي ونشأته ٩٧ - كل شعر لا يصلح أن يتغنى به فما هو شعر - الشعر الكاذب مؤلم ١٠٢ - الطبيعة لا تكشف أسرارها إلا للولوع بها وأحب لها الملخص - الحب الصادق أول مهاد إلى عجايا الحقائق ١٠٥ - حديث الفأدة فرانسيسكا وعاشقها ١٠٦ - من لم يعرف القسوة لا يعرف الرحمة ١٠٧ - فرق عظيم بين ما يخرج من أعماق النفس وبين ما يخرج من ظواهرها ١١٢ - العمل فسي صمت خير من العمل في حلية - قيمة كل امرئ ما يحسن ١١٤ - شاكسبير وعظمت ١١٥ - روايات شاكسبير ١١٧ - أصبح قياس لمقدار عقل الرجل ١١٨ - قيمة المرء بمقدار بصيرته - ما يجب على الشاعر الكاذب ١٢١ - أعمال المرء وأقواله دليل عليه - البصيرة مستحيلة الوجود بلا أثر ولا أخلاق ١٢٢ - الطبيعة والحقائق للخصيس الليم عظم - كان شاكسبير غير متعمد ١٢٣ شاكسبير للإكلير أفضل من الهند - ستهب الهند ولكن شاكسبير لا يلهب ١٢٧ .

لدين دون إرادة الدماء - ومن مزياه التسامح - ومن مزياه للشجاعة ٢٥ -  
 مدة مزايها للوثر ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ - وجه لوثر ودلائله على أخلاقه - آخر كلمة  
 لوثر ٣٠ - تشعب البروتستانتية ٣١ - رحلة القسيس تيندال إلى بلدة لوثر  
 وترجمته الإنجيل هناك ٣٢ - جامعا كامبرج واكسفورد في تلك الأوقات -  
 تأثير الإنجيل في أدب الإنكليز - الإنكليز قبل الإنجيل ٣٣ - تأثير الإنجيل في  
 أخلاق الإنجليز ٣٤ - البيوريتانية في أول أمرها وأخلاق البيوريتاني  
 ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ - البيوريتانية في أمريكا ٤٠ و ٤١ - تأثير البيوريتانية  
 في أسكوتلندة - نو كس في أسكوتلندة تاريخ نو كس ٤١ و ٤٢ - إخلاص  
 نو كس ٤٣ - شجاعته ٤٤ - نو كس مع الملكة ماري ٤٥ و ٤٦ -  
 التسامح الحقيقي ٤٧ - مذهب نو كس ٤٩ -

## ملخص المحاضرة الخامسة

« البطل في صورة كاتب »

جونسون - روسو - بارنز

الكاتب صنف جديد غريب من بطولة ٥١ - الكاتب صنفان جديد وديء  
 ٥٢ - طيمة الرجل الكاتب ٥٣ - أكبر كتاب القرن الثامن عشر هو جيتا ٥٤ -  
 كلامنا الآن عن أكبر أبطال القرن السالف جونسون وبارنز وروسو - الشكوى  
 من احتلال نظام المجتمع ٥٥ - مسألة الكاتب والكاتب أصل كل احتلال ٥٦ -  
 صناعة الكتابة لمعجب ما أبدع الإنسان - فضل الكاتب ٥٧ - منشأ الجامعات  
 ٥٨ و ٥٩ - الكاتب خير الجامعات الآن - الكاتب هم الكنيسة الفعالة في الأمم  
 - ما الأدب إلا جلاء لأسرار الله ٦١ - تأثير الأدب في الحكومة ٦٢ - الكتاب  
 أشرف نافع للفكر البشري ٦٣ - مع خطورة شأن الكتاب فإنهم في أسوأ حال

٦٤ - لا ضمير على الحر أن يكون فقيراً ٦٥ - كيف يعرف الكاتب الكبير  
 الذي يستحق المودة ٦٦ - من أسوأ الأحوال ترك الكتاب للصدف ٦٧ - جاء  
 الفوضى الكتابة أصل سائر الأمراض فداؤه تشفى المجتمع - في الصين يحاولون  
 اختيار ملوكهم من بين أدباؤهم ٦٨ - من أكبر الآفات الإلحاد والكفر - الإلحاد  
 في القرن الثامن عشر ٦٩ و ٧٠ - أصل الآفات الشك ٧١ - الكفر الخفض عند من  
 الشك ٧٢ - الإيمان نتيجة للفكر الصحيح - ليس الشك نفسه جريمة ٧٥ - مضار  
 الشك في كل شيء ٧٦ - كولي بالإنسان أن يهتم بأمه نفسه - وأحق الناس  
 بهذه النصيحة أولئك الذين يطوفون الأرض لإصلاح الناس ٧٨ و ٧٩ في أزمان  
 الكفر كان يعيش جونسون وبارنز وروسو ٧٩ - جونسون ٨١ - حكاية الحذاء  
 ٨٢ - تعاليم جونسون ٨٥ - كتابات جونسون - أسلوب جونسون فلموس  
 جونسون - العبرة بالمعاني دون الألفاظ ٨٦ - اللورد بوزيل صاحب جونسون  
 وأكبر مقدسه - الخلطة لا تذهب بإحلال الأبطال ٨٧ - روسو - الجلد والصبر  
 هما أول شروط البطولة ٨٨ - أخلاق روسو - قصة روسو مع السيدة جليز  
 ٨٩ - حديث روسو مع زاهره اليفي ٩٠ - مكانة روسو من الكتابة  
 ٩١ - إسافة العالم روسو ٩٢ - روبرت بارنز ٩٣ - والد بارنز ٩٤ - بارنز  
 وهو صبي ٩٦ - بارنز أكبر توابغ البريطان في القرن الثامن عشر  
 ٩٧ - حديث بارنز الساهر ٩٨ - ميواو وبارنز ٩٩ و ٩٨ الحكومة وبارنز - أهم  
 صفات بارنز الإخلاص ١٠٠ - إجلال الأبطال هو العزاء عن شغلهم ١٠١ -  
 وفلة بارنز على أذبح ١٠٢ - الشهرة ضياء يربك حقيقة الرجل ١٠٣ - ما عاتاه  
 بارنز ١٠٤ .

## ملخص المحاضرة السادسة

البطل في صورة ملك

كروموويل - فايسلون

الثورة في العصور الحديثة

### الثورة الإنكليزية

خلاصة أعمال المصنف الإنساني هو الاعتناء إلى اعتقال الرجال وتقليده للحكومة واعتلاله الخاضوع والطاعة ١٠٥ - اعتقال الرجال هو أيضا أكثرهم وأكرمهم ١٠٦ - الأمانى والأمال ١٠٦ - أصل كل فئة حصل غير لكفنه على رؤوس الأعمال ١٠٨ - موضوع حقوق الملوك للقدسة وبطلانه ١٠٩ - تفصيل حقوق الملوك ١٠٩ - الثورة الفرنسية حق وإن كان حقا ملتصقا في شروط المحجيم ١١١ - توارث الثورة الفرنسية وعدم احترامهم الأبطال ١١٤ - مذهب الحرية والسلوة ومعناه ١١٥ :

## المحاضرة الأولى

### «البطل في صورة إله»

نشأ يضفى وإياكم هذا المقام وتواليه للكلام شيئا عن عظماء الرجال ومظاهرهم على مراحح الحياة والأشكال التي تشكلوها في تاريخ البشر وآراء الناس فيهم ومآلات أحداثها من الأعمال - للكلام عن الأبطال وغنى استقبلتهم به أمانى أزمانهم وعما صنعوا هم من جلائل الأمور - ولعل هذا مبحث عريض لا اتى موفيه حق - مبحث لعمرو الله قصى الغاية يشق على نزع الخواطر مرماه ويقع وراء حجب الأوهام متناه. وما ظنكم بمبحث هو التاريخ بحدائقه إذ فى اعتقادى أن التاريخ العام - تاريخ ما أحدث الإنسان في هذا العالم - إنما هو تاريخ من ظهر في الدنيا من العظماء ، فهم الأمة وهم المكيّفون للأمر وهم الأسوة والقادة وهم المدعون لكل ما وفق إليه أهل الدنيا وكل ما بلغه العالم ، وكل ما تراه قائما في هذا الوجود كاملا متفقا فاعلم أنه نتيجة أفكار أولئك العظماء الذين اصطفاهم الله وأرسلهم إلى الناس ليؤدى كل ما ناطقه به القدرة الإلهية من تخير ، فروح تاريخ العالم إنما هو تاريخ أولئك العظماء ، وظنى أنه مبحث لن يسهه هذا المقام !

يبد أن من أسباب الغناء أن فى ذكرى العظماء كيفما كانت نفعها وفائدتها ، والرجال العظماء لا يزال بعد موته ينبوع نور يندلق ، فليس أحسن من مجاوتته شيء - نور يضئ ، وكان يضئ ظلمات الحياة وليس هو كسراج أشعل ولكنما نجم شبيهه يد الله بين أشباهه من مراكب الأفق ، هو كما قلت ينبوع نور يتدفق بالحكمة ومعاني الرجولة والشرف الكبير ، وهو الذى في شعاعه أنس الأرواح وروح النفوس ، وممتعة الخواطر. وليس في ظنى أن أحدا منكم يحسم بومة عن تلك الناهل العذبة كيفما كان طريق المورد. ويتبين أن نظرة فى

تواريخ الأبطال الشئى الصنوف الذين أنا أخذ الآن فى سرد سيرة هم جديرة أن تكون بمثابة نظرة فى مخ تاريخ البشر وصميم لبابه وما لمستغنى لو أستطيع فى مثل هذا العصر الذى ضعف فيه إجلال الرجل للرجل أن أفهمكم شيئا من معانى عظيمة الأبطال وجلالهم ، أى من معانى البطولة ، والبطولة فى مذهبي هى العروة المقدسة التى تقف ما بين الرجل العظيم وبين سائر الناس ، ما لمستغنى لو أتيت ل ذلك ولكن محاول وبأقل مجهودى.

لقد قيل - وصنفا ما قيل - إن أهم ما فى الرجل جهه - والأمة مثل الفرد فى ذلك - ولست أذهب بالنقطة الذين إلى النحلة التى يتخلها الفرد وللذهب الذى يتسبب إليه والقواعد الملية التى يمدنها ويشهد بها ، فقد ترى الرجل الذى ذلك شأنه يسفل إلى أدنى حضيض اللوم والخسة على الرغم من خسة ممسكه بقواعد الدين فهنا ما لا أسميه الدين ، هذه الإمرارات والاعتقادات أبعد ما تكون فى الحقيقة من الدين إذ هو اعتزاف والقرار لم يصدر إلا من ظواهر الرجل وبوادية - أعنى من ناحية اللسان والقوى الروحية - وذلك أقصى ما عنده . ولكن جوهر المسائل للرجل والأمر الذى عليه يرتب سائر الأمور هو ذلك الشئ الذى يعتقد حتى الاعتقاد ويوفق به كل اليقين ، فيما يتعلق بالرباط الجوهرية التى تربطه بهلما الكون الجسم الأسرار ، وفيما يتعلق بواجبه فى هذه الدار وظليته - ذلك هو دينه وربما كان إلهاده وكفروه - هو اعتقاده أنه متصل بعالم الإلهيات أو بلا عالم مطلقا - فإذا علت عن الرجل ذلك علمت أى رجل هو وأى شئ ، يجدر به أن يصنعه فى هذه الحياة ، لذلك كان أول سؤالنا عن الرجل أو الأمة ما ديانته أو ديانتهم . هل هى الوثنية أو تعدد الآلهة - أعنى تخيل سر الوجود تخيلا حسيا وعبادة القوى الطبيعية ؟ أم هى النصرانية والاعتقاد بعالم سرى حقيقى وتخلد الروح وارتماز الوقت على عالم الأبدية ، أعنى بذلك استبدال دولة الأسرار للقدسة التى هى أشرف وأسمى بلولة الوثنية وعواملها من قوى الطبيعة ؟ أم هى الشك والريبة ؟ هل هناك عالم مضمئ وسر مجهول لم لا ؟ بل ربما كان إلهادا محضا وكفرا ميتا . فنحنى أن الإجابة عن هذا السؤال هو إبطاؤنا روح تاريخ

الفرد أو الأمة إذ أن أعمال الأمة أو الفرد إنما هى جنات أفكارهم ، وما تحت ظواهر الآثار إلا من مستمر الضمائر . ومن ثم أقول : إن دين الأمة هو أهم ما لديها ، فحدها بنا فى هذه المحاضرات أن نجعل الوجهة الدينية من أنسطة وجوه البحث وأكبر أركانها ، فإنه متى أجدنا معرفة هذه روح الخلقاء عن كل شئ . وقد جعلنا أول أبطالنا « أودن » الرجل الذى كان يعبد قلماء السويد والترويج وكان قطب دائرة الوثنية فى تلك الأقطار ، ولننظر برهة إلى البطل فى صورة معبود وهو أقدم أشكال البطولة.

\*\*\*

حقا لقد كانت الوثنية شيئا من أعجب الأشياء لا يكاد يتصوره الوهم . وهل كانت إلا متكاثرات أضاليل وسفالات وأباطيل ؟ قد نبتت فى الحياة القارة فالتفت أعيانها واستأشبت أدغالها وعجمت على اكتشاف الحياة غواشى قباها ودواجى ظلالها ! عما لا يكاد يصدق به العقل أو يتصوره الوهم أن ناسا عقلاء إبطا صاين يعيشون عيشة كذلك ويعتقدون عقائد كهاتيك ، أعنى يعيشون رجلا منهم ! لا بل يعيشون الخشب المستند والأحجار وما إليها من أصناف الحيوان والجساد ، ويصورون لأنفسهم خليطا مشوشا من كل أضلولة وأبطولة فيخسبونه فلسفة الكون - أما والله ما أحسب كل هذا إلا حديث عرقة .

يبد أنه لا شك فى أنهم كانوا يأتون ذلك . كانوا وهم رجال مثلنا يعتقدون تلك الكفريات القذيمة المنكرة ويعتقدون إليها ويعيشون بها عجا أى عجب ! وخلق بنا أن تطرق مليا وتأمل والأسف ملء قلوبنا ما يوجد فى نفس الإنسان من أصباق الضلال وظلمات الجهل . فإن ما أشرت إليه من مستكر اللهشات قد كان فى الإنسان ولا يزال بل هو فى جميع الناس وفيها أيضا .

بين الجدلين جماعة ليس لديهم من القول فى الوثنية إلا كلمة واحدة ، إذ يقولون هى باطل وغش وإنه لم يؤمن بها عاقل قط وإنما هى أكلوبة لتفت لجناع أناس لا يصح أن يسموا عقلاء ! وأرى من الواجب علينا أن نلغ عن الآدميين وعن أعمالهم وتاريخهم أمثال هذا الحكم الجائر ، وإننى لأدفعه الآن عن



الوثنية وعن كل ديانة حاول أن يسو بها الإنسان دعواً ما في هذه الحياة. فلم يك دين قط إلا وفيه عنصر من الحق، ولو لا ذلك لما اتفقت أمة من الأمم ديناً ما - ولا ننكر أن الأخلاقيات والأخلاق تكثر في الأديان ولا سيما في عهودها المتأخرة إذ يتورها الرحمن والاضمحلال. ولكن الكذب ما كان قط للمسبب الأول للأديان - إنه ما كان قط للأديان حياة وقسوة بل كان داعياً ونذيراً أحاطوا - فاعلموا ذلك - أصلحكم الله - ولا تنسوه : فإني لأظن أن من شر السفسطة وأخص الباطل أن يقال إن ديناً من أديان الموحدين كان منشؤه الكذب ، فإن الكذب لا ينشأ عنه شيء قط وليس من شأنه أن يحدث ويولد ، وإنما من دأبه أن يفتي ما أصاب ويقتل كل شيء حتى لو حاولنا أن نخيض علماً بأمر ما فإنيته من ناحية أكاذيبه ، كان ذلك جديراً أن يحقق عنا حقيقة. وهي ما لا ينكشف لنا حتى تنفي تلك الأكاذيب البنية كأنها كمراس ومفاسد واجب على كل امرئ استئصال شأنها سواء من الأديان والأصناف والأعمال ، إذ أن - الإنسان - حينما كان - عدو الأكاذيب بل لأرى الحق حتى في وثنية أهل التبت ( من أقاليم الصين ) لقد ما دونه الجهاد الصادق النظر الصريح القول للستر « توتر » في حديث سفرته إلى تلك البلاد ، نجد أن هؤلاء المبتدئين عقيدة أن الله يرسل كل حين إلى الأرض بشراً يمثل ويمثل صورته وهو بمثابة اعتقادهم في بطريق أو بابا ، أو بمثابة اعتقادهم أن هنالك رجلاً هو أفضل الرجال فاطلة - وأن هذا الرجل يمكن الإهداء إلى معرفته من بين سائر القوم : فإنا أن الله يرسل في كل جيل رجلاً يمثل ، فهذا هو الحق الكائن في عقيدة هؤلاء ، وأما كون هذا الرجل يمكن معرفته من سائر الناس فهذا هو خطأ المذهب للذكور : وانسأوسة هذه الأمة طرق إلى اكتشاف الرجل الأفضل من بين سوفهم ليولوه زعامتهم - طرق وأيم الله عقيدة ولكنها ليست أحق من طريقتنا نحن إذ لا نقول تنوياً علينا الابن الأكبر من أسرة بعينها ( الأسرة الملوكية ) والأسفاه ... ولكن أرجع إلى ذكر الوثنية فأقول : إنه قد يرجى لنا أن نفهم معنى الوثنية متى سلمنا أولاً أنها كانت في حين من الأحيان ديناً صحيحاً في اعتقاد أهلها ، فلتوقن كل

اليقين أن الناس كانوا يؤمنون بوثنتهم حتى الإيمان ولم يكن بهم دخول ولا خروج ولا نوم ولا مرض ، بل كانوا مع ذلك أصحاب العقول والحواس أيقاظاً قد صورهم الله على صورنا وخلقهم كخلقنا لا فرق بينهم وبيننا بحال من الأحوال. لتوقن كذلك أننا لو كنا وحدنا معهم لأنما بما كانوا به يؤمنون ولكننا وهم سواسية في سائر الأشياء. وإن قد علمتم معنى ذلك فعليكم أن تسلكوني مادام كانت تلك الوثنية ؟

يقول آخرون من ذوي الجدل - وهو قول أوجه - إن منشأ الوثنية هو شعر الشعراء ، أعني أن الشعراء كانوا يرون آرائهم في الكون ثم يخرجون تلك الآراء والإحساسات في رموز من الأقاصيص وضروب من الخجاز والتشبيه بالأشخاص والحيوان والجماد جرياً على قانون أساسي من قوانين النفس البشرية ، وهو أن كل ما جرى في وجدان المرء من إحساس شهيد لا يرى بنا من إحصائه بواسطة النطق ، ومن رؤيته بخلا عيبيه في شيء منظور حتى كأنما هو شيء حتى ذو حقيقة تاريخية ولا شك في أن هنالك قانوناً كذلك وأنه من أرسخ قوانين النفس البشرية وأرأسها وأشدّها تأصلاً واستمكناً. ولا شك أيضاً في أنه قد كان لذلك القانون دخل عظيم وأثر قوي في أمر الوثنية. وإنني وإن شهدت بشيء من الصحة لتلك النظرية التي ترجع بأمر الوثنية كله أو حله إلى الرموز الشعرية ، لكنني لا أعددتها النظرية الصحيحة. وإنني أنشدكم الله : هل كنتم قط مؤمنين ومسترشدين في ظلمات الحياة بقصص ناظم وحيث شاعر ؟ أما وركم إن الأمر لأخطر من ذلك وأحل وأخو إلى الجدل منه إلى اللبس. إن أمر الحياة من أكبر الجدل وما أمر المات وما عساه يحدث بعد المات بلهو ولا عيشت ، بل إنه الجدل أمر من كل جد ، والحق أمر من كل حق.

فقد رأيت أن أولئك القائلين في الوثنية بأمر الرموز الشعرية وإن كانوا قد أخذوا في منهج الحق لكنهم لم يلبثوا الغاية. فالوثنية ولا شك رموز شعرية وتغلب بالرموز لا حصر في وجدان الناس وأذهانهم عن الكون ومظاهره ، وكذلك كل دين إنما هو رمز وتمثيل يختلف باختلاف تلك الآراء والإحساسات.



ولكنى أرى رأى هذه الفئة رأيا منعكوسا يقولهم عن النتيجة إنها السبب وعن الغاية إنها الأصل. فإن الناس ما كانوا ليحطوا بعمل الأقساميص الشعرية أول حاجهم وأكبرهمهم ، وإنما أكبرهمهم هو أن يعرفوا أى عقيدة يتحلون فى هذه الكائنات ، وأى سبيل يسلكون فى تلك الحياة. وماذا يرجون وماذا يخشون وماذا يأثرون وماذا يتركون. أإذا أخرج الشاعر قصة موقفة جعلها رمزاً لمعتقدات حيله ؟ أم تحسب أنها أقدم عهداً من تلك المعتقدات ؟ كلا بل كانت المعتقدات أولاً ثم أنشئت القصيدة رمزاً إليها ومثيلاً لها. فالمقيدة لجمال والشعر صورة ، والعقيدة حقيقة والشعر ظلها. ثم هو مهسا بلغ فى مراتب الجذب فزائما هو لعب وفكاهة وهو من عت الخاطر إذا قيس إلى تلك الحقيقة الراسمة فى النفوس التى يحارل به تمثيلها. فقصارى القول أن الرمز الشعرية هى نتيجة الحقيقة لامتسيتها ، فعليها إذن فى شأن الوثنية أن نبحث من أين جاءت هذه الحقيقة - وماذا كانت ؟

\*\*\*

تذكرون ما توهمه أفلاطون من أنه لو ولد إنسان فى حجرة فى جوف الأرض فتركه حتى بلغ أشده وكمل عقله ، ثم أخرج بفضة إلى ظاهى الأرض فلما شمس بارزة فى موكب الألائها. ماذا يبلغ به الغضب والابتهاش من منظر لا تروح نراه فلا يحرك فيها ساكناً ؟ ولكن ذلك الرجل يراه يعنى طفل قد برأهسا الله من شوائب أكدار الحياة فوؤيتهما فى متهى الصفاء ثم يراه كذلك بعقل ناضج. فليس عجيباً أن يرقص قلبه طرباً لذلك المنظر الباهر ثم يتخذ بعصره الشارب إلى ما أودع الله ذاك المشهد من روعة الجلال فيجر له ساجداً. فاعلموا معشر الإخوان أن أول رجل مفكر بين شعوب للتوحشين - أول إنسان بدأ يفكر إنما هو كذلك الإنسان الذى تخيله أفلاطون جامعا فى طبيعته بين الطفولة والرجولة. كذلك كان أول للفكرين من قبائل التوحشين ساجدا صريح الطبع كالطفل ، مع قوة الرجل وعصفه ، كانت الطبيعة أمامه بلا اسم ولم يكن قد حصص ذلك لتكون العديم النهاية وما به من شتى للناظر والأصوات والأشكال والحركات العالمة للعالم فى اسم مركب من ثلاثة أحرف ، كما فعلنا نحن حينما سميناها

« كونا » و « طبيعة » وما شاكل ذلك. ففلوينا جلالة العظيم فى إنشاء لفظ حقير. ولكن الرجل للتوحش كان كل شىء حديداً فى نظره لم يتفقه عنه حسب الأسماء والألقاب ، عاريا أمامه ساطعا لعينه مشرق الزروق سافر الحسن وضاء الجمال يجار فى كتههم وهم ويعجز عن وصفه اللسان. فثائر جلال الكون فى نفس ذلك الإنسان القديم للتوحش ( المفكر ) كثنائه فى نفس الشاعر أو الفيلسوف أو النبى فى المصور الأخرى. بلى أنها الإخوان إن للكون لو تدبر الإنسان واعتبر لموقعا فى النفس أى موقع ، وروعة فى القلب أى روعة. فلكم الأرض المفضراء ميسوطها وحالقتها وما بهتر عليها من ملثف النبات ومعشوشب البروض ، وتلكم الجمال الراسيات والأنهار الجاريات والبحار ذات البحر جصرة والضحيح والجلجلة والمعجيج ، وقبة الفلك الزرقاء تعزف فى أمواتها كل عصاة وهو جاء يخدم من السحب كل دحة وطفاء ، أنا تسبح بالديعة المدرار ، وأوتة يدفع الحريق وصواعق النار. ما هذا أنها الإخوان ؟ بلى ما هذه أما ظاهرا فقد عرف العالم عنه شيئا وأما الباطن فلا ورىكم ما عرف ولين يعرف. هنا سر عميق لا يفتح معه علم عالم ولا تجرمة كيمائى إنما أولى بالراء فى مثل هذا المقام الإذعان والحشوع ، وللجهل هنا لفيد من العلم ، وما يستفهمه التوحش الجاهل من جمال الطبيعة بشعوره ، أكثر مما يكسبه المتدبرين العالم بمخاطره وكيمائه. ماذا صنع العلماء فى أسرار الكون إلا أنهم زادوها غفاه واكتشاما بالباسها برقع من الأسماء والاصطلاحات ؟ هم يسمون البرق كهربا ، ويلقون الدروس والخاصرات فى ذلك ثم يولدون مثال هذا البرق من الزجاج والحريز. ولكن ما هو ذلك البرق ؟ وما الذى أحدثه ؟ ومن أين جاء ؟ وأياك يذهب ؟ لا أكذب الله قد أظهر العلم أشياء كثيرة ، ولكن بس ذلك العلم الذى يريد أن يحجب عنا جلال ذلك الكون الرابع الذى يتضاغل العلم فى حضرة ، ويذل لمزته وعظمتته ، ويظهر على جبهه المائل كبريته فى ههب الريح ، والحق يقال يا إسمائى إن هذا الكون على الرغم من العلم ودعواه لا يزال عصية للمصائب ومعجزة المعجزات.

عل كفى بالزمن معجزة - بذلك الشيء الفائق العد والحصر للكرم والبر  
 للكرم والكرم ، دأبنا يجرى ويتلف عملا ساكتا كيار البحر الزاخر  
 حيث نطق فوقه وسائر الكون كميالات تظهر ثم تغيب ، وأنفس لا تكاد  
 تصبر حتى تبيد . أما كفانا بذلك معجزة ؟ ليس ذلك حليماً أن يلحم الستة  
 فلا نطق ؟ وعافا نطق يا الله من هذا الكون المائل ؟ ماذا كان يستطيع للتوحش  
 القديم أن يفهم منه وماذا عسانا نحن نفهم منه ؟ ليس أقصى ما نستطيع أن نعلم  
 عنه أنه قوة مركبة من ألف قوة وأنه شيء ونحن شيء آخر ؟ هذا كل ما  
 يمكننا معرفته . الكون شيء ونحن شيء غيره قوة في قوة ، فحينما ألقيت  
 البصر قوة ، ونحن بين هذه القوى المختلفة قوة مجهولة خفية . وليست ورقة ملقاة  
 على ظهر الطريق تغنى بعد الذبول إلا وفيها قوة . وإلا فكيف كان يتأقن أنا أن  
 تغنى ؟ ولعمري ماذا يقول المحدث المفكر ( ولا إسماعيل والفتكر بختمان )  
 في هذه القوى الفعالة الدالة الخفية هنا لا تكل ولا تنى ولا تقتر ، ولا أول ما ولا  
 آخر ولا مبدأ ولا نهاية - ماذا يقول فيها إلا أنها معجزة راقية ، وقد يساعدا  
 عنها المؤمنون فيقول أحدهم لأخيه هي صنع الخالق اسم يحيى العلم بمتظاره  
 وآلاته فيجعل يخلقها ويديرها كأنها هي حجة مينة توضع في الزجاجات وتباع في  
 الحوانيت ولكن للعقل الإنساني السليم القطرة مازال يرى في هذا الكون شيئاً حياً  
 - شيئاً يحار فيه الذهن إلى متى المرجع ، أولى الأشياء بنا إزايه - مهما بلغ علمنا -  
 أن غنى الرأس له إسماعيل ونكسر البصر حشية ومهابة ونعيد إن لم يكن بالنطق  
 فيها الصمت !

وكذلك كان شأن الإنسان القديم التوحش إزاء هذا الكون الباهر فقد كانت  
 عين فؤاده نقية الرؤية حلية الإنسان لم تنفصها حجب الكبريات ولم تتراكم  
 أمامها سحب الاصطلاحات والعمليات فكان الكون في نظره إلهي النسبة بل  
 هو الإله ذاته أما تنظر إلى ذلك التوحش الغابر إذ يصف اليد والقلوات قد أضل  
 السبيل فإذا الكوكب الوقاد قد طلع له كأنه ماسة تلهب بالألاء أبهر عما يرى أهل  
 هذه المصور فيضئ فؤاد ذلك الضال كما يضيء له السبيل ويشرق في نواحي

نفسه كما يشرق في نواحي الأفق وكأنه مقلد في وجه السماء تنظر إليه من  
 أعماق الأبدية وتشرف له عن رواق السر القديم ونور اليقين ألا تقهقرون بعد ذلك  
 كله كيف كان التوحشون يعبدون النعم ويصرون ما نسميهم عباد الكواكب ؟  
 هذا هو ما أكرهه سر الوثنية أعني إقراط المعجب والانحلال من الشيء حتى  
 يصير تقديساً وعبادة وكذلك كان كل شيء في نظر أولئك الأقدمين رمزا إلى  
 شيء إلهي أو إلى إله .

وهل ينكر أن في فعل الأقدمين هذا عنصراً من الحق ؟ أفلو حققنا النظر له لما  
 كنا نصوره في كل نجم بل في كل زهرة - إلى أيها الظاهر ؟ نحن لا نريد الله الآن  
 على هذا النحو ، ولكن ألا يزال من مزايا الشاعر والدلائل على شاعريته أنه يرى  
 في كل مخلوق جمالا إلهيا ، وأن كل شيء صاغته يد الله إنما هو نافذة يشرف  
 منها على أعماق الأبد ؟ نحن نسمي من كان له نظرة على استجلاء غوليس  
 الجمال في كائنات الله شاعراً ومصوراً وثائفة وعبقرياً ، أقهل كان القدماء  
 التوحشون إلا كذلك ؟ ألم يكبروا والشعراء سواء في تعرف بدائع الخليفة ؟ وإن  
 لم ينطقوا بالقصيد ليس عملهم هذا أحسن على كل حال من عمل الرجل الجامد  
 البليد ومن عمل الحصان والجمال وما أدراك ما عملهم ؟ هو لا شيء !

وإذا كان كل ما نراه هو رمزا من رموز الخالق إذن فأكبر رموز الخالق  
 وأعظمها هو الإنسان ، إن جوهر النفس الإنسانية وذلك السر الكائن فينا الذي  
 يسمى نفسه « أنا » - والاعجابه ما أحرانا على صياغة الألفاظ لثمان تفسر  
 في سمعتها الآفاق - هذه النفس هي نفس من الله ، وكذلك الإنسان هو مظهر  
 الخالق في الأرض ليس هذا الجسم وهذه الحياة البشرية لباساً لتلك السر المجهول  
 الذي نسميه الله ؟ قال الصالح « توفيل » : ليس في طول الكون وعرضه إلا  
 معبد واحد وهذا هو جسم الإنسان وحفا لا شيء أقدم من هذه الذات  
 الشريفة ، وما الركوع بين أيدي الرجال إلا خشوع الذات الإلهية بادية في  
 صورة الإنسان ، فلما لمست جسم إنسان فقد وضعت يديك على عرش الله !  
 وهذا الكلام حتى لو تدبرتموه بالفكر الثاقب كيف لا ونحن القصة الكبرى ومسر

هى ذات أشرف الأبطال قاطبة - ذات من لا أنجيه ها ! بل أدع الصمت للقدس بغير ذلك الأمر للقدس

وإذا اخترنا من قمة الدين إلى منازل أحط وأدنى وحدنا فى جميعها من احوال الوضع للشريف وولاء الحق للتحليل ما يتأهل الإيمان فى الدين، إذ الإيمان إنما هو الولاء لى أو بطل مقدس، ومبدأ ترى ولأه الصغر لكبير الذى روح المجتمع إلا موعا من عبادة الأبطال ؟ عبادة الأبطال إذن هى أساس المجتمع، والترتب والفرج الذى يقوم عليه التماسك والتواصل هى ما يجوز أن نسميه « هيرواركى » أى حكومة الأبطال. فأهل المرح والرتب فى الأمة هم لها تماثية الأوراق للمالية كلها يمثل الذهب، وإن كان الكثير منها لسوء الحظ موزراً، فقد عطل الأوراق المالية وبعض بها وإن وحد بينها المروءة فأب أن تكون كلها موزرة بذلك ما لا يقام عليه ولا يحتل، إذن تنور النفس وتقوم الثارات ويصاح بالمتفرطة والحرية والمساواة وغيرها بدنى وحد النفس الأوراق كلها موزرة لا يبال بها من الذهب كثير ولا قليل، أخدمهم السياس مائتو يصيحون لا ذهب، ولم يكن قط ذهب، والحقيقة أن الذهب - وأعمى به عبادة البطل - موجود برغم كل شىء، فى كل دن وكل بقعة ولن يضى حتى ينسى لإنسان

هنا فى هذا العصر رأى باطل هو إنكار وجود الأبطال بل كراهة وجود الأبطال. أذكر لمعشر القاد بطلا - «الإمام» «بوشار» مثلاً فإذ هم قد انبروا بشو به - لا يأخذون فى إجلاله بل فى أحد مقامه، ويسمر لنفاس عنه رجلا عاديا صغيما ضئيلا ! ثم يقولون إن ما يسب إليه من العظمة هو مستعار من أحوال عصره وطروء وقته فالوقت هو الذى أحذنه وشهره، هو ليس الوقت وكل ما جرى على يديه هو من فعل الوقت لا فعله - هذا والله أفس وسخف، يقول القناد الوقت هو الذى أحدث ذاك المرحل ؟ وآسفاه ! لقد طاب صاحب الأوقات تآذى أن البطل ولا بطل أين العظمى ولا عظمى. تصرخ الأوقات يا للنفس مذهب ملائما صحيحة فى واد ونعمة فى رماد، وما ذاك إلا أن البطل أو النفس لم يكن وقت القنداء موحدا ولم يكن الله قد أرسله رحمة للعالم. وبعد أن

له الذى لا يبال - ولا طاقة لنا بفهمه ولا ندرى كيف تكلم فيه بيد أنه قد يمكننا أن نعلم ذلك عنه إن شئنا وحسبنا ذلك وكفى.

هذه حقائق كان الأقدمون أسرع إلى إدراكها منا نحن، نعم ! إن الأقدمين نزلت بك الذين كانوا يجمعون إلى صماء أنفس الأبطال عتق لأرواح الرجال الذين يحسبوا أنهم تنبؤ الأرض والسماء دراية وعرفوا كل شىء بمجرد وضع الأسماء والإصطلاحات ولكنهم كانوا بدلا من اللغو والمط فى شئان الكائنات ينظرون إليها رجها لوجه، والروح والإجلال حشو قلوبهم، أولئك كانوا أنفسهم لأيات الله فى كونه وأدرك لسر الله فى عييله، هم كانوا يعرفون - ولا يفس فى عقولهم - كيف يهدون العبيدة وأحس من ذلك عرفانهم كيف يهدون الإنسان ونفى بالعبادة كما قدمت الأفراد فى العجب والإجلال إلى ما لا نهاية له وذلك ما كان فى طافتهم إتيانه من سوابقات أفتدنتهم وعقولهم كأفر ما يكون وأرجح، وطلى أن عبادة الأبطال قد كانت أشرف أركان الوثنية وأكسرم عاصرها، وأن ملهيب الوثنية الذى شبهته بغاية ملتعة قد نبت من عدة جذور فكل إجلال لكوكب من الكواكب أو شىء من الكائنات كان كانه أحد جذور تلك العادة ولكن إجلال الأبطال هو أذهب تلك الجذور فى ثرى وانعمرها مادة وأخودها على سائر الجذور بالعناء الطيب.

وبذا كانت عبادة الحجم لم تغل من حكمة فما بالك بعبادة الطفل ! وعبادة البصلى هى كما قلت الأفراد فى إجلاله أفرادا لا حد له، ولا أحسب إلا أن الأبطال ما برحوا موضع إجلال الناس حتى فى هذه العصور زانه لم يجل فى صلب الإنسان معنى أشرف من إجلاله لم هو أعظم قلرا منه. ولست عمتلى - إن قلت إن هذا المعنى هو الأكثر المعال فى حياة الإنسان، أو قلت إنه الأسلمى الذى يقوم عليه الدين. لا أقصد الوثنية وحدها بل كل دين لأشرف وأصدق - كل دين كان إلى وقتنا هذا. وهل ترون معشر الإخوان فى دجنا التصرفية إلا أنها عبادة واتعاطب من صميم القلب وضراعة وخشوع لذات إنسانية عليه إلهية،

يخرج صوت الوقت ولا يجيب قنار أركانهم وينتهم بيتاته ويصمه الخراب والنلف ، لأن البطل لم يلمح كنهه حينما صاح يستجده !

والحقيقة أنه ما كان عصر من العصور ليخرب وتلف لو قد أتبع له رجل كبير يجمع بين العقل والتقوى - بين عقل يعرف به حكمة العصر ، وعزم بعضى به فى إلحاح العصر حاجته ، وفى هذين صلاح العصر وفلاحه . ولكنى أشبه العصور الصعبة الواقعة المصيبة بالكفر والبلاء والحيرة ، وأنهاها الشائكة العاجزة وأحوالها المخططة المصطربة بخوبى بها سائق الشقاء إلى غاية النلاف - أشبه كل هذا بحطب يابس ميت ينظر من السنداء شهابا يشعله ، وما الرجل العظيم مرسلًا من قوس الله يجيش فى صدره العزم ويعنى فى عزوه البلى إلا دأكم الشهاب ، وما كلمته إلا شقاء العدة والتمام ، بلرح ويختبئ الأهواء ومستتر العقائد ، ثم لا يهيب الحطبت حتى ينهب من كل جانب دراكده . ولكن المتقد يحسب أن الحطبت هو الذى أوجد ذلك الشهاب عنى لا سكر أن الحطبت كان فى شدة الحاجة إلى الشهاب ، فأب أنه أوجد الشهاب ! به الله من سعادة أولئك القناد وحققهم ! أما أنه ليس أدل عنى حقيقة امرئ ولاومه من عدم إيمانه بالعطاء ، ليس أدل على حكمة جيل من الأجيال وصعته من عهده عنى سور الله المقدس وإيمانه بهدب اليأس الميت هذا والله أقصى منتهى الكفر . إذ أن الرجل العظيم ما يرح فى كل أن مستقد حيله من وهدة البلوس والشهاب الذى لولاه ما شئت الدار من الحطبت ، وليس ناربح الدم إلا كما قلت مجموع سم أبطله .

أولئك القناد الأصاغر يبذلون الجهد فى ترويح سوق الكفر وشتر أعلام الصلال ، ولكنهم لا يملحون إذ مزال يظهر الرجل العظيم من آن إلى آن فيدومى بحقه باطلهم وباد هو راحق ، وإذا هم قد ظفروا من مذاهبهم فى مثل بيت الحكيموت أو كوهى ، ثم لن يستطيعوا مهما حارلوا أن يتفلسفوا من قلوب الناس عقيدة هى أن إحلال العطاء فطرية فى طبيعة الإنسان لا تزول مهما اعتورها من الفساد والرهق ، وإحلال العطاء بقى ما بقى الإنسان فالكاتب جونسون له من صديقه يوزعل أضرع مقدس وعجل ، على أنهما كانا فى القرن الثامن عشر أشد

العصور كغراً وفجوراً . ولأمة الفريسيون الكاهنة تزمى بفولتيرها وتظهر عاداتها لأبطال فى أغرب صورة حينما أمطروه بالأرهار حتى كاد يهرق بها ويختنق بها فحقاً إذا كانت النصرانية أعلى أنواع تقديس البطل فإن الفولتيرية من أسهل أنواعه ! فما أعجب أن يقع ذلك التقديس ولدت العبادة لرجل كانت حياته تقصر حياة المسيح وكاد شيطناً مريب . هذا مع أن أبعد الناس من معصية التقديس ولا إحلال هم فرسو هذا الجبل . وما طبع يقوم كداد الاستهزاء بكل شئ مذهبهم وشعارهم فليس فى نفوسهم موضع للإحلال والإكبار . ومع هذا دسّطروا كيف كان صنيعهم بفولتير . يدخل فولتير باريس عالياً من رجليه طويلاً شبيهاً فانياً متهدماً قد تجاوز الرابعة والثمانين ، فيحسون أنه نوع من الأبطال أمضى حياته فى عارية الضلال والطلم وكشف أمور المافقين من أرباب الناصب - إنه بالاحتصار عى جاهد جهاد الأبطال وإن لم يمسك فى ذلك إلا محطة غريبة . نعم إنهم يحسون أنه إذا كان الاستهزاء هو أكبر الأمور ، فولتير إذن هو أكبر الناس - هو الإمام الأعظم الذى يقفون أثره ويتعجبون منزلته ، فهو فى الحقيقة إلههم الذى لا يصلح إلا هم ولا يصلحون إلا له ، ولذلك عبده فرسا من الملكة ماري أنطوانيت إلى الخاروس الذى على باب « سالت دينيس » ، بل لقد جعل « الرجال من أول المرأة ولحاه يتكروون فى أرياء عذمة العنادق لتسهل لهم رؤيته ، ويصبح الفولتير يفرسه : استعدى أبها الفرس فذلك تسيرين بالمسيو فولتير ، وقد شبه أحد كتابه تلك مركبة تخزق بربر سراس مذنب ( نجم دى ذيل ) قد ملأ جميع الطرقات ديله ، ثم كادت السيدات يتسبفن لأحد شعرة من فروه لبقى لم تقور بها أثراً ظاهراً ، ودحراً شامساً . وم يكن بين سكان فرسا من شريف أو فاضل أو جمل إلا كاد يعتقد أن فولتير أشرف وأفضل وأجمل .

أجل إن البطل ما زال مصوغاً منذ « أردن » إلى « جونسون » ومن المسيح إلى أسقر قسيس فى كل مكان وزمان ، وسيكون ذلك ما دام الليل والقهار لأنه ما ما إلا من يشق الأبطال - يشقهم ويكلمهم وينبئهم ، كبارهم ، وهمل يتسنى الانحناء لغورهم ؟ بل ألا يحس المرء أن فى إحلاله لمن هو أرفع منه رتبة لمسه ؟

يشرب أمتها لرب البراكين ومن خواصها أنها تنقى بضعة من أشهر غمام مطوية في أجواف العواصف لسوء الإلأ كما مع ذلك في فصل الصيف لألاء جمال موحش فقر - وهي وسط الغياب الخضم تسمو صعدا مكفهرة الجيرة جهمة الطلعة تنمو بها لمح اللع كعاريق الشيب من الحامة الشمطاء وتور فيها البايح الحارة حتى تنمو مراحلها وتظهر ( شفاشقاها ) إلى غدران من سائل الكوبريت وكهوف بر كانية مطلبة كأكاما الجيرة آثار معزوك لتكايح جيوش احييد والار - في هذه الجزيرة وهي أبعد ما يرحى أن يكون به تاريخ مرقوم عثر العالرون على تاريخ الوثنية التي نحن بصدها وعلى شاطئ هذه الجزيرة القفر مستنق من تربة مشيبة قد تعيش فيها الأنعام والإنسان من صبر هاتيك اللحم ومما يجود به لهم وكأما كان ناس هذه المنطقة المخصصة قوما شعراء أعنى فوى صلبور جياشة بالمحامي والسنة بها ناطقة ، فكلمنا تأملت علمت أنه كان يفتونا شيء كثير لولم تبعت البراكين تلك الجزيرة من قمر المحيط ولم يعمرها طرقت الأكاسيات ! الحقيقة أن معظم شعراء الشمال القدماء كانوا من أمالي « إسلاندة » .

وكان بالجزيرة في أوائل أمر للسبحية قسيس نصراني يدعى « سيمند » لعله كان يرال برع به عرف إلى دنى آياته الوثنية فأحد يجمع عددا من أغانيهم القديمة - مما قد طال عليه تقدم فأسمى حوشيا مهجورا - وكان توحيديا صوفيها عليه مسحة دينية ، وهذه المجموعة هي ما يسميه أدباء الشمال الس « الأندز » أول « أدا » لشعرية وهي كلمة مشكوك في اشتقاقها ، لعل للرداد بها « السلف » وبعد قرن من ذلك جاء رجل من سادة الجزيرة يدعى « ستورو سولسون » وكان قد تلقى العلم من حفيد القسيس « سيمند » فكسب فيما كتب تاريخا حافلا لعقائد الوثنية وجعله نثرا مفصلا يشفور من النظم فعلاه كتابا بهلجا موقفا يربا من كل أثر لتعمل والكلفة وهو ما تسميه « عقو الخاطر » وهذا الكتاب هو للمسمى بال « أدا لثرية » بفضل هذين اللذين وشى أغاني غيرهما جنبا « إسلاندى » وبعض ما كتب عن جميعها من الشروح والخراسى بين « إسلاندى » وغير إسلاندى مما هو للآن مستمر في البلاد للشمالية قد

وحمل جمال في صدر المرء إحساس هو أشرف من ذلك وأقدس ؟ وأنه ليسرى ويشى نفسى أنه ليس في طائفة المسقسطة والاستهزاء والفجور والحدود أن تعذب من نفس الإنسان تلك العيرة العظيمة - عبادة الأبطال - هذا وإن أجيال الكثر التي تعقها الدهر والثورات تكون مملوكة بدلائل الاصحلال واللى والحراب ، وإنى لأرى في عريسة عبادة الأبطال الصخرة الراسحة التي تنقى الدول الساقطة في مهاويها فتسمها من الصباغ في أعماق الخراب - فبدأ انتهت السورة المشهورة إلى تلك الصخرة وقفت بها ريشا تهىء عسها لنهوض ، ثم تشوع ترقى وتصلد حتى تعود إلى أحسن مما كانت عليه . وهكذا يظهر لى أن عبادة الإنسان للظلم هي الصخرة الحية وسط كل مقوط وتدهور - هي النقطة الوحيدة الثابتة في التاريخ الثورى الحديث والإكاد هذا التاريخ كاسر لا يعرف عصفه قراره ولا تعرف سعته ضلعا .

كذلك أمد أن الوثنية ووجهها الحق وإن كان لها ظاهر مشوه . كيف لا والطبيعة ما زالت تظهر صنع الله وما زال البطل يجل . ومن هذا وذاك تألفت الوثنية وإن اتخذت من الأشكال والأوضاع المظفر والمكر ، وطى أن وثنية قدماء البروج أمتع لنا من كل ما عداها لأنها ( أولا ) آخر الوثنيات عهدا . إذ ما زالت مشهورة حتى القرن الحادى عشر . فعدا لما نفاة عام كان أهل الإسكاندينيا يعبون « أودين » ، ثم هي هامة لنا من حيث إنها دهانة آياتنا لولئك الذين ما برحت دماؤهم حارية في عروقتنا ولثني تشبههم في عدة وجره . ففصا أنها الإسموان أن يكون بين معتقدنا ذلك الخلاص .

( وبعد ) فسنق نظرة في عقائد أولئك القوم لجملة أسباب ، ولنعلم أن ذلك من الممكن ثم من السهل لأن تاريخ هذه العقائد قد قمر له الحفظ فسلم عسى تقبلات للدهور وغوائل الخلدان .

هي تلك الجزيرة المسحية للسمة « إسلاندة » التي يخر علماء طبقات الأرض أنه استارها زوال نارى من قمر البحر - وهي بقعة موحشة باب جرداء

استطيع أن تعرف بعض اليقين ونبصر تلك الوثنية وسها لوجه ولتسلس قبل كل شيء أنها دس باطل بل تأملها على أنها فكر قديم ثم ننظر أما يمكننا أن نتخلى لها وبرنامج إليها شيئا ما.

إن أول خواص هذه الوثنية في رأيي هو الإيمان الصريح بأن القوى الكونية هي أرواح كبيرة مدهشة رائعة مقدسة ، فذلك الأشياء التي تلقى فيها الآن علوم الطبيعة والملك والكيمياء كان هؤلاء القلاء القلاء يهندسون لرايتها ويركعون لها إجلالا ومهابة ، أختي أن ما نراه نحن العلم كانوا يرونه هم دينهم وعبادتهم ، كانوا يصورون من القوى الكونية الصلابة المعروفة جانبا ومسررة « جوتان » مخالف حساما شيئا غوا شع للصور لهم طابع الشياطين والأبالسة وخلص النار وروية البحر من هذه الجبان والمردة ، أما القوى الدافعة كعمرارة الشمس والنفس فهي آلهة وبين هذين الفريقين تنقسم دولة الكون وهذا يمشان مفردين كل فريق في حجة ثم لا تخمد فقط يههما نائرة الحرب ويسكن الآلهة الخلة ( اسخارد ) في السموات ويقطن للمردة في بقعة قضية مظلمة غراب امهما دار المردة « جوتهم ».

عجب كل هذا ، أنا لا أراه باطلا ولا عرقيا ، وكل من أصاب بالناظر الناقب ليايه وسيرة وسر عسبار الفحص عصفه وغوره كان رأيه فيه رأيي ، فتوة النار التي تخفى نحن ما بها من آية العجب في طي اسم كيماري تخطفه حجابها لروعة هولها ، كان القلاء يرونها عفرينا سريع للحركة تخفى اللهب من قبلة المردة « جوتان » . وكذلك حسب قبائل للتوحشين من جزائر « لادرون » . هكدا ذكر أسد رحالة الأسبان - النار وكانوا لم يروها قط من قبل ، بوعا من الشياطين أو صربا من الآلهة بمضيك إذا مسسته وبعش بأكل الخشب . وكذلك أرى أنه ما كان في قدرة أي كيمياء قط أن تخفى هنا ما بالنار من عجب لولا ما يعجبها من الحلق والمهابة - ما هي النار ؟ - أما للجليد فقد رآه كاهنهم القديم شيطانا فظيما أشيب الرأس واللحية وسائر الشعر - للارد « هوم » أو « رايم » ، وهي كلمة بطل استعمالها إلا في بعض أودية «سكونلاتند» وهكذا لم يكن

الجليد عندهم كما يراه الآن شيئا ميتا ، ولكنه شيطان حي نراه إد أسمم اللبس بسوق أفراسه البلق إلى كهف حيث يقبل عليهم بمشط شعورهم . وهذه الأفراس البلق هي سحب البرد ورياح الجليد ، أما بقوه فهي حلاصه النسخ ، ثم إن هذا الشيطان يضرب تلك الجلايد بعين عفرته فتعطر وتصلح .

ولم يكن الرعد يي تلك الأوقات مجرد كهرباء وإنما كان الإله « دوار » - ( تاندار ) (١) - إله الرعد ، وهو أيضا إله حرارة الشمس ذات الخير والبركة ، وإنما زجاجة الرعد هي غضبه وسخطه . وما اجتشاد السحاب السود وازدحامهم إلا تقليب حين ذلك الإله وكسر حاجبه . وما الصاعقة تنفض من السماء إلا السنن للامع يظهر من كده ، ثم هو يدفع عجلته للصعقة فوق قتل الجبال ، ملوئها وقمقماتها هو حلحلة الرعد وتراه من غضبه ينفخ في خيته الصهواء فليكن حفيف الريح قبل الإرعاد ، و« بولندار » الإله الأبيض الجميل العادل المنعم ( الذي وجد البشرى الأول أنه أشبه شيء بالسنيح ) هو إله الشمس ، أجمل الأشياء الطاهرة - وإحدى العجائب والأسرار رعب من جميع السكبين وعلم الملك ! ولكن أعظم الآلهة في طي هو ددث الذي عثر على أثره العام «الاشفتاني الألماني » « جريم » ، وهو إله « وش » أو « وش » (٢) - إله العطب الذي يعطيا كل ما يطلب ! ليس ذلك أخص دعاء الناس الإنسانية وأعظم أنصوات الفروح ، وإن لم تكن بعد دعاء مهديا وصوتا مقحبا . هذا أبسط آراء الإنسان وهو مع ذلك عصر جوهري في أحدث مذاهب الدين .

وأذكر من باقي الآلهة «آجور» إلهة الزوينة ، وذلك لأن الوثنية بهر «قرنت» (٣) ما برحوا الآن متى أبصروا الماء قد طما في حالة نكد - وهي حالة عطرة - صاحوا « حنرا فإن آجور قادم » . صعبا لهذا المظ قد بقي بعد زوال

(١) كلمة إنكليزية معناها « الرعد » .

(٢) كلمة إنكليزية معناها « طلب » .

(٣) نهر يانكلترا .



تلك القرون كان دينا طمعى عليها الماء ففرقت في عيابه إلا ذنابة قسمة ما يروحت  
بالصبار بادية ا وقد كان أسلاف هؤلاء الوثنية هي المصور العابرة يؤسرون  
بالإلله آخر ، وما ديك إلا لأن تلك القبائل الشمالية السائلة قد برت بيلادها  
قديما وضربت في أنسابها ، فلما مزيج من السكسوني واللاتيناريكي الشمال.  
ولا أرى بين أحد هذه الثلاثة والأخريين إلا فرقا سطحيا مثل ما أرى بين  
النصراني والمسلم والوثني.

وعن إليهم الأكبر « أودين » ستكلم قريبا إن شاء الله. ولكن اعزمو فيل  
ذلك ماذا كان جوهر الوثنية الاسكانديمية أو الشمالية : هو الإيمان بقوى الكون  
واعتبارها إلهية رائدة شخصية - أعنى آلهة وأبالسة ، ولعله قول معقول ومهموم.  
وكذلك كان العكر الإنساني في طفولته يفتح لرؤية الكون أمثال متشحا مشموس  
بالمحب وأهية ، وقد أرى في هذا الطام الوثني معنى حرا جريا شريفا وسندجة  
قوية لم تهدب جد تهديب ، محاللة برشاقة الوثنية اليونانية وحسنتها ، والحسنى يقال  
إن مذهب الوثنية الشمالية ما هو إلا فكر صريح قوى من العكر العميق الطمر ،  
يفتح في قلوب صحبة حدة لرؤية الكائنات رؤية وجه لوجه وقلب وقلب ،  
وهو أرن خصائص العكر لصحيح في كل آن. ملست ترى لندك الوثنية  
الشمالية ما كنت ترى لأختها اليونانية من الرقة واللعب ، إنما تبين فيها قوة  
ساذجة وحفا مألوفة وإخلاصا جم كبيرا. وإنه لمس العريب ن نهبط من صرح  
الوثنية اليونانية الديدع مصفوفة صوره ، مصوفة دمه ، هي «بندع نظام ، وأجمل  
مستق إلى بيوت الوثنية الشمالية ، تمزج في أمتها آلتها وتخسر البيد لتشر به مع  
« آجير » إله الروبة ، ثم يرسلون « نوراً » إله الرعد ليحصر المرحل من ديار  
الشياطين. ويذهب « نوراً » إلى تلك الديار ، وبعد الجهد الجهد يأخذ المرحل  
فيلبسه على رأسه ككلبسة ، وينقب راجعا وقد عاب تحت المرحل وبلغ المرحل  
مواقع قديمه ا وكذلك ترى لهذا النظام الوثني صخامة جوفاء وجسامة شوهاء ،  
وقوة هائلة إلا أنها لم تهدب ، فهي كقطط للارد كبير القدم مسيح الخطوة ،  
لكنها قدم عاترة وعطوة طائشة. فانظروا - أسلمحكم الله - ماذا كان رأيهم

في خلق الدنيا.

لما تجارب الجليل والفار حدثت ربيع حارة تكون منها ماردي اسمه « بيمر » ، ثم  
احتال الآلهة حتى قتلوا ذلك المارد وأخذوا جسده فمعلوه دنيا ، فأما دمه فذلك  
هو البحر ، وأما جسده فهو الأرض والصخور عظامه ، ثم جعلوا حاجبيه مسكنا  
لهم أعنى الجنة أو « أسخارد » ، وجعلوا جميعته قبة السماء ، وما بها من دماغ  
فهو السحاب ، فهذه استعارة طرفها في المشرق والأخر في المغرب وأصلها في  
الأرض وفرعها في السماء - آراء حسام ماردي هائلة ما زالت بها المصور تنهيه  
جبروتها ، وتتلل طليانها وتغول عن الطيمة المارديه إلى الصمة الإلهية ، والثانية  
أقوى ولا ريب من الأولى. ما رالت بها المصور حتى حوتنها إلى أفكار  
شاكسيريية ، ومعان لوثرية<sup>(١)</sup> ، فأزلعت الوثنيون القدماء هم آباء أديان مثلما هم  
آباء أجسام.

ويجسسى منهم كذلك تشبيههم الحياة بشجرة جذرها في مملكة الموت ، ثم  
يسمو ساقها صعدا إلى السماء فينش فزائب فروع على جميع أنحاء الكون ،  
وهذه هي شجرة الوجود. ويجلس عند أصلها في مملكة الموت ثلاثة أقضية (جمع  
قضاء) : الماضي والحاضر والمستقبل ، يروون جلتورهم من البير القدسة ثم يمد  
أفرعها وما يجرى بها من يراق وأرهار والممار ، وسقود أوراق وأرهار والممار.  
ويكنى بهذه عن الجوادث والحن وصروف الزمن وتقديت الحلال . محمد أفرعها  
بكل هذه الأمور في جميع الأمكنة والأزمان. أليست كل ورقة من أوراق هذه  
الشجرة ترجمة إنسان ، وكل عيط من عيط تلك الورقة كلمة أو فعة ؟ وأفرعها  
تواريخ الأمم ، وروساها صوت الحياة صادرا عن الأبد إلى الأبد. فإذا تنفس في  
علاها النسيم تنك زفرات القلب الإنساني ، وإن صاححت بين أفتانها الماصفة  
مذاك صوت الآلهة. هذه شجرة الوجود . هي الماضي والحاضر والمستقبل . ما  
كان وما يكون وما سيكون . تصرف فعل « يكون » تصرفا لا نهاية له ، فإذا

(١) نسبة إلى لوتر ركن الذهب الوثنيستاني .

ونحسب أن مثل هذا الرجل كان موجوداً في أمة الشمال وهو الذي كانوا يدعونه الإله أودين - وكان لهم أستاذاً وإماماً في أصولهم الروحية والجنائية ، ويطلا كثيراً لا تقدر قبضته ، أوطأ إجلال الناس به حتى صدر عباده ، ولا جرم فإنه أهل لذلك ، أما كان أودين قصة الطبق بالمكر بالحيل ، ومصائب أخرى كانت إذ ذاك من المعصيات ، فما لهم لا يشكرون آلايه من حيات قلوبهم ، أما حسر لهم لمر هذا الكون ، وعرفهم ماد يجب عليهم في هذه الدار وماذا ينتظرون في الدار الآخرة ؟ وانطلق الوجود وأحصى الحياة ! فهو منشئ الوثنية الشمالية. وأكبر طغى أن أودين هذا أول مفكر من أمة الشمال كيما كان اسمه ، كان ولا شك رجلاً يعيش بين الرجال ، وهو ما كاد ينشر رأيه في الكون حتى ناز في جميع الأذهان مثل رأيه تماماً ، فكأنما كان مكتوباً على صحائف الأذهان بالحبر الملطى ، فما هو إلا أن فاه بكلمته حتى انكشف غطاء الحبر فظهر واستبان وكنتك ما زال قلوب الرجال المفكر على العالم هو الحادثة الكبرى لم سائر الحوادث !

ثم لا ننسى شيئاً آخر أحسب أن فيه بعض البيان لمشكلات تاريخ الوثنية الشمالية لك « أهـ » وذلك أنها ليست نظاماً فكرياً واحداً متماسكاً ولكنها مجموعة نظمات شتى الأصول والأزمان ، ولئن يعرف الناس قط لتاريخ هذه النظمات وكيف تتقلب من صورة إلى صورة بما أدخله عليها مفكر بعد مفكر ، إلى أن ليست الطبيعة التي تراها لها في كتابك لك « أدا » كلا ولئن يعرف ما صعب « أودين » نفسه وماداً عسى أن يعرف من الأبناء عن « أودين » ، بل أنى يعرف عنه أبناء وكيف يكون له تاريخ . وعجيب أن يكون « أودين » هذا بكسائه الوحشي ولحيته الوحشية ومقلته الرقادة الوحشية ولحيته الحشنة الشمالية بشراً مثلاً تناله آخر الدنيا وأفراسها ، ويعشى على مثل أرجلنا وأقدامنا عجيب أن يكون مثلاً حنوك القدة بالقدرة ثم يكون قد أنى كل هاتيك للمعشيات والعرايب ! ولكن هذه المراقب قد بادت وبساد الصنيع إلا اسمه أودين : إذ أن لفظة

( الأبطال )

أسمه معشر الإخوت كيف أن جميع الأعمال البشرية تتسلسل وتتصل ، وليس واحد منها إلا واحد بعض الآخر متداخلاً فيه . وكيف أن الكلمة التي ألقها حيث اليوم مسعارة من جميع العالم مد جوت أول لفظة على لسان أول مكتمل بد تسلم كل ذلك رأيت أن لا تشبيه قط أصدق من تشبيه الشجرة هذا مع ما أجبه وما أجله إذا قسموه باستمارة أهل هذا العصر التي تشبه الوجود فكفة « مكية الوجود » ، بل أرى تشبيه الأقدمي أشرف من أن يقاس بتشبيه الناحرين وأهل ١ حقاً إن مذهب أودينك الوثني الشماليين لعجيب محالف لما يعتقد غير في الطبيعة ، فمن أين أتى ؟ من أفكار كولونيك الشماليين ولا سيما من فكر أول رجل شمال وهو الله قوة المكر - أول شمال داهمة عقرى كما يسعى أن يسميه ١ وكم فبر هذا الرجل قد عاش في العالم من رجال غير ذوي فكر ، ثم يدك منهم إزاء هذا الكون الرابع مقابل إلا للعجب الأبهم كالذي يخسه الخوان ، أو العجب المنفوخ بالسؤال والبحث للعجب الكاد يغير طائل كالذي ينشر به الإنسان ، حتى أتى الرجل للفكر الكبير - الرجل المعسرى الذي يوقد فكره الأكار في جميع الأذهان ، وكنتك شأن للمفكر أو النص الرحامي فإن ما يقوله قد كان كامناً في نفوس العامة وكفراً بحسوته ويطهفون على أن يطلقوا به ولكن لا سبيل ، فما هو إلا أن يطلق ذلك البطل حتى تنور جميع الأفكار من مكانها كأنما هبت من رقاد طويل ، فتجوب الدعوة أشرع إجابة فرحة به فرح الساري بالصباح . ولا غرو فإنما هو خروج من المدم إلى الوجود - من اللوت إلى الحياة - فيا سقى الله عهد ذلك الرجل الكبير فإنه جليل أن يسمى شاعراً وكبيراً وعقرباً وما شاكل ذلك ، وإن حسبه أهل عصره ساحراً وصاحب معجزات ومسدى آياد وآلاء ونيا وإله ١ والفكر متى أتيث قل بنام بعد مبعثه أنها ، بل يعود معدن أفكار تصدر عنه طائفة بعد طائفة ، وتزكو غرسه في رجل بعد رجل وجيل بعد جيل حتى يمتد كماله ، فإذا بلغه لم يكن لمة بحال للنساء ، وإنما يقلع ذلك الغرس ويخل مكانه لنوره .

« أدوين »<sup>(١)</sup> أصبحها « أدوين زداى ». ولعل في هذه اللحظة أناسا ينطقون بهذا الاسم فليس يوجد لأدوين تاريخ، وليس فيما رجم فيه المرحومون ما يستحق أن يذكر.

قد رجم المورخ « سورو » رجما لم يحفل به على وصوح سخائه بل سمعه بأمرى لكتاب الثقة أو الثقة، وذلك أن أدوين كان أميراً وعارفاً بطلاً في بقعة غرب البحر الأسود به اثنا عشر تابعاً كلهم سيد عشيرته. ثم إن بلادهم صارت بهم معمورة إلى ناحية الشمال حيث برلوا بعد أن فتحوا تلك الأقطار وبان هذا لأدوين استخرج الحروف الأجدية والشعر وعبرهما ثم ال به الأمر إلى. ثم تحده أهل إسكندرية إليها معبوداً. واعتبروا أتباعه الاثنى عشر أباء له وأمه كذلك، هذا ما لا يشك فيه للمورخ « سورو » ولكن المورخ « جرمانتيكس » وهو آخر من أهل الشمال أشد ثقة برأيه من « سورو » لا يصعب عليه أبداً أن يخلق لكل عرافة من عرافات القدم، أصلاً وحقيقة، ثم يدون ذلك كما لو كان حادثة عادية وقعت ببلاد الديسبرك أو غيرها. وحتى المورخ « تورموس » بعد هذين بقرون وهو يا للأسف عام ومختوم، يصنع تاريخاً لرسم أدوين إذ يقول إن أدوين قدام أوروبا عام سبعين قبل الميلاد، وعما أنه هذه لأقوال ظنون أساسها الشك قد كشف بطلانها الزمن، فلا حاجة بي من هذا إلى تعيينها بل حسبي أن أقول إن تاريخ أدوين كان قبل عام ٧٠ بأحد عشر طويبة وأرمان مدينة! ولا أرى أدوين وتاريخ وجوده ووقته وسائر تاريخه إلا شئنا قد عاب عما لليلة وسط الآلاف المولعة من غابر الأعوام

ينحىء بعد ذلك للمورخ « حريم » الأثاني فيسخر وجود « أدوين » بامرة، ويشت قوله بعدم الاشتقاق فيقول إن لفظة « فوتام » التي هي أصل كلمة « أدوين » المصولة علماً على الإله الأكبر لدى جميع الشعوب الوثنية في كل مكان - هذه اللفظة التي تتصل حسبما زعم « حريم » باللفظة اللاتينية

(١) إنكليزية معناها يوم الأربعاء.

« فادير » واللفظة الإنكليزية « ويسد » إلخ - معناها التقيس « الحركة » « القوة »، فهي الاسم اللاتني للإله الأكبر لا المحروق. قال حريم: وهذه الكلمة اسم لله عند قدماء الإسكسبون والجرمان وسائر الأمم الوثنية، والنفوت المشتقة منها كلها في معنى مقنس وأكبر وما شاكل - محسن وأبم الله ما قال المسيو « حريم » ثم لا يسمنا إلا الإزدعان للسيد المذكور في جميع المسائل الاشتقاقية مسطر ولتفتح بأن كلمة « فوتام » أو « أدوين » يراد بها « الحركة » و« القوة ». فما الذي يمنع أن تكون اسم الرجل يعطى محرك كما أنها اسم لإله؟ فاما من حيث إن النفوت المشتقة منها كلها في معنى مقنس وأكبر. أليس قد اشتق الأسبانيون من اسم بطلهم الكبير « لوسى » حينما غلا بهم تقديمه لعملة « لوسى » نمنا لكل شيء أثر جلاله حتى قالوا بستان لوسى وورد لوسى وغادة لوسى: ملو أن ذلك استمر لأصبحت كلمة لوسى وهي نعت من نفوت الأسبانية معناها ملائكة الجمال أو لوسى الجمال. ولقد قال آدم سميت في مثاقه على اللغة: إنه ما من نعت إلا وكان في الأصل اسماً لشيء شارك الشيء الأصلي في صفته، فكلمة أعضر مثلاً كانت في الأصل اسماً لشيء شديد المحصرة. ثم إن الناس كلما أبصروا شيئاً فيه محصرة - عشياً مثلاً - قالوا عشب أحصر، وما تزال قول ساعسة ذهباً وعظاماً حديدية فكل النفوت في زعمهم « سميت » كان أصلها أسماء أشياء ولا يسمنا أن نعلم رجلاً ونقضى عليه بخره مسائل اشتقاقية كهذه! ولا شك في أنه قد كان لأولئك القبائل القديمة رجل كان أول امتداد وقائد. وحقا لقد وجد في وقت ما رجل هو « أدوين » أو مثل « أدوين » يصير بالعلم ويلبس باليدى وليس من النفوت، بل بطلا مصوراً من لحم ودم!

فأما كيفية صبورة الرجل « أدوين » إليها - الإله الأكبر - فهذا ما لا أحسب أن أحداً يحسب أن يفلسف فيه، وقد قلت إن أهل عصره لم يعرفوا لإحلالهم إياه حلاً، بل لم يكن لديهم إذ ذاك سيران يرون به الإحلال. فإن أردت أن تصور إحلالهم ذلك فزعم إحلالك لبطل من أكبر الأبطال وحجك إليه



هذه وذاك فهو كما قلت بطل في صورة وحشية أولية ، ولكنه بطل عبرى كونه النعم . شريف الخلق . فإذا كنا نحن أبناء القرن التاسع عشر لا نزال نحسب بذلك الرجل ، فماذا كان إعجاب أودين في القرن ١٠ من هذا ؟ حقا لقد كان عندهم بطلا بل نيا بل إلها ، أو بصارتهم هم « فوتين » أي « أودين » ومعناها القوة الكبرى ، والمكر وعماك الله فكر في أي صورة بنا وعلى أي شكل ظهر حتى لأحسب أن « أودين » هذا هو من قبيل أكثر أبطال العالم . وحسبكم برهانا فكره الكبير في قلبه الوحشي العميق . أعلام ترون في كلماته الخشنة جلور ألفاظ إنكليزية لا نزال نستعملها ؟ وما وجوده في تلك العصور المظلمة بضالته وهو نجمها اللامع وشهابها الساطع .

فجدير بنا أن نرى فيه نموذج الرجل لشمالي وأشرف بني جلدته ، ثم ما كاد يظهر في قومه حتى تمحرت قلوبهم له عن إخلاص الولاء وأصدق العبادة ، فهو الجدر الذي أبيت أشياء جمّة ، ولا نزال نماره بانعة يرف رونقا في جميع أرجاء الحياة البيوتونية . حتى أن كثيرا من أسماء بلادنا واسم يوم الأربعاء كما ذكرت مشتق من لفظه « أودين » . أعلام ترون بعد ذلك أن آثار الرجل قد تجاوزت إلى بلادنا ، وأن أفرعا من فروعه قد امتدت إلينا ومن ذلك الجبل ذباك الوري .

فإذا كان الرجل أودين قد باد وهلك ذكره ، فهذا ظله الواسع للديد ما زال يشر أعلامه على تاريخ الأمم البيوتونية جميعه ، لأنه متى سلما أن أودين كان وقتا ما إلها أمكننا أن نفهم أن نظام أفكار الأقدمين أو عندهم نظامهم أو بالاعتصار كل ما كان لديهم قبل مجيء هذا الرجل قد أخذ بعد مجيئه وتعاليمه في طريق آخر ، وليس هيئة جديدة ، إذ جعل جميع الأمم البيوتونية ينقشون على ألواح ضمائرهم كل ما قال ذلك الرجل وعلم بحروفه وشعره وأصبح مذهبه ملهمهم ورايه رأيهم . وكذلك شأن الرجل الكبير في كل حين . أو ما ترون في العقائد الإسكندنافية التي يصعد ظلها المائل من أعماق ظلمات الأعصر الخاليات فيتشر على الأفق الشمالي صورة الرجل « أودين » ؟ نعم الفكر فكر كيما

كان ، وما كانت حياة الرجل العظيم لتكون قط عبثا وما تاريخ العالم إلا مجموع سير أبطاله .

يبد أنى أرى في صورة ذلك التاريخ القديم شيئا مرققا للأمة ، وهو إفراط أولئك القوم المتوحشين في حب بطلهم وإن شاب ذلك الحب سذاجة وعجز . نعم إنه وإن شابه منتهى العجز فلقد كان في منتهى الوفاء والشرف ، وهو فوق ذلك وجدان قديم خلقه الله حين خلق الإنسان . وأما لو أمكننى أن أفهمكم ما لم أرل أعتقد منذ زمن بعيد من أن هذا الوجدان هو عنصر الرجولة الحيوى وروح تاريخ الإنسان في هذه الدنيا . لكن لكم في ذلك غنية عن كل ما سوف أتقيه عليكم من هذه المحاضرات . نحن لا نريد أعظم رجالاتنا الآن كلا ولا نقرط في إجلالهم بل نقتصد يا للأسف في إجلالنا لهم الأم اقتصاد ! فهذا وربكم شر ونكر ، ولكن خلقو العالم من المعطاء أشر وأنكر وأدنى وأمر

وكذلك ترى في ملهب هؤلاء الوثنيين على علاته فضلا وقيمة ثمينة ، وهو وإن لم يكن اليوم بحق فقد كان في يومه حقا . أليست كأنها صوت آبائنا الأول يصبح من أعماق القرون العائرة ، يهيب بنا نحن أبناءهم الذين لا نزال عروقتنا تزخر بدميلهم يقول : « هذا رأينا في الدنيا ، هذا كل ما استطعنا أن نصور به لأنفسنا سر هذه الحياة وهذا الكون ، فلا تحقروا عماك الله رأينا ومبلغ جهلنا ، واجعلوا بدل احتقاركم لنا شكرا لله الذى رفعكم فوق درجات فأصبحتم بحمده أكثر منا إشراقا على كونه وأصبح رؤية ، ولكن لا تحسبوا أنكم بلغت القمة فإن رأيكم وإن فضل رأينا لكنه ما زال جزئيا ناقصا ، والأمر أعظم من أن تناله مدارك إنسان لا أثناء الزمان ولا خارج الزمان . وكأني بالإنسان بعد أن تمر عليه من هذه اللحظة آلاف السنين بالرقى والتهوض ، لا يزال يجد أن أقصى جهده هو الإنعام بطرف من أطراف هذا الكون ، فإن الأمر كما قلت أكبر من الإنسان وليس في وسعه أن يفهمه ، وكيف وهو شيء عديم النهاية .

الإيمان بأن الكون شيء إلهي مقدس ومناجاة للمرء للقوى الخفية البادية آثارها فيح حول من الكائنات ، هو عنصر غرائبات الإسكندنافية وسائر

شروع. ولعل الوثنية الإسكندنافية أصدق في هذا الأمر من جميع ما عدلها إذ لا تكبر حواصها. وهنا الإخلاص هو عزوتنا على خلق ذلك المذهب مما يرمي وثنية الوثنان من الرقة والتهايب، فقد أحس أن هؤلاء الشماليين كانوا مأمورين بصفة دين نصيرة زروح يقطي، وقلوب صحيحة مخصصة جمعت بين معبر سخونة والرجوة، بين سداجة في شرف إحسان وعمق في نشاط وصف، ورجاء في شعف ورجائص في شجاعة، فله أولئك القوم ما كان أشجعهم وضد فيه وكذلك يرى هذا الإيمان بالبيعة قد كان أكبر عاصر الوثنية، فأما الإيمان بعظمة الإنسان واجباته الإلهية والأدبية وإن لم يكن معقودا من يرضه. فهو العنصر الأهم في الأدب والأطهر والأصفى. وكذلك ترى أن الإنسان يذهب في نزل أمره إلى الطبيعة وقواها فيتراجع لها ويعيدها، ثم يعرف أنه لا قوة في الحقيقة إلا القوة الأدبية وإن أهم الأمور هو تغييره بين الخير والشر، بين النحر والخرم إلا بعد تصرف الدهور الطويلة.

فما من حيث المرات المذكورة في كتابهم المسمى «أدا» فهي كما ذكرت أنما أحدث عهد من مدة «أردس»، ولعلها لم تكن في نظر أولئك الأقوام إلا ضربا من اللهو والعكاهة ولم تكن إجيلا لهم ولا تورا. إذ أن العقيدة كما قدمت لا بد أن توجد أولا ثم تزدحم حولها الأقاصيص الشعرية الضفاف الجسد بالروح. ولا أحسب العقيدة الشمالية إلا أنها كانت قبل نظم الأشعار حية فعالة في نفوس أهلها، وكذلك سائر العقائد تكون أنشط وأقوى كلما كانت أسكت وأصمت.

ومما يرى في كتابهم «أدا» ذلك الكتاب اللهم للظم، يؤخذ أن عروس لعقائد لم تكن إلا ما يأتي الإيمان بالمتحدين، وهم الآلهة للوكلون بانتخاب من يقضى عليهم بالقتل في ساحة الوغى وحرمة الحرب، ثم الإيمان بالقضاء المقدر وهو أن من قضى عليه أن يموت قتلا فلا مرد لذلك القضاء ولا مفر، ثم الاعتقاد بأن أول واجبات المرء هو أن يكون شجاعا. أليست هذه الثلاثة هي أعظم أصول الشرائع العظمى شريعة لوثر وشريعة محمد؟ بل أريدكم وشريعة نابليون

نصف، بل هي سنة إنسان يتم كاد وكيمياء كاد. وهي السلك الذي يؤلف عاء فكره جمع، وخيصة من منه مسح ثوب عقده وهوؤلاء المسجون سوقيوت الشجعان الذي قصوا في معرك القتل إلى قعدة «أودس»، أما الأربعة لأحساء وحساب الأدلاء فسردت في ديوار «هيللا» إنهم المرب هذا هو عيما أراه روح، سنة «شعاليه جميعها»، فقد كان أولئك لأقوم يعقلون أن «شجاعة رشي كس»، وإنها على الحركية فرص مخوم وصريرة لأرب، ونهم ستوحسب سخط «أردس» وبسترلوت عهده إذا هم لم يشجعوه في جميع لموطل فاصروا بركه. أما سرون في ذلك معسى عبال كبير؟ حق به لواجب أبلدى وفرض سرمدى حتى اللحظة، كما كان حقا في تلك المصور أن يكون الإنسان شجاعا، وما زال أول واجبات المرء أن يقهر الخوف. وحقا إنه يسمى أن تقنع دبر الخوف فيه لا سبيل إلى «عمل حتى يصنع ذلك» فإذا لم يعمل المرء خوف ذر، صهوه وحت قدمه كاد خفيف أن تخت بعسه ويعصده صبه، ويكون عهده تقيدية لا استقلالية وفكره رور وبطلا بصورها عس نفس ديل وصف حيد وسخط ترى أنه يستخلص باب مذهب الأودس من قنبره لأفنى حقا في هذه ساعة كيف لا وبك أول وحساب إنسان أن يكون كما قدمت شجاعا، وأن يحصى قدم في سبه، ويكون رجلا في كل ما يجرب ويرز. ثم هو في جميع ذلك يؤمن بقضاء الله وقدره وما رز صبر مرء متى خوف وصهره على، حتى هو ميرل فصله ومقياس رجونه في كل أن ولا سلك في أن شجاعة أولئك الشماليين السماء كانت وحشية جدا، وقد رزى بزوج «سورور» نهم كانوا يرون الموت في غير مواطن الحرب عاراً وسمه

سسر متى حيد «صناه نفوسا» وبسخت على غير الطلابة تسيل وماد ما سمند حيف نهمه ولا طلل ما حيث كان قيل فلذا أحس أحدهم دبر الأجل وأقزب الموت الطبيعي، أحدث آخره في «أودس» إلى «أودس» ليصبح له في جناحه مقاماً وكان الملوك إذا



تشرقت مدينة مياههم ثمرو بأنفسهم أن يخضعوا على سبيل، أنه برسا السعيدة في  
 مسير « الغلاخ » في حشد، رحمة المسكون، فيدا سنان بها راحتر  
 تبار ونسب به لريح، تأججت في يديها النار وطار في أركانها شواظها.  
 وكذلك باقي الطلل العظيم بين الخشخشة الماء وخواتم الفواء قرا - شجاعة وحشية  
 ودية حمر، دامية وكثيب شجاعة، حمر من لا شيء، ثم أي حدة رؤساء وجمعة  
 فهد، ب سرقة ومضاه قد كانت جنوك البحر من أولئك الشماليين الكائن  
 من شبه مشهور على صخور صافية متقلبي الشقاء غير شاعرا، بينهم  
 قد أوسد مسهل السانه والمجدة - يكافحون البحر الشائر وعصارت أمواج  
 رطبة حية وبيده، مل يكافحون - الرور بحر وكبر ما عسهما أولئك ب  
 حمر ب رن وملك ولسون، نقاد ذهب رستك الأطلال وما ترم بعثانه  
 عساه ساعتر كيموسوس، لا يري آثار تخامسون (أحد أطلال - سوان في  
 شهر عوموس) مصفاة في حداث مسفرة روجل من أولئك، انصاف  
 مسافر، روجل مثل « رولف » أو « رولو » أمير نورماندي فذلك الملك  
 البحري الفاتك، فاني أرى له الآن يد في حكومة إنكلترا وإن كان قد مرت  
 على عهده نمرود والدهور.

وذكر في حادثة كبر ما فعده أولئك لأقوم من جولان في شجار ومن  
 حروب ورفاق شاة عدة أجيال، لأن ذلك لا يمكن إلا تنازع برئانه لبعده من  
 مد قور مسود ثم رنت أن من أولئك عيون الشماليين من كبر. ينقب قديم  
 شجر، على ملوك بين كان من سانه فضع زعمات، وهي ملك معنى رسة  
 من ذر، وقد أحضرت ليرج « سك » حسب زعمون هيرزلة سيرة  
 مرعته فسر على حمر بديل، حمر وحي لا تروق أمه ولا تخير شعبا،  
 من ذر فسد ودية نيرة ليري لأحسب أن حمر بفساد، لا تروق  
 ، ها (أحد ذر) أفضى له لاهنا نصا مصلح بصاد، معكر العدة.

والعامل الصادق، لا يدع أمرا إلا ويتأوله برفق وصدق، وما ذلك إلا لأن  
 الشجاعة الصادقة هي الأسس لكل هذه الأمور، والشجاعة الصادقة شيء  
 والقسوة والعظافة شيء آخر، فقطع العاق ضرب من الشجاعة الصادقة قد أهداه  
 أولئك القوم ضد الغابات وضد الظلم الوحشي من قوى الكون ليذلوا لنا  
 الطيبة أو أحرر عن أنباهم في ذلك الطريق الذي هجوه لنا، إذن فلا يعد  
 لله تلك لكمة وهاتك الشجاعة ؟

ويظهر أن تعليم أودين قومه فضيلة الشجاعة وإحابة القوم إياه، لإصابة  
 قوله هور في موسيم وطهم أن كلامه وحى جاء به من السماء، وبه لذلك  
 إليه - يظهر له أن هذا هو أول بذرة نبست منها الديانة الشمالية وفروعها من  
 الخرافات على اختلاف صيورها والزهب والرسوم «شعرية» ونقصانها ونقص  
 والأشيد والأعالي إلخ. أقول نبست ! أعجبا عماها ! إنما يقال نبت للشئ الحى.  
 وقد قلت إن هذا المذهب الوثني لم يك إلا ظلمة حالكة يهتدى في جوفها ذهن  
 أودين كالبحر في مدحور، بعد زكها حلقة حية. تديرها رعاكم الله ذلك.  
 هذه «الظلمة» هي مدحور المتوحش جاهل - ذهن تلك الأمة البربرية «شمالية» بصور  
 ويتلفه على أن يبيسه الله القصة والصدق يستمر إلى ما شاء، الله في عقله  
 ويطفه أعم من معكر بذرة تبست وتسمو ثم تنمو، ثم لا تزال تنمو وتنمو  
 كشجرة احد متى تبست بذرة منها فقد حصنت من شجرها على ما لا نهاية  
 لعمده. وذلك أن البذرة تخرج شجرة، فأى فروع هذه الشجرة أصاب الأرض  
 صار في الحال جذرا لشجرة جديدة تبست فروعها فتصير جذورا، وهكذا إلى ما  
 شاء الله، ومعكر حتى لا تموت، وأول من فكر من الرجال على طهر هذه  
 الأرض فهو بدين جميع - ثم الدي والناث، بل كل معكر صادق بما هو من.  
 قبل «أودين» بابتشت عقل بما هو «أودين» على البكرة، ثم هو قد بعته  
 الله لعدم النسر رأيه في الله وهي تكون والإسناد، وليشتر طل صورته على  
 أجواء من تاريخ العالم

تعا ولكن ممكة الموت هبتك ميلة جذا إلى جهة الشمال» فيسمر الرسول في  
 سسه حتى مات ممكة ويرث يونس خذله، عود هو رخص بئسك المنك قد  
 فصي عبه لا عافره فقد، محتوما لا مفر مه وقد تبت ملكه حوت أن يطلقه  
 ، لا يلو ردت ديك إليه صر ثم إن امرأته تطلب من جده أن عوب  
 في سه في ذ ر مات فحوت صعب، وتحي الروحان معا، اخر أرتد، ثم دسل  
 «يونس» حبه في «أونس» وبوسل روجه «ب» حاميت عسي سبيل  
 يونس - يونس و جده ؟

واحتشف - شجده يسوع الرحمة - يسوع السدق و يعرف و اكسوم  
 و مرزونة و تر يونس خدم و شاف وقد قد المبرح «أفلا» نيس من  
 يت نفوه و سحاعة أن حد نفوس هؤلاء القوم في الله الرعد ريعا مؤسما ؟  
 ولا تحرف ، لا عر من رعه ، ين ترى أنه لا بد عوراه الشمس و نصف الخلو  
 حميل من م حنة نرعد ؟ وف، كاد الرجل الشمد يرتاح ، يسمين ب  
 «نور» و حة رحت سعة شاف بالصبر اعن ، و بلاعه ويدسه ، و كان ذلك  
 «به عبه هو به المطرزة الشمسية أيضا ، أعسى إلى العمل والأمن والمظفر  
 و البركة ، و صجب دلاج و ريقه في العرس والعوث ، ثم إن «نور» بمسه لا  
 يرتفع عن مبرة جميع الأعمال الخسة السوقية ، وما يزال يذهب إلى ديار  
 الشب طيل ليلال عماريت الملح والجديد ويقرها ، وفي بعض هذه الأقاويل ما فيه  
 من الفكاهة والضحك .

فمن دلت ، ذكرنا من أن «شورا» يذهب إلى ديار «الردة» ليحلب  
 مرجل «عمر» حتى يصعب فيه آده ساد الشعر ، فندخل عسه «عمر» نبح  
 لا سة وخبه در سعة . . . وكلا رمى بهصره عمودا من القعد انطلق من  
 حده عفره . . . طويل صخب وعريادة يأخذ «نور» المرحل فيلسه في  
 رأسه عاد هو . . . م و دمه ، دت لأنه مر جسل مارد - «همير» الذي  
 أن من حده . . . نخرة حصة من . . .

فأما مرأيا ذلك المذهب الشعرية فهذا ما لا موضع له ههنا ، كلاً . لا كثير  
 أهمة وقد تو جد أشعار سوية حادة حارة ولكنها على كل حال صبرت من  
 النهو أصابعها إلى قواعد الدبس ناس متأخرون ، وما أحسب أنه قد بقي من  
 أشعارهم إلا الأعتى . وأمثال هؤلاء المتأخرين لا يزال منهم من يتم بالأشعار  
 شأن المصورين المحدثين لا يروحون بضرورة ، لا من صميم القلوب كما كان  
 قديما المصورين وكما هو الأصل في التصوير والباعث عليه ، بل رعا نيس من  
 القلوب آليته فاعلموا ذلك ولا تنسوه .

وقد حاول شاعرا «جرى» أن يصف لما عيشة أولئك الوثنيين القدماء  
 وحاب حبه الشاعر يون ، إذ ترجم «الإبيده» فلم يؤته الشعر على ليراز روح  
 هو صروس ، وحسب جرائ أن حية أولئك القوم كانت موحشة مظلمة  
 تعرف عليها غلال الروح والرعب مصورها كذلك ، ولم يدرك أن أهم عناصرها  
 هي وعورة كوعورة صخورها وعشوبة كعشوبة قفارها ، إلى أنس لا وحشة  
 والشرائح لا انقباض ، وشيء من الفكاهة والضحك بين مناظرها المبهمة  
 ومشاهدتها الزهية . يو كان القوم غايه في السذاجة لم يجلبوا في تصوير آهنتهم  
 ذواقع هذه آده إلى ما من إليه إخوانهم الروان من روائح الزاوية سميبة ،  
 فكاني بأولئك الشماليين لا يجذب في وقتهم مسحة لأن يقنو مبهوتين مرتعدين  
 المراكص أمام ملهشات المرسح ، ثم يهجنى جذا سناحتهم وصدقهم واستقامة  
 مظهرهم ، فمن ذلك ما يتخيلون من أن «شورا» إليه الرعد يقطب حبيبه في  
 حق صدق ، ويقص على سيمه قصة تبين من شدتها مفصل صديعه ، به  
 أجد كذلك الترجمة نادية في أجمل مظاهرها في جرائعاتهم نكت ، فمن ذلك أن  
 «يونس» «الإبي» «أبي» «شمس الكسرية» «لعب الجميل» «حوت» . فله يدغر  
 في الطبيعة شت لا يقبوا فيه عن دواء ، ولكنه مات وقضى الأمر فتبعته أمه «  
 فرحا» و «سولا» «هرمونه» «نبحث عنه» ويصون الرسوب سح من وسعه  
 ، يمتح في زينة مستعصمة مظلمة ، ومصرجات ممتعة مشككة ، حتى يبلغ  
 القسوة وسقمها الذهني . ويقول له الحارس «نعم ، لقد عمو «بولدار» ههنا



صخور وشجيرات حتى إلى حين الليل سواداً ، وكان جانب من جوانبها دهاب فوجدوا فيه مكاناً خصباً فقاموا به . فلما سجدوا لليل وانهم صرحوا وصوبوا فيه « ثورا » معوية واعتزروا الباب منحصرين للقتال ، وجعل صاحبها يحرقها وهالكاً فزعاً بالتمسك بالجرح ، فوجها غرمة صغيرة فعادها بها و فداها نوراً بالباب يرقب عدواً منها حتى ولا عدو ، ولما أصبحوا وجدوا أن الصوصاء يمكن إلا شجيرة ماردة جسمين ويكنه مسالم . المارد « سككرومير » وكان قائماً بأجبهه منبه و قد كان من حسنة دراهم ، فيه زينة هور إحدى عمارتي ذلك المارد قد أنقضاها إلى جانبها عندما أراد النوم ، وكانت الفرقة التي عاذا بها هي بيت الإبهام ولم يكن للفتارة بيت لسائر الأصابع ، يالها من فتارة عتيقة !

ثم إن المارد « سككرومير » صرحهم سبحانه اليوم يحمل حقبتهم ، ولكن « ثورا » ارتاب المارد وعزم على قتله متى « م » وكسدت آتاه وهو رافد فصر به معموله ضربة تصدع الصخر الأحمر فلم يعلل المارد أكثر من أنه اتته وحلك وحتته وقال : ورقة سقطت . ثم عاد إلى ثومه فأرسل « ثورا » على وجهه ضربة أشد فله يث من المارد كثير من به خمساً قذلاً ، ما هي إلا حصاة . ثم قام فصب عليه « نور » يديه جميعاً صر به حدثاً أثر بوجهه مارد ، فلما راد على ن قصص شجره وقال : أحسب أن بهذه الشجرة غصافير ، وإلا فما هذا الذي سقط على ؟ ثم إن « سككرومير » دحى أصحابه باب حديقة المردة وكاد يذم هو وشراب ، فداولوا « ثورا » كاساً وسأله أن يشتف ما فيه يجرعة واحدة فكفرغ فيه ثلاثاً طويلاً وما كاد خذت « ثورا » فقالوا له : طفل ولا ريب . ثم أومأ له إلى فتحة فسأله : أيقدر أن يرفعها ، فحاول « ثورا » فما استطاع أن يرفع يعلد يخطه سحبه إلا جرى دماً ، فقالوا له : ما أنت يا هذا يرحل - انظر لثمة إلى مثل لمجرد حائه فكيف لا يسربها فعداها نوراً وجهها . وكذا فعل مثل

وما هموا بالرحيل فيجبهه رئيس المردة وقال ثورا : عدت عليت وحسن لا تخجل فإن هي الأمر صراً أنا كاشفه لك . فاما الكأس التي حاولت أن تشرب فلم تقلد مثل البحر ، وحصلك أنك أهدفت به جرراً ، ومن ذا الذي يا ثورا

صحيح أن يسرب جرراً ثم حرة نسي أردت أن ترميها فلنك هي الحية التي تنفح حور . لارص فمست أجزها ونصم أركانها ، فقل لي أكتت محاولاً يرفعت . ثم تخرب عدم ؟ ولما انفجرت فهدده هي الدهر وأخرم واللوم ، ومن . من صارع : من لا إنسان ولا إليه فإنها علاية لكل شيء . ولما نصربت الثلاث نسي ضربها فثاب . تنظر إلى هذه الأودية الثلاث « فقي من عصع صرباك » فطر « ثورا » إلى رفيقه فإذا هو المارد « سككرومير » وهذا المارد هو الأرض ذاتها ، وما فتارته إلا أحد الكهوف ، وأمس المارد فلم يبق له ثم إن ثورا نحت بصير حديقة مردة فد . هي قد صدرت هواء ولم يبق إلا صوت لما د ينفث به سحراً « ثورا » لا يهود بل ديار مردة »

هذا من رموز شجره مكدده لا من لأقويل السوية الحديثة ، ولكن ليس بها مني حرق من مودة عرودة وذهب بربر ؟ نعم ذهب نفق وأصفي كما يوجد في حرقات بيوت . وب كسب ثور صعه وأرشد معرب وقد أرى لسلك لمارد « سككرومير » فكاهة جميلة أساسها الحد والاعتبر والجرح كأنها قوس قزح وسط الروعة السوداء ، ومن هذا القبيل كانت فكاهة شاعرنا الفحل « بين جوسون » وهي فكاهة تجرى في دماغنا حسماً يميل إلى الأمل أكاد أسمعها الآن من أقصى عايات أمريكا يصدق بها كاتبها الكبير « أرمسون » .

ومن الرائق الكبير من أفكار القوم ذلك الذي في الصورة الآتية ، وهو أنه يقوم حرب بين - والآفة فتنتهي موت الجميع وحروب الكون ، ولكنه صوت مؤلفات ريشا يتحدد كون ذو سماء أجمل ونهى ، وأرض أنصر وأطلى ، وإليه تشرف وأقوى يمدل بين الناس جميعاً . ففجيب من هؤلاء الناس كيف أذكروا بطريقتهم الحشنة ومنهجهم اللوعر مسر القيامة والبعث ، وهذا فيما أراه القاتنون لأساسي لكل مخنوق أحدثه الدهر وأقامه في دهر الأمل (١) . قانون قد نفذ إليه بعد دوى الإخلاص والبصيرة وسيمد ما دام الإنسان

يعرفون ويتفهمون) ما كملهم دينا وشرعا، وما تقديس لشجاعة بالأمر عن  
 به لا حسب بلاش عرفانا بعض الشيء عن وثنية أمانا شيء مصد، سئل أن  
 الذين لا يبرح منه على عروضا - ويا ثم شعر سست - أثر، وشعورا به حبر أن  
 نحن صنف بالناضي كد وفهمنا له نصفي وألقب، والماضي تعلمون ميراث لنا  
 رأى ميراث، وهو جزء من الحقيقة التي هي مجموع كل عصر وكل أمة فعلنا  
 باحقيق خبر من جهتنا به. وقد جاء في كلام «حايي» أن رجلا اسمه  
 «مايسو» سأل أستاذه بأي الأديان الثلاثة أنت مؤمن ؟

وأجاب «بجميعها، لأن من اجتماعها يتكون الدين الحق» .

حزبان، في الخرافة التي يذكر فيها «حزب صهور» «ثورا» هي «أرض  
 » ثمة هذا الشاب، ولعلها عموما يجمل إلى «حزب صهور» الخرافات حيناً وفيها

شعر الصورية مشفوع برقة حنون عسى ما تقول من عهد نوينية  
 من سئل «عند الشكوى رحى من مخاض نوينية» أوائل شعر  
 - سرية يلاذ البرويج، وهذا فحواها: ييسا الملك «أولاف» أمير سرويج  
 دنت حتى كانت له اليد الطولى في هدم صروح الوثنية وشر الوثنية مصره في  
 - ساد، سالحا في حاشيته على سرجل السرويج يتقل من ثغر إلى ثغر ويث  
 - مد، في الرعية أو يصلح من أمورهم، إذا عرست سادى الوقار أصيب الناح  
 سل الصورة مهيب للطلعة قد طرا، ثم كان من حديثه ما أعجب الملك وراعه،  
 ولكنه ما لبث أن غر لحمة كلامه فدعاه الملك قائلاً: نعم أليها خصرت  
 «أولاف»، ما أحل هذا الشاطئ يزهر في رواق الصبح، وما أئدى خصرت  
 - حتى نصرته وحده السهل وحدها حين، وهيت لك بيت والبرية والسعد  
 - وكفى ذكر أنك ما كنت تمتعا بدك بولا ما مهده لك «ثورا» من أمر يلاذ  
 - و، وصاه لك من شأن الملك، فكم كدح دونه المردة، وكم دفع عه لأدسة  
 - س، لاقي في ذلك من يوم أروان (شديد) وهار عصيب، لأن بد است  
 - ان، الأمر تأسست «ثورا» ودعت ذكره فيها أليها إسماء سه من رقتك  
 - و، من أمرك عسى حبر ! «فل العرب ذلك وفط حبيبه، وعسى لمن  
 - شية فودا هو قد عاب عن الأبر. وكان هذا آخر ظهوره على مسرح  
 العام

والذي لأرى باعث حزون وشجن في ذلك الصوت .. آخر أصوات الوثنية  
 الذي فنى معه «ثورا» والعالم الشمال بأكمله فناء لا رجعة بعده، وكذلك  
 - ان، حليل ورائع وعظيم فاني البناء مصوره، وما من شيء حسب أليها سر غيب  
 - لا، حزن بالفرق بيننا ومنه نار حبات الظلم ونجوم شخص، ونور عسا به نود  
 - ع

إلى إيهامكم أن جميع هؤلاء من طيبة واحدة ، وأنه لم يحدث الخلاف العظيم بين أئمتهم والآخر إلا لطيفة التي يكسونها هم ، أو الطريقة التي يستقبلها بها أهل زمهم .

لقد أصبح من أكثر الناس على أي فرد متدين من أبناء هذا العصر أن يصمي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب ، وأن عمداً خداع مزور ، وأن لنا أن محارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السقيمة للمصلحة ، فإن الرسالة التي أودعها ذلك الرسول ما زالت تسراج للنور منذ اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا ، حلقهم الله لأذى عائقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين المائقة المحضر والإحصاء كذبة وخذعة ؟ أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ، ولو أن الكذب والغش يروحان عند علق الله هذا الروح ، ويصادقان منهم مثل ذلك التصديق والتسويل ، فما الناس بالآلهة ومجانين ، وما الحياة إلا سحاف وعيث وأضلوبة كان الأولى بها ألا تخناق .

موا أسعد ! ما نسوا مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرأى والرحمة ( وبعد ) معنى من أراد أن يبلغ منزلة ما في علوم الكائنات إلا يصدق شيئاً البتة من أقوال أولئك السمهاء ! فدها نتائج جيد كسر ، وعصر محدود والحاد ، وهي دليل على حيث القلوب وفساد الضمائر وموت الأرواح في حياة الأبدان ، ولعل للعالم لم يرقط رأيا أكثر من هذا والأم ، وهل رأيت قط معشر الإخوان أن رجلاً كافياً يستطيع أن يوجد ديناً عجيباً ؟ والله إن الرجل للكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب ! فهو إذا لم يكن عالماً بمصالح الخير والنجس والواب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه بيتاً وهو تلب من الانقراض وكتيب من انحلال المرات ، نعم وليس حدثوا أن يبنى على دعائه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه حدث أن تنهار أركانه فيهدم فكانه لم يكن . وإني لأعلم أنه على المرء أن يسهر في جميع أموره طبق قوانين الطبيعة وإلا ابت أن تجيب طلبته ، وتعلمه بغيره . كذب والله ما يذيعه أولئك الكفار وإن زعموه حتى يميلوه حقاً ، وزور وباطل وإن زعموه حتى لوهموه صدقاً ، وعنه

## المخاصرة الثانية

### ( البطل في صورة رسول )

### ( محمد - الإسلام )

مشغل الآن من تلك المصور الخسنة .. القرنية الشمالية إلى دين آخر في أسرة دين الإسلام في أمة العرب ، وما هي إلا نقلة بعيدة وبوّة شاسعة بل في رعدة ورتقاء بره هنا في أحوال العالم العلمية والتفكاره .

في هذه طور الجليل لم ير الناس في بظلمهم إلهياً بل رسولاً يوحى من الإله ، وهذه هي الصورة الثانية للبطل . فأما الأول وأقدم الجميع فقد ذهبت إلى حيث لا تعود أبداً ولن ترى الناس يولجون البطل مهتماً عظيم ، بل لن نسا .

أكان من أن يس قد نهم عمدوا إلى رجل يرويه ويلبسونه فقالوا هذا خائن ملكون ؟ أنا لا أظن ذلك ، إنما يقولون هذا القول في رجل يتذكرونه أو كانوا يردد على أن هذا نصيب لي يكون قد ، وليس بوجه السفل من ثمة مصاعد ولو بيع مسرى العصاة

لقد كان اعتبار الرجل العظيم إلهياً غلبة وحشية فاحشة . ولكن دعنا نقل . إن الرجل العظيم ما يرح في جميع الأزمان ليزاً من الأفكار لا تدرى كيف تفسره ولا كيف يستقبله ومعلمه ! وليس أهم مرابا جيل من الأجيال هو كيمية . استقبله لوجه العظيم ، وسواء استقبله كإله أو كشيء أو كيمياء كان ، فذلك هو السلطان الأكبر . ومن طريق إحسانهم عن هذا السؤال وكيمية مدبرهم في ذلك الأمر يمكننا أن نصور صميم حالتهم الروحية كما لو كان من خلال نافذة

فإن الرجل العظيم إذا كان مصدره واحداً - أعنى من دلت الله فهو جس واحد : « لودين » أو « لوتر » أو « جونسون » أو « باوتر » وأرجو أن لو فبق



- والله - ومصائب أن يتعذع الناس شعوبا وإنما بهذه الأصليل وتسود الكلبة  
وتفقد بهاتيك الأباطيل ، وإنما هو كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية  
لضرورة تحال لها الكذاب حتى يفرجها من كنهه الأتية ، وبحيق مصابها بالعير لا  
به . وأنى مصاب وأنكم ؟ مصاب كمصاب الثورة الفرنسية وأشباهها من  
الذين والذين تصيح بحلأ أنفهاها « هذه الأوراق كاذبة ! » .  
أما الرجل الكبير عاصمة ، فأنى أقول عنه بقية أنه من الخيال أن يكون كاذبا ،  
فأنى لرى الصديق أسامه وأسام كل ما به من فضل ومعمدة . وعندى أنه ما من  
رجل كبير - موابوا لم قالهون أو بارنو أو كرمونيل - كفهه للقيام بعمل ما إلا  
وكان الصديق والإخلاص وحسب الخيرة لول باختلافه على عمولة ما يحول . أعنى  
أنه رجل صادق فأنه جاد مخلص قبل كل شىء . بل أقول إن الإخلاص -  
الإخلاص المحر العميق الكبير - هو أول خواص الرجل العظيم كنهما كان . لا  
أريد إخلاص ذلك الرجل الذى لا يرح يفتخر للناس بإخلاصه . كلا من هذا  
حقير جدا وأيم الله - هذا إخلاص سطحي وقبح - وهو فى الغالب ضرور  
وفته ، إنما إخلاص الرجل الكبير هو مما لا يستطيع أن يتحدث به صاحبه ، كلا  
ولا يشعر به ، بل لأحسب أنه ربما شعر من نفسه بعدم الإخلاص ، إذ أبين ذلك  
فلذى يستطيع أن يلزم منهج الحق يوما واحدا ؟ نعم إن الرجل الكبير لا يفخر  
بإخلاصه قط بل هو لا يسأل نفسه أحمى مخلصه ، أو بمسألة أخرى أقول إن  
إخلاصه غير متوقف على إرادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم  
لم يرد . هو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله .. حقيقة لا يستطيع أن  
يهرب من حلالها الباهر مهما حاول . هكذا خلق الله فنه ، وحلقة دمه على  
هذه الصورة هو أول أسباب عظمته . هو يرى الكون مدعنا ونجما وحقا  
كالنوت وحقا كالملمة . وهذه الحقيقة لا تقارقه لهما ، وإن فارتقت معظم الناس  
مساروا على غير هدى ومحيطوا فى غياهب الضلال والعمياء ، بل تظل هذه  
الحقيقة كل لحظة بين حنيه ونصب عينه كأنها هى مكتوبة بحروف من الذهب  
لا حلك فيها ولا ريب . ها هى ! فافروا - هلاككم الله - أن هذه هى

أول صفات العظيم ، وهذا حله الجوهري وتعريفه وقد توجد هذه فى الرجل  
الصغير فهى حذيرة أن توجد فى نفس كل إنسان عائله الله ، ولكنها من لوازم  
الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيمًا إلا بها .  
محل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصليا صمدى الجوهري كريم العنصر ..  
فهو رسول مبعوث من الأبدية المجهولة برسالة إليها ، فقد نسميه شاعرا أو نبيا أو  
إلهيا . وسواء هذا أو ذاك لو ذلك فقد تعلم أن قوله ليس بمأخوذ من رجل  
غيره ، ولكنه صادر من لباب حقائق الأشياء .. نعم هو يرى بطل كل شىء لا  
يحجب عنه ذلك باطل الاضطلاحات وكادب الاعتبارات والمعادت والمتصنات ،  
وسخيف الأوهام والآراء . كيف ؟ وإن الحقيقة تستطع لحيه حتى يكاد يمشى  
بنورها ، ثم إذا عثرت إلى كلمت العظيم شاعر كاد أو ملسوف أو نيبا أو فارسا  
أو منك ألا تراها ضربا من الوجع ؟ والرجل العظيم لم يضرى محموق من هؤلاء  
الادب وأحشاء الكون ، فهو جزء من الحقائق الجوهريه لأشياء . وقد ذل الله  
عنى وجوده بعنة آيات لرى أن أخذتها وأجدهم هو الرجل العظيم الذى علمه  
الله العلم والحكمة ، فوجب علينا أن نصمى إليه قبل كل شىء .  
وعلى ذلك فمسا بمد عمدا هذا قط رجلا كادبا متصنعا يتلوع باخيل  
والرسائل إلى بية ، لو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك من الحقائق  
والصغار . وما الرسائل التى ألقاها إلا حق صراح وما كلمته إلا صوت صادق  
صادر من العالم المجهول . كلا ما عمدا بالكادب ولا المصق وإنما هو قطعة من  
الحياة قد تفطر عنها قلب الطعة ، فإذا هى شهاب قد أصاب العالم أجمع . ذلك  
أمر الله وذلك فصل الله بزيه من يشاء والله ذو الفصل العجيب . وهذه حقيقة  
تدفع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين .  
وهب محمد ( عليه السلام ) عذاب وهوت - وأنى يسان لا يحظى . إنما  
المصصة لله وحده - فإنه ليس فى طاقة أية مصورات أو عظمات أن تروى بتلك  
الحقيقة الكبرى ، وهى أنه رجل صادق ونفى مرسل .

الذين والمساكين كما كان يسط من عسرين وجود البلاد ويهتضضراء ويقعان دات ثمره وأكله . وكان الأعراي صامتا لا يكلم إلا فيما يهت به إذ كان يسكن أرضا قحراً تخالها مجرا من الرمل يهتلى حمرة الهار طوله ، ويكافح بحر وجهه معحات القر له .

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيفحس وأما بالعشى يوحصر ولا أحسب أناسا شأنهم الأبراد وسط اليد والفتار ، يحاذون ظهورهم الطبيعة ويأخون سررها إلا أنهم يكونون أذكاء القلوب حذاء الخواطر عفاف الحركة ثقتي المنظر . وإذا صبح أن الثرى هم أنيسو الشرق ، فالعرب ولا شئت طليانه . وأخفى أقول لقد كان أولئك العرب نوباً أوفياء العوس ، كان أحلاهم سيول عفاة طاه من شدة حزمهم وقوة إلتهم أحسن سور وأنشج حاجر ، وهذه أليكم أم الفضائل وفرة الشرف الباذخ . وقد كان أحلاهم يهيمه ألد أعدائه فيكرم مثواه وبحر له ، مواد أرسج الرجل حليج عليه وحله وشيمه ثم هو سد كل ذلك لا يحجم أن يقاتله متى عادت به إليه العرص وكان العربي أغلب وقته صامت فاد قال أفصح . ويرسم أن العرب من عصر اليهود والمفحة أنهم شاركو اليهود في سرارة الجدة وعثاقهم في حلاوة الشمال وروقة الظرف وفي ألوية القوية وأريكة القلب . وكان لهم قبل زمن غمد (عليه السلام) متانسات في الشعر يترورها يسوق عكاظ في جنوب البلاد ، حيث كانت تقام أسواق التجارة بداية انتهت الأسواق تشد الشعراء القصائد انباء جائزة تحمل للأجود قريبا والأحكم قايه ، فكان الأعراب بفساة ذور الطبايع الوحشية الوحرة يترأخون لفحات القصيد ، ويحذون لوانتها أية لمة فيهاقون على النشد كالقراش ويهاكون

وأرى للعرب صفة واضحة فيهم وأحسبها حمرة الفضائل جميعها والحمد بفايرها ، ألا وهي اللتين . فأنهم مذ كانوا ما يرحا شديدي التمسك بأنهم كيمما كان ، وكانوا يهتدون الكواكب وكبرا من الأكاءات الطبيعية يرونها مظاهر للخلق وذلائل على عظمتة فويلنا وإن يك خطا فليس من جميع

وأزنا على العموم بهسه الطعوت ويحل من الجريبات حجتا تسمر عما لخلقناق الحلية . نعمت ، أنحسب الشئ أنه يخلو منها إنسان ؟ إن أكر الطعوت عددى أن يحسب نيرة أنه نيرة من الطعوت ما بال الشئ لا بد كرون سى الله داود ؟ ألم يرتك داود أقطع خرائم وشيع 'لاثام ؟ ألا ما أمون سر الدروب وأصغر حطر لأعلاط الجوانات والقتشور - إذا كان لبابها كرمها حتر' شربها ، وأن في النوبة الصوح والدم الصادق ورحر الصمور ولدع الد كره أكر مكسر السينات ومظهر لأدران لروح من كوران الشوائب ، أليست النوبة أكرم أعمال البرة فائمة وأفسى أعماله ؟ أما ألام الدم هو كما قلت حسنا نيرة أنه نيرة من كل دم وكل من هذا شأنها فهي في نظري مطمة من الوفاء والبررة ، سعاد عن شتى والرحر - أو هي بيتة أو إن شأ فقل هي نية نداء الرسل الخاف ألميت وأنى 'حسب أن سورة داود وباريحه كما هو مدون في مر اسيرة لأصدق أنه على ارتقاء بره في معارج الكرمات ، وعلى حرب العقل والورى - حربا طائلا بهرم يهت عقل هوية نصممع حاله وتو حة نقي مشعبا على الأعراس ، ولكنها حرب بعير نهاية ، مشوعة أبدأ باللك ، والنوبة واستنهاض النورم الصادق الذى لا يدرج بمحمد بعد كل هوية يا وويل النفس الإنسانية ؟ ما أسد حضيها من صمما وقوة شهرتها ' أو ليست حياه 'إنسان هي هذه الدنيا مسمله غيرت ؟ وهل في استطاعة البره خلاف ذلك ؟ وهل تطلى في ظلمات هذه نلماه . لا لأعساف والتعيط ؟ فما بهض من غيرة إلا لأخرى وبس هذه وبلك حسب وغراب وسهت ورمات . وإنما الأمر لعالم هو أيطغر على هواء بعد كل هذه الجاهدات ؟ وإذا لصفصع عن كثر من الجريبات ما دام اللباب حقا والمصوم صحيحا ، وما كانت الجريبات وحدها لعرفا حقيقة إنسان .

كانت عرب الجاهلية أمة كريمة تسكن بلاداً كريمة ، وكانما خلق الله البلاد وأهلها على عام وثاق فكان لمة شبه قريب بين وهورة جهلها وهورة أخلاقهم ، وبين جهلاء مطرها وجهلاء طليانهم . وكان يطف من قسوة قلوبهم مراح من

وحوهه ، وفي مصوغات الله ما برحت بوجه ما ومورا به وذلائل عليه كسما  
لما قنمت بعض معجزة للشاعر وفصيلة أن يكون ما بالكلمات من أسرار  
حسان . حرلا ، ز « أسرار الجمال للشعري » ، كما اطلع السلس على  
سسته ٢ . وقد كان هؤلاء العرب عدة أنبياء كليم أستاذ قبيلته ومرشد لها حسنا  
نفسه مع سمة زانية ثم ليس لهم من سرهم لمصافة ف ينسب ما في  
حكمه سمع ورى مسند وثق تقوى وإخلاص قد كان هؤلاء لشعروا فكبرس ٢  
وعند تعق نقاد أن « سفر أيوب » أحد أجزاء لتورة كتابا لنفسه قد كتب في  
بلاد العرب . وزعى في هذا الكتاب فصلا عن كل ما كتب عنه أنه من شرف  
ما سطر براع ودوت يد كاتب ، ولا يكاد المرء يصدق أنه من آثار العرب بل  
فيه من عمومية الأفكار مع شرفها وسورها - عمومية تخالف النقص والتخيز ،  
وحسب الكتاب شرفا أن يكون يضرب بعرق في كل نفس ، وتمت حصته في  
كل قلب ، ويكون كالبصيرة بعضى إليه مستهى السبل ، وكالأدراج لتصانع شاعره  
جميع الأنوف . والكتاب المذكور هو أول ما جاءنا عن مسألة المسائل - حياة  
الإنسان وفعل الله به في هذه الدار . وقد أثبتنا بذلك في نصح بيان وأشد  
إخلاص وأحسن سهولة . ولاني لأبين فيه العيون الصيرة ونقلت بعد الفهم نظم  
عشيق ، فهو الحق من حيث حفته والطر الراسب في قرارة كل شيء وصميم  
كل أمر - مادي وزر حاني ألا تذكرون ما جاء فيه من ذكر القوس « الله  
الذي أودع الرعد حجريته » فهل ترى صهيبه إلا قهقهة لرؤية الرماح ٢ » هذا  
والله أجود الاستعارة ، وما أحسن أن في عالم التشبيه كله ما بمائل ذلك  
يقاربه . ذلك إلى ما في الكتاب المذكور من آيات الطهر الشريف والتواكل  
الحسن الجميل وما قرأت فيه قط إلا حسنت قلب الإنسانية بزم شجى  
ووجها ، ودمع الإنسانية ببيض حرقه وكما ما لها من رقة في شدة ورأفة هي  
قوة وما أشبهها إلا بسحر اللبلة الصالحة - رقة نسيم في حلال مشهد عظيم ،  
ولا بالكور وكل ما فيه من أنعم وحرار وليل وبهار وما أحسن أن في جميع  
الوردة شيئا يذنيه فصلا وقبلة

والبحر الأسود كان من أنعم معصودات العرب ، ولا يزال للآن بحكة في  
الباء تسمى « الكعبة » وقد ذكر المؤرخ الروماني « سيبلاس » الكعبة  
قائل : بها كنت في مدته أشرف معابد العالم حرا ، وأقدمها ، وذلك قبل الميلاد  
خمسين عاما . وقر المؤرخ « سيمتاردى ساسي » . أن « البحر الأسود وما  
كان من حجوم السموات » وذاك ذلك فلا بد أن إنسانا قد بصر به سابقا من  
البحر والبحر موجود الآن إلى جانب البحر زمزم والكعبة مبنية فوقهما ، والبحر  
تعمون سطر حيشا كان سار مغرج ، تبخص من البحر الأصم كالحياة من  
الموت ، فما بالكم بها إذا كانت تفيض .

بذكرى لا ظل في صحصحانها ولا مساء لكن قورها الدهر عوم  
تري الآل فيها يلطم الآل مألها وبارحها لسموم للوجه الطم  
أصل : د كاهنهما وكأسي بوجاهها دون اللثام ملثم  
وقد شفق لها اسمها رمم من صورت نفجرها وهديره . والعرب تزعم أنها  
أبحست تحت أقدم حجر وإسماعيل فبصا من الله وصعد ، وقد قدسها العرب  
والبحر الأسود وشادوا عليها الكعبة مد الآل من السنين . وما أعجب هذه  
الكعبة وأعجب شأنها ، فهي في هذه الآونة قائمة على قواعد عابها الكسوة  
السوداء التي ترسل كل عام ، والتي يبيع ارتاعها سبعا وعشرين دراعا حوها  
دائرة مزدوجة من العمد ، وبها صفوف من « مصاييح » وبها نقوش ورخارف  
عجيبة . وتوقد تلك المصاييح لتشرق تحت الحجوم ، بشرقة صمم أثر المصاييح هي  
وعم ميوزات العمار هذه كعبة المسميين ! ومن القصص المشرق إلى أنبريات  
العرب ومن دلهم بنى مراكنش تنوجه أبصار العديد الجمهر من عبادة الله  
المصلين نظره ، وتهنو قلوبهم حوها خمس مرات كل يوم معه لمي والله من  
أحسن مراكر المعمورة وأشرف أقطانها .

وإنما من شرف البئر زمزم وقسمة البحر الأسود ومن حج القبائل إلى ذبيك  
المكان ، كان منشأ مدينة مكة . ولقد كانت هذه المدينة وقتها ما ذات بال وشأن ،  
وإن كانت الآن قد فقدت كثيرا من أهميتها . وموقعها - من حيث هي مدنة -

سواء حيا ، إذ هي واقعة في بطن من الأرض كثير الرمال وسط هضاب قفرة وديرة تحية على مسافة بعيدة من البحر ، ثم يتنازلها جميع ذنابها من جهات أخرى حتى الحيرة ، ولكن الذي اضطرت إلى إيجاد هذه المدينة هو أن كثيرا من محبي دنوا يطيلون المأوى ، ثم إن لها كن الحرج مازالت من قديم الزمان تستدعي التجارة ، فأول يوم يلتقي فيه الجميع تلتقي فيه كذلك التجارة والباعة والبائس متى وجدوا أنفسهم مجمعين لغرض من الأغراض رأوا أنه لا بأس عنهم أن يقيموا كل ما يعرض لهم من المصالح . ومن م بكر من احسان لذلك صارت مكة سوق بلاد العرب جميعها ، والمركز لكل ما مر من التجارة بين الحسد وبين الشام ومصر بل وبين إيطاليا . وقد بلغ سكانها في حين من الأحيان مائة ألف سبعة مئتين مائتين ومئتين ومئتين بصانع الشرق والغرب وربة للمأكولات والعلال . وكانت حكومتها ضريبا من الجمهورية الأرستوقراطية عليها صبغة دينية . ذلك أنهم كانوا ينتخبون لها بطريقة غير مهذبة عشرة رجال من قبيلة عضى مذكور هؤلاء حكام مكة وحرس الكعبة ، وكانت لقبش من عهد محمد ، وأسرة محمد من قبيلة قريش . وكان سائر الأمة مبدعا في أنحاء تلك الرمال قبائل تفصلها بين الواحدة والأخرى اليد والقفار ، وعلى كل قبيلة أمر أو أمراء ورعا كان الأمر راعيا أو ناقل أمتة ، وكانت الحرب لا تحمد بين بعض هذه القبائل وبعضها ، ولم يك يؤلف بينهم حلف على إلا التقاتلهم بالكعبة حيث كان يجمعهم على اختلاف وشتاتهم منعب واحد ، وإلا رابطة الدم واللغة . وعلى هذه الطريقة عاش العرب دهورا طويلا على الذكر غماضي الشأن - أدينا قوى منقلب جليله وصفدت كثيرة يتطورون من حيث لا يشعرون اليوم الذي يشاد فيه بدكرهم ويظهر في الأفاق صيتهم ، وما ذلك بعيد . وكانما كانت وشتاتهم قد وصلت إلى طور الاضمحلال وأدت بالسقوط ، وقد حدث بينهم نزاعى اختلاط وهرمان ، وكان قد بلغهم على مدى القرون غوامض أساء على أكبر حادثة وقعت على وجه البسيطة - أعني حياة المسيح ووفاته ، وهي التي

حدثت انقلابا هائلا في جميع سكان عدم - فلم تصدم هذه الأنباء تأثيرها من شعوان هي أحشاء الأمة العربية . وكان بين هؤلاء العرب سبب حصة أن ولد الرجب محمد (عنه السلام) عام ٥٨٠ ميلادية ، وكان من أسرة هذيلة من قبيلة قريش وقد مات أبوه قبل مولده . ولما بلغ عمره ستة أعوام توفيت أمه - وكان لها شهرة بالجليل والفضل والعقل ، فقام عليه جد شيخ كان قد نذر المائة من عمره وكان صالحا باراً . وكان أبوه عبد الله أحب أولاده إليه فبصرته عليه العزيمة فسى محمد صورة عبيد الله فأحب اليتم الصغير على قلبه ، وكان يقول ينبغي أن يحسن القيام على ذلك الصبي الجميل الذي قد فاق سائر الأسر والقبيلة حسنا وفصلا ، ولما حضرت الشيخ الوفة واللام لم يتجاوز العامين عهد به إلى أبي طالب أكبر أعمامه رئيس الأسرة بعده ، فرباه عنه - وكان رجلا عاقلا كما يشهد بذلك كل دليل . على أحسن نظام عمرى .

ولما شرب محمد وترعرع صار يصحب عنه في أسفار تجارية وما أشبه ، وفي الثامنة عشرة من عمره نراه فارسا مقاتلا يتبع عنه في الحروب ، غير أن أهم أسفاره رعا كان ذلك الذي حدث من قبل هذا التاريخ يوضح مسير - رحلة إلى مشرف الشام إذ وجد «عنى معه هبة من عام جديد ، و مسنه أحميه عظيمة الأهمية جدا في نظره - أعني الديانة المسيحية . وأتى ليست أفرى ماذا أقول عن ذلك الراهب سر جيلس «بحير الراهب» الذي يزعم أن أبا طالب ومحمدا سكنا معه في دار ، ولا مانا عساه تعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من نبي الراهب ما . فإن محمدا لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرتبة عشرة ولم يكن يعرف إلا لغته ، ولا شك أن كثيرا من أسرار الشام ومشاهده لم يك في نظره إلا عسلا مشوشا من أشياء يكرها ولا يفهمها . ولكن العلام كان له عيان ثابتا ، ولا بد من أن يكون قد اتضح على لوح فؤاده أمور وشعور فأقامت في ثانيا ضميره ولو غير معروفة ، ربما ينصحها له كبر العدة ومر العنى ، وتخلها له يد



ويعلم المتصورون من النصارى والمخلون أن محمدا لم يكن يربط بقيامه إلا  
 سيرة شخصية ومفاتيح الجاه والسطان . كلا وأيم الله لقد كان في مفاد  
 من الرجل الكبير أين القفار والموت المتقن العظيم النفس الملوء رحمة  
 . . . . . وحاشا وبراء ، وحكمة وحجى ، وإربة وهى — أتمكار عبر الطمع  
 . . . . . خلاف طلب السلطة والجساه . وكيف وتلك نفس صامتة  
 . . . . . من الدين لا يمكنهم إلا أن يكونوا عاصيين حاديين . فبعض ترى  
 . . . . . لاصطلاحات الكادية ويسرون طبق اعتبارات باطلية ، إذ ترى  
 . . . . . رضى أن يتنعم بالرف الأكاديب ، ويتوشح بمنع الأناصيل . فقد كان  
 . . . . . نفسه حصصه وتحقق الأمور والكائنات . لقد كان سره الوجود يستطع  
 عبيته كما قلت بأهواله وتخلو فيه ورواقه ومبهره ، لم يك هالك من الأباطيل م  
 يحس ذلك عه ، فكان لسان حد ذلك السر الطائل بناجيه « هأنذا » . فمثل  
 . . . . . الإخلاص لا يخلو من معنى إلهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل إلا  
 صوب خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الأذان برغبتها مصفبة ،  
 ولى العلوب وعية ، وكل كلام م عه . ذلك هباء وكل قول جعاء وما رل مد  
 لا يوزم انصون — مد أيام وحالاته وأسعاره تحول عطره لاف من الأفاد مسدا  
 . . . . . وما ذلك أنشئ العديم الهابة الذى أنشئ فيه ولى يسميه « ناس كور ؟  
 وما هى خيبة وما هو الموت ؟ وماذا تعتقد ؟ وماذا أفعل ؟ فهل أنتهت عن ذلك  
 صخر حتى حرة أو شديريخ صود الطور . أو تلك القفار والعلوات ؟ كلا ولا فية  
 عند الدور وحلاف النيل ونهر ، ولا السحوم الرعرة والأشياء المصرة ، م  
 حه لا هذا ولا ذلك وما سحوب عن ذلك لا روح الروح ولا روح الله فيه  
 من صوره .

وهذا ما يسمى لكل إنسان أن يسأل عنه نفسه . فقد أحس ذلك الرجل  
 تخشى أن هذه كبرى المسائل وأهم الأمور ، وكل شئ عديم الأهمية في  
 جانها . وكان إذا بحث عن الحوب في فرق اليونان الجليلية أو في روات  
 اليهود المهمة أو نظام وثبة العرب العاصد لم يجله . وقد ثا — إن أنفسه تختص بس

البطل وزل صغاته وأجرها هى أن ينظر من خلال عهه إلى الوطن ، فأما  
 عهه ولا سمعته ولا عسرت والإصطلاحات بينها حيلة كانت أو  
 رديئة . وكان يقول فى نفسه : « هذه الأوثان السي . سوف القوم لا بد من أن  
 يكون زرايعها وحربها شئ . ما هى إلا رمز له وإنه إليه ولا هى باطل  
 ورور وقطع من الحشب لا قصو ولا تنفع ، وما هى رجس والأصنام ، ونس  
 بوتر فى منه أنان بوتر صعت . نجوم لا يسهب . بوعدهف بجحاح من  
 عهه . لأفيس من حمر ؟ أى حبر ، فى هذه ولو . ع ناس دوه ؟ أى فى  
 و دوه فى و ديهه يعهون فى صلاقم . وهو بل بيل بدى الطمعة وه  
 سضعت عبيته حقيقة اهتسه . فب أن يحسها والآد . حط سعيه وكان من  
 الحاسرين . فلنجها يا محمد أحب لا بد من أن توجد بثور . نعيم الكادون  
 أنه الصم وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأيا . عحق ونس الله وسخافة  
 وهوس . أى فائدة لشل هذا الرجل فى جميع . . . . . عرت ونس ناع فصر  
 وصوخان كسرى وجميع ما بالأرض من تبحان وصوبية ؟ ونس نصو المائث  
 وسبحا . والى حمر جمعها بعد حبر من الدهر . فى مشيخة مكة وقصبت  
 معصن عطرف ؟ أو فى منك كسرى ونح رهمى . مؤبه محبة للسر  
 ومطررة ؟ كلا — إذن فلنضرب صفحا عن هذه با جاترس نقال إلى محمد  
 كادب . وبعد مو ففهم عار وسة وسخافة وحجة . سرأ سموسا عه ونرفع  
 وكان من شأن محمد . عسرت الساس شهر . مصان يفتضح إلى السحور  
 . . . . . وحدة دث لمر و عاذنيه . وععب العادة . أنجل وأفع ولا سيما لرجل  
 . . . . . الفد . كان خلور . عسه فياجى صعه صامتا بين الجبال الصلابة ،  
 كععب الفد . كان خلور . عسه فياجى صعه صامتا بين الجبال الصلابة ،  
 مفتوح صوره لأصوات يكون معصه لمحبه . ا . حه تلك عبادة وععب .  
 صعه كان فى ذرى من عهه وقد . . . . . فى ع . كس « حراء » قرب  
 مكة شهر مصان لعكر فى تلك المسائل تكور ، إلا هو قد حمر إلى حديعة  
 داب يوم و داب قد . مستصحب ذلك العام . أوطا . مكان حوبه ، ففان ه  
 به بعهد . عه . سحبر دموى السر . سسا . من لأمر ، ونس قد . ر  
 ( . . . )



١٠٠ مث وروح الخصاء . إن جميع هذه الأصنام محض ونسبت إلا  
 ١٠٠ لا إله إلا الله وحده لا شريك له فبهدية الله ، دل ما حلاله  
 ١٠٠ حسد وكره ، وما تحس وسائر الحق والكائنات بلا ضل له ، وبس  
 ١٠٠ لا من والرويس السرمدي ، الله أكبر والله أحمد ، شه الإسلام وهو  
 ١٠٠ دمر شه زده عن له وسكن إليه وتوكل عنه ، وتل العزة بل نفوذ هي  
 ١٠٠ لا صفة لحكمه والرضا تقسمته أن كانت في هذه الدنيا ، في الآخره ،  
 ١٠٠ ومحمد صا به ، لله ولو كان ثلوث الرؤم فلسفه بوجه مسوده وحس معصية  
 ١٠٠ حسه وعسم أنه مخير وإن لا خير إلا هو ولقد قد شاعر ذلك وأعصم  
 ١٠٠ حسد له « جاني » إذ كان دنت هو لإسلام حكمه ، وإن مستعوب نعمه كل  
 ١٠٠ من كك ، فاصلا شريف الخش فهو مسمم ، وما قيل إن متبني عقل وحكمة يس  
 ١٠٠ في مجرد الإذعان للضرورة - فإن الضرورة تخضع المرء بوعه نعمه ولا فصل فيما  
 ١٠٠ يأتيه الإنسان مكرها - بل في اليقين بأن الضرورة الألية المرة هي خير ما يقع  
 ١٠٠ للإنسان وأفضل ما يناله ، وأن لله في ذلك حكمة تطغى عن أفهده وبنادق عس  
 ١٠٠ لأدهان ، وبه من لأفي والسحق أن يحصل الإنسان من دمه عسل مير  
 ١٠٠ بذلك نعمه وأخبره بل عليه أن يعتقد أن لكونه قابو - ماذلا لرب عاب عس  
 ١٠٠ بدر كه وإن الخير هو أساس الكون والصلاح روح الوجود وينبع باب الحياة  
 ١٠٠ نعمه عليه أن يعرف ذلك ويعقده ويتبعه في سكون وتقوى  
 ١٠٠ تقوى وما ردت هذه خطه الشئ والمذهب الأشرف ، لأظهر ، وما رل رحى  
 ١٠٠ مصفا وصاله وحرأ وكرب وسائر على المهج الأقوم وسالك سبل السعادة ما  
 ١٠٠ دام معتصما بحل ، لله مسمحا بقانون الطبيعة ، الأكبر الأمكن ، غير من بانه من  
 ١٠٠ السلطانية والطواهر الوقتية وحسابات الربح والخسارة - نعم هو صاف ، د اسم  
 ١٠٠ ذلك القانون الكثير المهرى - قطب رحى الكون وعبر الدهر - وليس بصاف  
 ١٠٠ إذا فعل غير ذلك . وحقا إن أول وسببه تؤدي إلى اتباع هذا القانون هي الاعتقاد  
 ١٠٠ بوجوده ثم بأنه صالح بل لا شيء غيره صا ه ! وهذا يا إخواني هو روح

١٠٠ الإسلام وأرجح هو نص روح الضرورة ، والإسلام لو تفقهون صروب من  
 ١٠٠ تكسره ، وإن الإسلام وإن شئت به يفر ما أن توكل على الله قل كل شيء ، وأن  
 ١٠٠ يعطيه على غير شهورات وهي القلب على اهوى ، والأبجمح في عتال المني  
 ١٠٠ وإن نصرت على بيت وأسي . وإن تعرف أنا لا يعرف شيئا ، وأن برصى من  
 ١٠٠ لله دس ما فسه ويعتد به بصب . وبعمة عراء ويقول الحمد لله على كل حال  
 ١٠٠ وتوكلت شه - تر تفصل واختلا ، ويقول « إنا بقسمة الله راضون ولو كان ما  
 ١٠٠ قسم - نبوب »

١٠٠ فمن قصص الإسلام تصحه المس في سبل ، لله ، وهذا أشرف ما رل من  
 ١٠٠ سمه ، على سى لأرضه هو نور لله قد سفع في روح ذلك الرجل فأبار  
 ١٠٠ صديقه . هو صيد بهر كنف تذك الطلمب التي كانت تؤود بالخسران  
 ١٠٠ وهلاك وقد سمه محمد « عسه السلام » وحيا و« حبريل » وأيا يستطيع أن  
 ١٠٠ يحدث به نعمه ، م بخن في الإنجيل أن وحس لله بهسا «هم والإمراك ؟  
 ١٠٠ ولا شئت أن همه ونعد من صميم الأمور وجواهر الأشياء لسر من أغمض  
 ١٠٠ الأسر لا يكذ محققون أن يلمسوا ما إلا قنوره وقد قال نوناليس  
 ١٠٠ « ليس لإنك هو معجزة حنة الدرة على الله ؟ » فمشهور محمد إن اشتعلت  
 ١٠٠ روحه بنهب هذه الخفقه سبعة بأن الحقيقة المذكورة هي أهم ما يجب على  
 ١٠٠ ناسر عنه م يث لا فر ، ببيا ، وكون الله قد نعم عليه بكشفها له وبجاه من  
 ١٠٠ هلاك وبصمة ، وكوره قد ضح مصطر بل بصهارها للعالم أجمع - هذا كله هو  
 ١٠٠ معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الصداق الخفي والحق المبين .

١٠٠ وحس ، لله ، قد حنة خفقه صنعت إبه في دهشة ورثت ثم آمنت وقالت  
 ١٠٠ « رب ، سى ، خلق » وروهم أن محمدا شكرها ذلك أصبح ورأى في إيمانها  
 ١٠٠ بكلمته بخصه بعبده من تر كان صدره جملا يعرف كل ما أسدت إليه من  
 ١٠٠ قل ، وبه ليس لأروح لمس المرء ولا أتلعج عشه من أن يجد له شريكا في  
 ١٠٠ اعتقاده . ولقد قال بوغالبس : ما رأيت شيئا قط أكد ليقسى ولوث لا اعتقادي من  
 ١٠٠ انصمام إيمان آخر إلى هي رأى . نعم إنه لصحيح شعر ونعمه وفيرة . وكذلك ما

... حتى لنقى ربه حتى إن عائشه - روجه الصعيرة الخيرة  
... مجمع لسائق والمصائل طول حياتها - هذه  
... حصة سائله ذات يوم ألتست الان أفصل من حديجة ؟ لقد  
... ذهب جمها وزواي تحسى أكثر مما كنت تحبها  
... نسته أفصل مني ، و جيف وهي لست ألتست بي  
... يث لي في هذا العالم لا صديق واحد - وهذا الصديق  
... ريد ( بن حارثة ) كذبت وعلى ، وهؤلاء الثلاثة أول من

... يدكر رسالته هذا ولذلك فما كان يصادف إلا جمعونا وسخرنا ،  
... في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلا وذلك انتهى  
... التشجيع ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال . وبعد هذه السنين الثلاث  
... من قرأته ثم قام بينهم خطيبا ، فذكر دعوته وأنه يريد أن  
... أنحاء الكون وأنها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة فأبهم بعد  
... وينما القوم صامتون حيرة ودهشة ، وثب على وكان  
... عشرة عشر مرة وقد عده سكوت الجماعة فصاح في أحد هذه  
... الطهر ولا يحتمل أن القوم كانوا متباينين عمدا ومعاديه وكلهم  
... طالب علم محمد وأبو عبي ، وبكى رؤية رجل كهل أمي يبي  
... عشرة عشر مرة في روجه العبد بأجمعه كانت مما يدعو إلى  
... فانهض القوم صاحكين ، وبكى الأمر لم يك بالفضحك بل  
... الجدل والخطب أما على فلا يستعنا إلا أن تحبه وتعتشفه فإنه متى  
... ركن كثير النفس يفتن وحده رجلا ويطلق فزاده فحمة وحماسة ،  
... ولكنها شجاعة مبرورة برقة ولطف ورأفة وحسان جدير  
... القرون الوسطى . وقد قتل بالكوفة غيلة ، وإنما جنى ذلك  
... حسب كل إنسان عدلا مثله وقال قتل موته جيمنا

... في قوله « يا عيسى فإمرأى » ، إلى ألتست فإمرأى لكم ، هذان آخر ما  
... قصوه قصيره نصيرة ، و . يعقو فخر بن القوي «  
... في محمد هند ، سادة ولا سب إلى فارس حراس الكعبة وحيدة  
... ، والنصير به متهمة رجلا في ثلاثة زوايا يعود وسرى أمر محمد  
... سربا عني ، وكان عمنه مالمع سبي الوقع لدى كل  
... حيث جعد فخر - من حمد ألتى يوعه أنه ألتقن ما جميع ، وسدى يعصا  
... باطنى وعددة حسب أوشار عمنه أو ص ب ن يكتم أمره ويؤمسه  
... ، وإن يحوب به من عمنه م يشعنه عمن العدم والأا يسحط القوم ويشير  
... فحضر بدت حد ، فأجاده محمد « والله لو وصعوا الشمس في  
... يسرى عني ن ترك هذا الأمر حتى يظهره لله أو أهلكه ما  
... كلاً فإن في هذه حقيقة نى جاء بها بشيا من عصر الطبيعة ذاتها لا  
... غمر ن من مصوغات الصبغة ، ولا بد لذلك حقيقة من أن  
... الشمس والقمر ما قد ردت أن تظهر ، ويرعم قرين جميعها وبكره  
... برغم الشمس والقمر ما قد ردت أن تظهر ، ويرعم قرين جميعها وبكره  
... حاله والكمات - من لا من ن تظهر ولا سمها إلا أن تظهر بذلك  
... ، ويقاب به « غرور عينا » لقد ألتس من عمنه البر والشعقة  
... غرورك وغورة حد ، وعمنه به فخر يس باهين الله ونكهة أمر صعب لموس مر  
... لمدق

... يستمر يؤدى رسالته ن كير من صعى إليه واستمر مدبه بر الحجاج صفة  
... فاسهم عنه ، ويسعمل الأتباع ها وهالك وهو يشقى أثناء كل ذلك متباينة  
... مائة ومائة عداوة ومحاجة وشرا نادا وكاب ، وكانت قرابه جميعه  
... ، ونكهة عزم هو . عدى المنيرة بن حسنة فوقع خبر دت العزم  
... ففرش من موقع وصامت حقيقه عمنه ، فقصوا - الأشر ك و - الحياتل  
... ، لآله لقب محمد - س - و نادب حدت قد يوهب وتوقى أنو  
... ، وعمنه ، محله ن . عمنه لس عى حة إلى أن برنى به والحاله  
... صفت - م - فخره فخر ، عزمه مع أن سالة ن ذلك

دن إلى الحسام أليهد والرشيع تقوم وإلى كل سروردة حصدته وساعة جردناه !  
وكانك قصي عمد بقية عمود وهي عشر سبوت خيري في حربية وجهاد لم  
يسرح عممه من ولا ملو فوف ، وكانت النتيجة ما تعلمون !

بعد قليل كثير في شدة عمد ديه بالمسيح ، فواد جعل اسلح شدك  
دسه على قسه من حصة ، وبارو لهم يقولون ما كان لبيح لستمر ! لا  
سيف ، ولا حتى ما هو سكي أو جد سيف هو قوة ذلك لبيح وأنه حق وثرائ  
حديث ثوب ما سد ، لحيون في ريس رجل واحد فالدي بعقده هو فرد - فرد  
صه عام جميع قوم ساد همد عمود سيما وقام في وجه سبب قفصه والله  
بصحيح ، وزيك على بغيره من حو بشر همده برة خريفة حه سيما تقصيه الحو  
ولم يروا من حيرة كيت لا تألف من تسخدم سبوت حه ، وحسبكم ما  
عمل شاربش بقتل شمسكونه ، ونا لا أحمل أكران من تخليق بالسيب من  
الاسلح أن بابه به خوري فسد حقائق بشر سلطانها بالهنا ، أو بالصحافة أو  
بالبار ، مدعيا تكليف وجاهد بديها وأرجلها ، فطاروها ما يبا من تيرم ، لا من  
كان يستحق أن يهرم ، وليس في طائفتها قط أن تنفي ما هو خير منها بل ما هو  
أحبط وأدنى ، فابها حوب لا حكم فيها إلا بلطيفة ذاتها ، وهم الحكم ما أعدل  
وما أقسط ، وما كان أضيق جفرا في الحق وأذهب أعراق في النسيمة فذلك هو  
الذي ترونه بعد افروح والروح وخير صاء والطلبة باميا راكيا وحده .

اقول الطبيعة أعدل حكمه ، يلي ما أعدل وما أعقل وما أرحم وما أحلم .  
بأنك تأخذ حبوب القمح لتعطيها في بطن الأرض ، وريحا كانت هذه الحبوب  
على طلة بقتور تين وقصامة وتزرب وسائر أصناف الأفاة ولكي لا يفسد عليك من  
ذلك ريق الحبوب بجميع ما يحاط بها من القدي في حوف الأرض ، المعادلة البسرة  
فابها لا تعطيك إلا قمحا خالصا نفا ، فاما القدي فابها تبلمه في سكون وتحمه  
ولا تحرمه شمه ، ما هي برة حتى ترب الصبح ، كبر بمر كانه مسائلك  
الاهب لأورب . . . لا تروه خلوت كشفا على أوك ، أغست ، ن بها  
دعيا ديب . . .

سنة و . . . كما لم ير إنسان فسط ، فلقد كان يجتبي في الكهوف ويهر  
سخر من حد للكان وإلى ذلك لا ساري ولا يحمر ولا ناصر ، تهبدده الختوف  
وسوعدة الفسكات وتقفز له لوراعها لمابا ، وكان الأكر يتوقف أحيانا على أدنى  
معمرة - كما جعل فرس من أمريس أياح عمد - فلو حدث ذلك لصاح كل  
شيء ولكنه أسر محمد - ذلك الأكر العظيم - ما كان ليتهمى على مثل تلك  
أحوال .

فلما كان العام الثالث عشر من رسالته وقد وجد أعداءه متالين عليه جميعا  
وكانوا أربعين رجلا كل من قبيلة التمره به ليقبلوه ، والقي انقام مكة يستجلا  
ما جرب بل يثرب حيث لعد به الأصهار ، والبلدة تسمى 'لأن المدينة' أي مدينه  
التي وهي من مكة على ٧٠٠ ميل تقويم وسط صخور وقفار ، ومن هذه المعجرة  
يتعدى التاريخ في المشرق ، والسمية الأولى من المعجرة توافق ٦٦٢ ميلادية وهي  
السمية الخامسة والخمسون من عمر محمد ، تدور أنه كان قد أصبح إذ ذاك شيئا  
كبيرا ، وكان أصحابه يمزنون واحدا بعد واحد ويخلون أمامه مسلكا وعرا وسيللا  
قبرا وخطة نكراء موحشة ، فإذا هو لم يجد من فأت نفسه مشدحا وعركا  
ويغتر بمره يتوارع أمل يذنب جنبيه فلهيات أن يجد بازقات الأمل فيما يصدق به  
من عو اس 'الخطوب' ، ويحيط به من كالحات نحر واللمسات . وهكذا شأن كل  
إنسان في مثل هذه الأحوال ، وكانت برة محمد حتى الآن أن يشر ديه بالحكمة  
والموعظة الحسنة فقط . فلما وجد أن القوم الظالمين لم يكفوا ارفض رسالته  
السماوية وعدم الإصغاء إلى صوت ضموه وصيحه له ، حتى أكرأوا أن يسكروه  
ولا يتلقوا بالرسالة - عزم ابن الصخره على أن يلقى عن نفسه دفعا ورجل ثم  
دفاع عزمي ولسان حاله يقول : وأما وقد أبت قريش إلا الحرب فليطروا أي  
فتيان هيحاء نحر ! رجفا رأي . فان أولئك القوم أغلقوا آذانهم عن كلمة الحق  
وشريعة الصدق ، وأبوا إلا عنادا في ضلالهم يستميتون الحريم ويهتكون الحرمات  
ويسلطون ويتهبون ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ويأتون كل إثم ومنكر .  
وقد جاءهم محمد من طريق الرق والأناة هابا إلا أعورا وطمانا ، فليجعل الأكر

منه في جمع شئونها فهي حتى لا يهمل وهي عطيمة وعائلة ورحمة حسنة ،  
من لا تشترط في الشيء إلا أن يكون صدق اللب-حضر الصميم . فإذا كان  
من جمته وحرمته أو كان غير ذلك لم تحمسه ولم تحرمه . فمضى لكل شيء  
بخطيئة روحها من الحق ، أليس شأن حبوب القمح هذه والطبيعة هو  
من شأن كل حقيقة كبرت جأها ، بل هذه الدسا أو تحي ، فما بعد ؟ نسى  
حكمة مريح من حق ووص ، بور في ظلم وتحسنا خفائق في ثوب من  
لطفية وطريرات غسة من الكائنات لا يمكن أن تكون تامة صحيحه  
... ثم لا بد من شيء - بزم بعصر فيه خصها وحظها وجورها فتعرب  
حبيب . نعم يموت وينهب جسم كل حقيقة ولكن الروح يبقى أبدا ويتخذ  
... صهر ويدنا أشرف ، ومن يران يتقبل من الأثواب والأبدان من حسن إلى  
حسن ويجيد إلى أجود سنة عطيمة التي لا تتبدل ، نعم إن جوهر الحقيقة الكريم  
حتى لا يموت وبوت النقة دمه وأمر يوحد الذي يعرض في حكمة نصيحة  
... من قصائنها هو هن حد . روح حق وصوت من أعماق الصبيبة ؟ ونسب بهم  
... الطبيعة ما سمعه داء ، حتى لو عدم بقائه وليس هو بالسور النهائي . يسس  
لهم عدم الصبيبة حينه تقدم إليها أسب تنصدر حكمها حيث هو . فيحدث  
منه ولا كدرا أم لا ؟ وإنما هو فليك جوهر حق وروح صدق أم لا ؟ ثم بعصرة  
... صبيبة ليس بسور داء عدم الطبيعة هو أفيث قشور أم لا ، من أفيث قشور ؟  
... من بعض الدرس أنه يعني ؟ يعني أقول له « نعم نفى - نفى جد ويكنف فشر -  
... كنك نطل و... » . رزور وزوب سلا رزح ، وعمره اصطلاح وعادة ، وما  
... بسك ويزن سر... . وقبب من وجود سبب ولا صفة ، ولتوقع أسك لا نفى  
... لا غير نفى وإنما أسب لا شيء والطبيعة لا تعرفك وإنما ملك براء .  
... نحن سمنا الإسلام صربا من النصرانية ، ولو بعصرا إلى ما كان من سرعته إلى  
... غلوب وشدة امتزاجه بالموس واختلاطه بالسماء في العروق لأيقنا أنه كان خيرا  
... من تلك النصرانية التي كانت بذاك في الشمام واليوهان وسائر تلك الأقطار  
... والاندلس - تلك النصرانية التي كانت تصدغ الرأس بعصفتها الكاذبة وتبوك

القلب بطلانها قفرا ميتا : على أنه قد كان فيها عنصر من الحق ولكنه صغيل جدا  
... وبعضله فقط آمن الناس بها . وحقا إنها كانت صر كادها من النصرانية  
... ك... نفى من الأصلاء ، ولكنها صرب حتى على كل حد . من حياة قلبية وليس  
... مجرد قصايا قفرة مته .  
... ونظر محمد من وراء أصنام العرب الكاذبة ، ومن وراء مذاهب اليونان  
... ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم - نهر بن القمار والصحابي  
... بقفه بصير صادق وعية شرفقة الجلية إلى لب الأمل . روصيمه فقال في  
... نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الأصنام التي تصقلوبهم بهربت والدهن فيقع عليها  
... مدب نحشاب لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وفطيع : ككفر لو تعلمون . إنما  
... حتى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عصفنا ويده حياتكم وموتكم ، وهو  
... أرفأ بهم منكم ، وما أصابكم من شيء فهو خير لكم من كتمت تقهون .  
... وإن ديننا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه ، فزعمهم النارية للظهر أن  
... يكون حقا وجدوا أن يصدق به . وإن ما أودع هذا الدرس من القواعد هو الشيء  
... التوحيد . مدى بلا سار أن يؤمن به ، وهذا الشيء هو رز . جميع لأديان - روح  
... تيس أثوابا غفلة وأثوابها متعددة وهي في الحقيقة شبر ، وأحد ، وباقع هذه  
... الروح يصبح إسان إماما كبيرا ضد المعبد الأكبر « رز » جاريا على قواعده  
... حتى تبعا حو به لا محو لا عث أن يقدموها ويدافعهم . ولم تعرف قط تعريفا  
... بدوجب نحش من هذا ، وبصورت كل الصورت في . سبر عسى مهاج الدنيا  
... من علاج في ذلك ( بد كان مهاج الديسا هو طرز . علاج ) : وجاء محمد  
... وشبه النصراني تقبه أسيرق احد وتتحاطب بالحجج 1 . دائرة ، وماداد أفاد ذلك  
... ومرة كثر ؟ ثم أنه الأهم بين صحبه ترتيب التصدي . دقيقة وحسن باحجها ،  
... وإنما هو أن حتى الله وأبناء آدم يجمعون ملك الحقن 1 . رى لقد جاء الإسلام  
... على تلك المثل الكاذبة والضل الباطلة فاطلعها ، وحق . أن سلمها لأه حقيقة  
... حارحة من قلب الطبيعة وما كاد يظهر الإسلام حتى 1 - بوقت فيه وثبات العرب

وحدثات الصورية وكل ما لم يكن بحق مذهب ميت أكله مار الإسلام وهب والبار لم تذهب .

ما القرآن فإن مراد بحجاب المسلمين به وقومهم بإعجازه هو أكثر دين عسى خلاف الأول في الأمة المحممة . هذا رب الرحمة تذهب بأكثر جهل الصفة . والصفة . ولذلك لا أعجب إذا قلت رب الأوربي يجد في قرابة القرآن . نعم . نعم . كما نقرأ : « خذوا القرآن بغير عياء فهو يقرؤه كما نقرأ » . لا يقرأ بقطع في صحتها فقاراً من القول . نعم . نعم . ونحس على دعت هضاباً وحبالاً من الكلام لكى يمشى في علال ذلك على كلمة معيدة ، أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذوقهم من الملازمة ، ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسنه ووريقه فلذلك رآه العرب من المعجزات وأعطوه من التبريل ما لم يعطه ألقى النصارى لإعجلهم ، وما يروح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل ، والقانون المتبع في شئون الحياة ومستنبا ، والوحي المرن من السماء هدى للناس وسراجاً مبدئياً . يضىء به سبل بعض رعايتهم صراط مستقيماً ، ومصراً أحكاماً ، بقصة ودرس الواجب عسى كمال مسلم . حفظه والاستشارة به في غيبه الحياة . وفي بلاد المسلمين مساجد يبنى فيها القرآن جميعه كل يوم مرة يتقاسمه ثلاثون قارئاً على التوالى ، وكذلك ما يروح هذا الكتاب يرون صوته في آذان الألواف من خلق الله ومضى قلوبهم لتسعى عشر قرناً في كل آن ولحظة ويقال إن من الفقهاء من قرأه سبعين ألف مرة .

إذا خرجت الكلمة من اللسان ثم تتحور الاداء ، وإن خرجت من قلب فتد إلى القلب . والقرآن خارج من فم محمد فهو جليل أن يصل إلى أقدسة سامية وقارية . وقد زعم « براديه » ومثاله أنه طائفة من الأخلاقيات والترويق لخص محمد ليكون سنداً به عما كان يرتكب ويقترف ، ودرجته يسرع مصداقه ، ولكنه قد لا يروى . جميع هذه الأقوال جارية لأصعب من من يرمى محمد كمثل هذه الأكاذيب ، وما كان ذو طر صادق يرى فقه في « نشر » من ذلك الرأى بطل ، والقرآن لم يتصور به هو ولا حرمات دالكاب قدعت بها نفس وحل كبير النفس بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلفات الصامتة ،

وكانت احصر بركم عليه بأسرع من لمح النصر وسراجهم في صلوه حتى لا تكاد تجد عجزاً . وقال ما نطق به في جانب ما كان يجيش بنفسه المطيعة القوية ، هذا وقد كان تدفع الوقائع وتلقى الخسوف يمنحه عن رؤية القول وتعميق الفكر . وبها لها من خطوط كانت تطيح به وتطير ، فلقد كان في هذه السنين الثلاث والعشرين من حركات ملاحظات متصدمات ، وعالم كده مروح ومرح وفن ومجن - حروب مع قرين والكفار ، وعناصرات بين أصحابه ، وهياج نفسه وثوراتها - كل ذلك جعله في نصب دائم وعناء مستمر فلم تذوق نفسه الراحة بعد قيامه بالرسالة قط . وقد أنجيل روح محمد بالحياة المادية وهي تتعلم طول الليل الساهر ، يطعم بها الوجد ويوسس ، وتلور بها دولارات الفكر حتى إذا أسفرت لها بارقة رأى حسنة نوراً هبط عليها من السماء ، وكل عزم منفس به ، يخافه جزير وزججه ، أروعهم الأماكون الجبهة به مشعور وعمال ؟ كلا ثم كذا ما كان قصه ذلك القلب المحنم المخلص كأنه تصور فكر ينفور ويتأجج بكيوب قتل ومشعور . لقد كانت حياته في نظره حقاً وهذا يكون حقيقة رائعة كثيرة

والإخلاص المحض الصراح يظهر لي أنه فصيحة القرآن التي حيثه إلى العربي التوحش ، وهي أولى فضائل الكتاب أب كان وآخرتها ، وهي مشأ مصان غير هـ . لا شيء غورها يمكنه أن يبعث للكتاب لفضائل أخرى . ومن المعجب أن يرى في غروب عرقاً من الشعر يجرى فيه من بدايته إلى نهايته ، ثم تتخلله نظرات بالذات - عرمت سي وحكم . حل نقد كان محمد في شئون الحياة غير بصيرة ، ثم كان قدرة عطية على أن يوقع أذهانها كل ما أبصره دمه ، ما لا أحمل كثير ما جاء في فقر من الصور والتجديد والتعجب لأرى أرى ما في الإيجل شبيهاً ، وكفى . لابد لإعجاب بالسطر الذي يبدى إلى أسرراً لا مبرور فيه . نعم ما يمدنى ومعنى ، وهو ما جده في القرآن ودمت كما قلت قصص . بلوقته من يشاء .

وكان محمد إذا سئل أن يأتي معجزة قال : حسبكم بالكون معجزة . انظروا هذه الأرض البسيطة من عجائب صنع الله وآية على وجوده وعظمته ؟ هذه الأرض التي خلق الله لكم ونهج لكم فيها سبلا تسعون في مائة وأتاكم من ورقة . وهبها السحاب المسور في الأفاق لا يبرى من كفن جاء ، وهو مسخر في مسحة . كن سحابة كمارد أسود ، ثم يسبح غائاه ويهضب ليحيى أرضا مواتا ويخرج منها نباتا ونجيلا وأصاها . أليس ذلك آية ؟ والأصنام خلقها لكم تخول نكباتها وهي فخر لكم ، والسفن - وكثيرا ما يذكر السفن - كالجمال العظيمة سحره تشرب أحشائها وتحتجز في سوء الهم لها حاد من الريح ، وينسا تسير إذا هي وف . وقت بقة وقد قبض الله الريح معجزات وأى معجزات بعدها تزيلون ؟ نسئتم أنتم معجزات ؟ لقد كنتم صعدا وقيل ذلك لم تكونوا أبدا ، ثم لكم جمال وقوة وعقل . ثم وهبكم الرحمة أشرف الصفات « وتهرسون ويأتاكم المنيب وتصمون وتهن عظامكم ، وتموتون فتصبحون غير موجودين » ثم وهبكم الرحمة « لقد أنهشتى جدا هذه الجملة فإن الله رعا كان خلق الناس سلا رحمة صمدا كان يكون أمرهم ؟ هذه من محمد نظرة نافذة إلى لباب الحقيقة . وكذلك أرى في محمد دلائل شاعرية كثيرة وآيات على أشرف الخامد وأكرم الخصال ، وأتيسر فيه عقلا راجحا عظيميا وعيا بصيرة وفؤادا صادقا ورجلا قويا عبقريا لو شاء لكان شاعرا فحلا ، أو فارسا بطلا ، أو ملكا حليلا ، أو أى صنف من أصناف البطل .

نعم لقد كان العالم في نظره معجزة أى معجزة ، وكان يرى فيه كل ما كان يراه أعظم المفكرين حتى أنه الشمال بسوحشة ، وهو أن هذا الكون المصطب المادى إنما هو فى الحقيقة لا شيء - بقا هو آية على وجود الله مصورة ملموسة ، وهو ظل علقه الله على صدر القصاء لا غير وكان يقول جبال أوتاد الشاخات ستحل وتلويب مثل السحاب وتفسى ، وكان يقول جبال أوتاد الأرض ، وأنها ستفى كذلك يوم القيامة ، وأن لأرض فى ذلك يوم السوم العظم تصدع وتفتت وتذهب فى القضاء هاء مشورا فتعلم . وكان لا يزال واضح

لعييه سلطان الله على كل شيء ، وأتلاء كل مكان بقوة مجهولة ورنق باهر وهول عظيم هو القوة الصادقة ، والجهر والحقيقة ، وهنا ما يسميه علماء العصر لقوى والمادة ولا يبرقه شيئا مقلما ، بل لا يبرونه شيئا واحدا وإنما أشياء تباع بدورها وتوزل بانتشار وتستعصم على تسير السهم الحاربه . عسرعان ما تسب الحسرات وحسرت ما يكمن فى الكائنات من سر الله وما أفضح دندت لسياس حار وكبر هذه حكمة البما وبدا سيب دندت فأى الأمور يستحق الذكر ؟ بدت فمعصم لغوم نشء من حافية بالية - بقله دابه معصم ، وما أحسب العصور - بولا دندت - بولا حسب يابسا ميتا وليس هو بالشجرة البامية ، ولا بالهامة الكريمة المتعة التى لا تترج تمذك بالحسب إثر الحسب فيما تمذك وتعطيك : ولن يجد المرء السبيل إلى العلم حتى يجده أولا إلى العبادة ، أعنى أنه لا علم إلا لمن عبدا ، وإلا فلما العلم إلا شقيقة كاذبة وبقلة كما قدت ديلة .

وقد قيل وكتب كثيرا فى شهوانية الدين الإسلامى ، وأرى كل ما قيل وكتب جورا وظلما . فإن الذى أباه محمد بما تحرمه المسيحية لم يكن من تنف ، نفسه وإنما كان جاريا متبعا لدى العرب من قبسم الأزل ، وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده وحمل عليها من الملهود ما كان فى إمكانه أن يجعل . والدين اعمدى بعد ذلك ليس بالسهل ولا بالهين ، وكيف ومع كل ما تعلمون من الصوم والوضوء والتواعد الصعبة الشديدة .. إقامة الصلاة خمسا فى اليوم ، والحرام من الخمر ، وليس كما يزعمون كان يحاج الإسلام وقبول الناس إياه لسهولته ، لأنه من أفضح الظعن على بنى آده والقدح فى أعراسهم أن يتهموا بأن الباعث لهم على محاولة البلائل وإتيان الحسنات هو طلب الراحة واللذة التماس الخمر من كل صنف فى الدنيا والآخرة ! كلا فإن أحسن الأدبيين لا يخلو من شيء من عظيمة وجلال ، ولجندى الجاهل يخلف الذى يوجر بحبه وروحه فى الخمر ما آخر حس . مع ذلك « شرف » يخلط به ، هتراه لا يترج يقول لأفنى - دت وشرفى . ولست أسمه أحقر الأدبيين هى أن تأكل خلوى ، بل أن أى عملا سريعا فعلا محمود وشب سس أنه رجل فاضل كريم . ليعمل أبكم

ما ناله محمد في تربيته الرقيق بيده ، فكان ذلك تكون عصمة وهكنا يكون الأبطال .  
 وكانت آخر كلماته تسييحاً وفتلاً - صوت مؤذنه بهم بين الرجاء والخوف  
 أن يصعد إلى زيه . ولا تحسب أن شبهة تشبه أشرت بمصله ، كلا بل زادت فضلا  
 . وقد يروى عنه مكلمات عالية منها قوله حين رأى دلامه العيس تدمع والقلب  
 يورجع ولا يقوى ما يحفظه الرب . ولما استشهد مؤذنه ربه . « ليس حارثة » في عروة  
 « مؤذنه » قلب محمد : لقد جاهد زيد في الله حتى جهده ، ولقد لقى الله اليوم  
 ولا بأس عليه . ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك بيكنى على جنة أبيها - وجدت  
 الرجل الكيال الذي دهب في رأسه المشيب يربوب قلبه دمعاً اقبالت « ماذا  
 ربي ؟ » - « صديما بيكنى صديقه » مثل هذا ، الأقوال وهذه الأفعال تربية  
 في محمد أخص الإنسانية الرحيم - أبحاثا جميعا الرعوف الشفيق ، وابن أسما الأولى  
 . ليس لأحد .

وإنني لأحب محمدا لبرائة طبعه من الرياء وانتصع ، ولقد كان ابن القصار هذا  
 رجلا مستقرا الرأي لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه : ولم يلك  
 متكررا وكذا ، لكن ذللا صرعا ، فهو قائم في تربيته الرقيق كما أوجده . الله  
 ولما أرى - حصص بقوله الخمر المين قياصرة الروم وكاسرة المعجم يرسلهم إلى  
 ما يحب غيبه هذه لحدة ونجدة لأخرة . وكان يعرف نفسه قدرها ، ولم تخل  
 الحروب سببه التي وقعت له مع لأخر من مناهد نفسه . ولكنها لم تخل  
 كذلك من دلالة حمة وكرم وعفوان . وكان محمد لا يتبر من لأولى ولا  
 يمتحن - - - - - إذا كان يراها من وحى وجنانه وأوامر شعوره . ولم يكن  
 رجلا - - - - - شبهه ولا شعوره بالطين . وكان رجلا ماضى العزم لا يؤخر عمل  
 يومين - - - - - زمان كان يذكر يوم « ثوبك » لأخي رجب سحر إلى موطن  
 « ثوبك » - - - - - خصصه ربه - - - - - خصصه الله - - - - - لا يست  
 إلا يوم - - - - - مؤذنه - - - - - حرة ٩ رحر ٩ عم ٩ عم ٩ حرة ولكن جهنم أشد حرا  
 وزيد حرة - - - - - دلامه جهنم وسحرته ، يد يقوى للكمال ستجرون يوم القيامة  
 عن أخصكم ويورون لكم الجلاء ثم لا تبحس من مثقل ذرة .

سبيل المكرمات والخامد فإذا هو قد تأجج قلبه حماسا ،  
 . صعب نفسه - - - - - ويصار في الحال بطلا . وما أظلم الذين يتهمون الإنسان  
 . محمد به - - - - - بنى الرأفة ، وإنه يستهوى بالترف ويستوى بالذلة . إنما  
 مع - - - - - جدياته هي الأحوال والصعائب والاستشهاد والقتل . أقدح ما  
 - - - - - الفصل تلك نارا تحرق ساكر ما فيه من الخشاش والمقانس ،  
 . - - - - - فط اعتقد الناس للدين من دواعي الشرف والعظمة .

وما كان محمد أخصا شهوات برغم ما آتاهم به ظلماء وعلواتا ، وشدد ما عجز  
 . حتى - - - - - حساه رجلا سهويا لا هم به إلا قضاء مأربه من - - - - - كذا ، هذا  
 أبعد ما كان بينه وبين اللذات أيا كانت . لقد كان زاهدا متقشفا في مسكبه  
 وما كاله ومشر به وملبسه وساكر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ،  
 ورعا تابعته الشهور ولم تتركه بذاته بار . وإنهم ليدذكرون - - - - - ونعم ما يذكرون -  
 أنه كان يصلح زير مؤذنه بيده ، فهل بعد ذلك مكرمة ومصحرة ؟ محمد ، محمد  
 من رجل خشن اللباس عشن الطعام مجتهد في الله قائم النهار شاعر الليل ؛ دأب  
 في نشر دين الله غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال من رقة أو دولة أو  
 سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم وريكم وبلا  
 فما كان ملايقا من أولئك العرب الغلاظ تفرقا واستداما وإكبارا وإعظاما ، وما  
 كان يمكنه أن يقوده ويبدلهم معطى زفاته ثلاثا وعشرين حجة وهم مسجون  
 به يقاتلون بين - - - - - وجه ويجهلون حوله . لقد كان في هؤلاء العرب جهاء وعظمة  
 ومادة وعجزه ، وكان حمة الأنوف نابة الصميم وعمر مفادة صعب تشكيمة .  
 فمن قدر على رصاصتهم وتذليل جانبهم حتى رضعوا له واستفادوا فذلكتهم وأبهم  
 الله بطل كبر . ولولا ما أبصروا فيه من آيات السل والفضل لما خضعوا له ولا  
 أدعوا ، وكيف وقد كانوا أطوع له من سانه . وحتى أنه لو كان أتيح لهم بدل  
 محمد يقصر من القياصرة بتاجه وصوخله ، لما كان مصيبا من طاعته منقاد .









سمة - مازال بين السبي والشاعر لو يفقه الساس شبه قريب . وما يرحم  
 - واحدا من حيث إن كليهما يمد بصره إلى مسر الكائنات للقلوب .  
 - سببه « جاني » السري الجلي ، الجلي لكل إنسان ولا يكاد يولد مع ذلك  
 - سر الإلهي الكائن في كل كائن - للاستقر في باطن « الطاهر » كما  
 - يشي « - السر الذي ما جميع الطاهر من النجوم الزهرية إلى الرياض  
 - بصره في طواهر الإنسان وأفعاله ، إلا ثوب له ويلد بردي فيه ويظهر معه  
 - فسره ينهي في كل زمان ومكان موجود ولا ريب ، وربما أحسنه ناس في  
 - معتم الأوقات والبلديات إذ يحسب الكون الذي هو « فكر الله الخلق » شيئا  
 - عاديا تأملها هائلا كأنما هو شيء حامد تولي صنعه النجار واحد - ولا داعي له  
 - ولا تكسار في ذلك الموصوع ، ولكي نقول ويلد لسي لا يفقهون ذلك  
 - ولا يؤمنون به ، ويلد بهم وأسف عليهم ، وما يؤس للحياة إذا كانت عتور  
 - مشبوعة بدنت<sup>١</sup>

ولكني أقول من كان من الناس يسمى ذلك ويفعله ، فإن « الفاتس » أعسى  
 الشاعر لو النبي أخذت الفتى القديمة لم ينس ولم يفعله ، ولكنه نقذ إليه بصرته  
 ، وبما أرسله الله ليعمل ذلك ويكشف من سر الله ما غطف .

هذه هي إبداء رسالته إلى الناس أن يجدوا لنا غامض السر - ذلك السر الذي  
 هو إليه أقرب وبه أعرف من سائر الخلق ، فإذا نسوه فقد ذكره مسوقا إلى ذكره  
 بأقوى دافع من ذات نفسه ، عالشا فيه من حيث لم يزد ولم ينقص فهو يسر  
 لغناد القول ولكنه نظاره مستدئ محقق ، فهو لا يستطع . لا ينكر محص  
 ومن عاش من الناس وطواهر فهو العائش في صميمه جاني ، جمع في  
 الله حانة في مشنور حده ومكناش ولو عشت العالم طريف الإحسان أو  
 نسان شاعره بصره ، وحك شريك شاعر ونبي في بركة سرته خدي  
 فها من حيث ذلك واحد

من الفرق بينهم في ذلك وهو أن السبي قد تناول هذا السر القلبي من وجهة  
 صر والسر المخطور والساح وتناول الشاعر من وجهه الجمال والحس

والجلال وما شاكل : فأحدهما إلهادي إلى ما فعل . وثانيهما الدال على ما  
 بعثني ، عني أنهما بعد متاخلان وفرعان متعاقبان لا يمكن الفصل بينهما وقسم  
 حروتهما ولا يحنو السبي أنصا من سع جمال أب كد ، ولا فكيف له أن  
 يصور ما يحب علما إتيانه ؟ ولقد جاء في التوراة - وهو قول نبي - آية عظيمة  
 في تحسب كد ما علمه سحر وهي « نظر إلى دهر الرياض فأنك لا تراه  
 كدح ولا يجر ولا يسبح . ومع ذلك قد كسى من ثياب الهبة وبرود  
 عسى ما لم يحسه سليمان في رمال ملط »<sup>٢</sup> ليس هذه آية لمره « نصيره  
 سافدة إلى أعماق أعماق الجمال ؟ » وهو الرياض « رهن من صون لونه في  
 أنسب من مطارف ، الأمر ، ومن من حصل الملوك وهي بعد ثابتة من الثرى  
 مواضع لزرب شخص . كذب عيون الملاح تربو إليه من خلال حبر الجمال  
 الباطن . وهل كان للأرض أن تصوغ هذه الأرواح لو لم يكن الجمال جوهرها  
 رعا من طهره لجمع شتات<sup>٣</sup> ومن ثم قال « حجب » قولوا ستكروه الكهرون  
 وهو : « الجمال أفضل من الخمر ، والجمال يشتم عني الخمر وأكثر » وإنما قصد  
 إلى الجمال الحق الذي يفضل الجمال الكادب كعب تفصل حدائق الجنة غابات  
 « بولونيا » ، وحسبنا ذلك بيانا للفرق بين الشاعر والسبي .

فقبل في سراء الأعصر القديمة والحديثة من يحسبه السبي كاملين قد بلغوا  
 العاية القصوى رعا حور زينة الله بـ كال صهره الصديق فهو في الواقع  
 أحدهم . إذ حقيقة أنه ليس في جميع الشعراء كد . في شعر عرقى بحرى  
 في صميمه كل مرثى لا حومه ، وكل إنسان يحس فيه قصيده فهو في ألب  
 قرينتها شعر ، وما لفة . لاني يوراع « لاوة حجب » « دي » « لا من صفة مؤن  
 ذلك ساعر زور . دد عبد قبل ساعرية . ومع ذلك غير شك سحر شاعر على  
 شقائق قصصه هدمت من حيث حركته بدوية . « حجاب » السع « ساكس  
 جوامع حجاب »<sup>٤</sup> ونحله - من بسب ولا يستطيع - جميع قصة ما من ليل  
 الحكمة يلهن متاراه من دوده وردة متفكر من حبه لله من فهو حبال تـ  
 صفة « وفي ليله »<sup>٥</sup> دد حصره دوقه ما دد حجاب في مرثى نمدد دد

للناس بدا في مصنف موسيقى ، أي بدا في صوت الماء ، وراثي أرق معنى الضاء  
عوضا مديف ، - - - - - من استطاع أن يصف لنا أثر ماء بالميم أو  
باللنار ؟ وبعاء صرب من الكلام المسحجل النطق ونسأله معنى ، الذي  
يذهب به إلى شوصي ، يتجوز فيرك منظر برهة في ذلك البحر

أجل يا في جميع الكلام حتى في كثرة استعماله من معجم والعاء  
رئيس لمة قرية في العالم مهما حققت إلا وأهلهما فحة قد حصر بها مطلقهم  
و كلالهم - فهذه بهجة هي العمة التي يعنى بها أولئك القوم من نقولهم من  
الكلام ! نعم إن البهجة ضرب من التشيد والرمز ، وم من قوة لا وطم طمحة  
حصولها بها ورب كبر لا ينصون إلا لنهج عيرهم ، ثم ذكر أيضا أن كل  
كلام صادر عن انتقال فإنه يلبس بطبيعته ثوبا موسيقيا . بل أرى كلام المنصين  
صوتا من بعد ، وهكذا كل لبا وضميم وشيء عمق فهو عد ، بل يظهر لي  
أن لعاء هو لب حوهرى ، وإن كل ما ف بعد ذلك الباب أو لعاء فوما هو  
لعايف وقشور وعنده ! بعد لعاء هو أول عناصرها وتم اصر جميع لأشياء ، ولقد  
كانت أيوان تقرب في حراتها بل لمت في مسير موسيقى ونزل ذلك كان  
ديلا على ما كانوا يشعرون به من تركيب الكائنات الباطني وبمعها الداحي ،  
وإن روح أصوتها وتعبيرتها لم يك إلا عداء وموسيقى وعنى ذلك فمسمي  
الشعر فكر موسيقيا ، وشاعر هو الذي يفكر على هذه الصورة وأساس  
ذلك هو في حقيقة قوة ذهن ، وبه الإحلاص وبعاد البصيرة هما اللذان يتخللان  
مرء شاعرا . بصرى صميم الأشاء يكن بطرك موسيق ، فإن وب الطمعة هو

لموسيقى لو تحدث أن بعد إليه  
ويظهر لي أن الشاعر - كاشف أسرار الوجود بنغماته - ينزل من نفوس  
الناس موره محض جد من موره نسي ، إذ يروون منه تافه ، وروسمه جمعية  
عدا النصل عندهم أولا ، بها ثم س شاعر ليس في ذلك دبل على اعداد  
الرجل عظيم هي تطار ، عنى سوان الرمس ، فإن به أولا لها ، ثم د وحى  
إسهي ، ثم لا رى به بعد ذلك ، لا نظم أسعد خيله ورجلها واما ما وب

بره وساترة ، فكل رجل ياق حصه من البرهة للشعرية خطوط سائر قومه  
ي تصع أمره بينهم كالمرة في القوس الطيس والأبلق وسط الدره  
- - - - - سموه شاعرا ، وكذلك شأن بعداهم أكثر شعراء العالم فإن من  
شعره قد بر في مصد شعر حتى بر القراء ، وحق في سماء أحياء  
- - - - - أجمعو على جلاله وتيموه شاعرا عاما على أن مثل هذا  
- - - - - في الحقيقة لا مسألة ذوق أو عاص ، فإن في جميع شعراء  
- - - - - حية من شعور العام أو شاعريه العامة لم يخل فرد من ذلك  
- - - - - ما يسمى الناس معص شعراء ثم لا تخفى أن لأغصم الأقصص منهم  
- - - - - من شاكسبر وهو معروف : إلا ملايين من الشبان حظوظهم ، ولا بد من يوم  
يصبح أمرهم فيه نسيا منسيا .

رسائل أن يسأل : أي فرق هناك بين الشعر الخمر وبين الخمر من الكلام غير  
سعدى ؟ ولأجوبة على ذلك كثيرة ، ولا سيما ما كسه نقاد الألب في ذلك  
صدد وفيها الذي لا يفهم لأول وهمة ، فمن ذلك قولهم : إن الشاعر تكون  
ر به عذبة النهاية ، ثم هو بعض هذه الخصبة على عدم النهاية على كل شيء  
- - - - - سند أو بصوره فهذا الكلام وإن لم يكن محكم ولكنه جليل بالذكرا ، وذكر  
- - - - - ما ، في موضوع منهم مثل الشعر ، ثم هو لا يخلو من بعض المعنى ، إذ لو  
- - - - - فاما في أحد معنى حما في التعريف تقديم شعر وهو به الكلام  
- - - - - أن المودع شيئا من الموسيقى حتى لو صرب من العاء . وحقا لو اضطر  
- - - - - لا مان إلى إعطاء تعريف لشعر لم كان متجاوزا حد التعريف القديم ، فبد  
- - - - - أن نضلك موسيقيا لا في اللفظ فقط بل في اللب والمادة وفي جميع الأفكار  
- - - - - ما ، وصام والسق ، فهو شعر ولا ولا ومعنى موسيقى هو ما بد حرج  
- - - - - ، حتى من ين ساد الشيء ، وذلك مكبر - سره ، أغنى العمة الكامة في جوفه  
- - - - - في ما يسمى في صميم ذلك شيء من مستقى لاتلاف وثباته - من  
- - - - - ، لموسيقا التي ليس إلا بعصها يوجد ذلك الشيء ، وك ن أهلا لأ ، يوجد في  
- - - - - ، والدقا . ولقد يمكننا القول بأن ساد كل شيء موسيقى ، أغنى أنه إذا بد

هو الظاهر لي ولكني أحمل نفسي على الاعتقاد بأن الأمر خلاف  
ما ينبغي أن يكون لا يزال في بيتي أدب لإحلال معرض - ثم ينقص متقال  
منه - له طلبة والطلبة في أية هيئة بدت وأي اسم أنطقت

١٠٠ - عند أيديها كالآل لا تروى في الرجل العظيم إليها ولا يبا ، فما ذلك  
١٠١ - الله زمني يسوع الصبياء الأقدس الأعلى ومسيح نصصه ر جعل لأدبر  
الأدبر ١٠٢ - انصح ، حا ، بل بالعكس لأنه قد سما وطاب . وحديثهم يكسب أن تصو  
ملك و - تروه - ولا أفكر أن الشك والكفر والاستعفاف آفات هذه العصور فلا  
سندت صوراً عطيفاً في هذا الأمر الأجل الأعلى لأصعافها في نفوس الناس  
حلاهم للطل ، حتى أصبح معظمهم بكبر و وحسود بعض ، مستحق  
١٠٣ - لا ، وعده ونبيكم لأم العقائد وأكاه وأوجها معية . ولن يكون مع  
عقائدها إلا اليأس للطلق من الإنسانية وسائر أمورها وأشيائها . ومع كل ذلك  
و ضرور ، باليونان ضابط صغير على طائفة من حشد المدافع . هذا هو صاهر  
١٠٤ - يور ، زايه مع ذلك قد أصاب من طاعة و حاله وتقليد منهم إياه ما لم يصبه  
كثير من راء ، وحاجرة الملوك . ثم انظروا إلى الشاعر بارتر كيف كان إذا اطرد  
١٠٥ - عذر ، - ريب استوقف الأمور و عديم الإصطبلات بسحر حياته فلم يبق منهم  
١٠٦ - من سمر - ملك الرجل فتنة وحلالا لم يوهما لأحد غيره ، وأنه هكذا  
كون - ر - إلا فلا أفزون من ذلك أنه قد كان يكمن في قلوب هؤلاء  
١٠٧ - ر - نصوح به المستهم ويسمح من حلال سحر كائنهم - وإن لم يظهر  
١٠٨ - صعد - أنهم كانوا يرون عظمة وقوة وحلانة لا يجدونها لسائر الرجال ،  
١٠٩ - في سمر - ربح الكيف الحاحير الرقاد المقلين صاحب الكلمات التي تستوقف  
١١٠ - ر - ر - ر - بطورا تقوم بالضعك الشديد حنايا الضلوع ، أو  
١١١ - سمر - بذلك ؟ ولكنه لم يظهر ، لله نفوس الناس من أدران الشك  
١١٢ - مستعد - وبحث وسائر حياتيك الرذائل - وسيميل الله ذلك يوما ما - نعم  
١١٣ - ر - ر - ر - مديونية من رذيلة الإيمان بالمظاهر بالكاذبة فضيلة الإيمان بالحواهر

الصادقة ، إذن فأرى مبرلة تكون لنا الشعاع بارتر في نفوسنا وأي محبة وإكبار  
تجديد ؟

وعلى كل ذلك ألا تزور أن لسط شاعرين هم وإن لم يتبال منزلة الألوهمية ،  
فند إلا في هذه العصور على ما بها من ودائل الاستعفاف والكبر والشد  
مربة تنقسي وتلا ٩٠ نعم إن ذاك كسر ودننى لربليان من تولياء الشعر حريم  
عنى كين ، سنان أن سان مقامهما الشريف بأدنى إساءة ، وهذه نتيجته وصل إليهم  
عاه ، الإحام والخطرة رعد مما قام في طريقه من طلعات الجهل والشك وعقبات  
الحدود والكفر . وبفضل هذين الشاعرين من الرمن مسافة قصية ، وكلاهما  
قادم في فضاء الشعر كراهب في قصاء الفقر له مملكة من الوحدة ومولة من  
الوحشة غريب في حيله وقومه .

عزبه العلى على كسرة الأهد - سل فأضحى في الأقرين غريبا  
لا مثيل لها في سائر الشعراء تباركا عن الأبداء والأقرون ، بهما في نظر  
العام نور من الجلال ورويق من الكمال فهما مقدسان وإن لم يتول تقديسهما  
بطريقة وقسوس . وهكذا ترون كيف أن ما أودع نفوس البشر من فطرة إحلال  
البطل ما يزال يجيا في قلوبهم برغم انتشار السحرية والاستعفاف واستيلاء  
المحدود والكفر ، وسنلقى نظرة في تاريخ هذين البطلين .

لقد ألقت عدة تراجم لدائى ، وحملة حواش وشروح لكتابه ، ولكنها عسى  
العموم قليلة الثمرة . أما تاريخ حياته فقلما يعرف عنه شيء وقد ياد مغفله حسبي  
لا يمكن تداركه ، لم يك دائى في زمانه إلا رجلا صغير الشأن شريفا طريدا  
مكسور العود مريض الجناح قليلا اهتمام الناس به مدة حياته . وأسوأ من ذلك  
أن معظمه نساء ، لا لحدول والبلاء تراها عنى علاقتها قد بادت على عمر خمسة  
فرون ، وعلى كثرة ما كتب عنه من التراجم والشروح ، فكتابه هو جل ما نعرفه  
عنه . كتابه وصورته للمسوبة إلى المصور « جيوتو » التي إما مطرت إليها  
يسمك إلا الشهادة لصانعها بالإحسان والإجادة أيا كان . أما أنا فأرى ذلك  
الوجه أسمى لوجوه الكدى وأقرعها لأحسنائى ، وأرى أية الحزن والألم وآ -

المور كذلك والطهر على صحة ذلك الوجه البليد في رقعة المصور معصدا  
 وحيما لا يحصى شيء من الأثاث والمناج ، إلا ما يعرف عليه من روح الوحشة  
 - أرى كل ذلك عنوانا على تاريخ دائي ا وطني أنه أنشجى وجه صور من عالم  
 الحقيقة - وجه يحزن مقتت لنفود أساس معاني الرقة والزخمة والحنان ، لا كما  
 يكون في الرجل بل كما تكون في الطفل . ولكن قد غالط هذه المعاني الرقيقة  
 معاني أنفس وأمر ، معاني وحشة وسخط وألم في تجلد وتعزير وبأس في رفعة  
 وكبرياء . روح رقيقة هواء قد نسبت آية لباس والقسوة والاستبداد والعبوس  
 والاذهوار ، كما تنظر إليه من وراء سحف من النلح ا وقد قلصت شعفاته  
 احتقارا واذهواء ، لا كازدهاء الإنس بل كازدهاء الآلهة للشيء الذي يذيب حشاه  
 ويأكل فؤاده ، كان ذلك الشيء هو أخقر ما يكون وأدنى ، وكان صاحب  
 الوجه هو أشرف من ذلك الشيء ، وإن كان يتحرق منه من البلاء ويسام به سوء  
 العذاب . إنما هو وجه رجل منبذ للندبا ماصب لها معارض لأحكامها ، قد  
 صيب عليها غارة شعواء ، وأقام لها من الحرب سوقا بضاعتها أبدا نافعة ، ورعى  
 ما تروح المعسر دائرة . وهمل هي إلا محبة تحولت حنقا لا يستر ولا يستريح ،  
 متنهلا مطردا ساكنا كحقي إليه ! ثم ترى للميون نظرة الدهاش واستفهام كأنها  
 تسأل لماذا خلق الله للندبا خلق هذه الصمة ! هذا هو دائي ، هذا هو صورت  
 عشرة قرون عروس ، هذا هو الرجل الذي صدح لنا صوتا عن الجحيم والجنة ا  
 وأرى هناك مطابقة بين ما يعرفه عن حياة دائي وبين صورته وكتابه . ولد  
 هذا الشاعر غربية فلورنس من أعمال إيطاليا في عام ١٢٦٥ ، وعلم وتقى عسى  
 أن ينظم كتاب ذاك . وكان فيما تلقاه كثير من الفقه والمطق والأدب  
 بلائبي ، وله قدم واسعة في بعض أبواب العلم . ولم يدع دائي فيما نطق شيئا  
 بعمى حتى حصله ، وكان دافهم صمى مذهب وذكاء مشتغل وعقل راجح .  
 وكان قد أنقى من العلم ما جاء في الأرمات القرية من عصره ، فلما ما بعد عنه  
 في أقاصى العادى فلم يجد إليه سبيلا لخلو عصره من المطبوعات ومن أسباب  
 التواصل . وسلك في حياته المذاهب المتعاقبة فصحب جيش بلاده في حروب

ودهب مرة سفر إلى بعض ولايات ، وأصبح يفصل دكاه وجده أحد القصاة  
 لأكار وهو في الخامسة من عمره . وكان قد عرف في طفولته صبية  
 حساء في مثل سنه ومنزله ، وكان يراها أحيانا وكانت تمتد بينهما صلات على  
 بعد . وككنكم يفرغ ما كان من أمره معها . وما كان من الشهاب والفرقة ،  
 ومن اقترانها برجل غيره وفاتها بعد ذلك بقليل ، وهي تشعل حنونا عظيما من  
 كتاب دسي ومن حبه نصا . ويظهر لي أنه لم يحب قط غيرها إنسانا وكان حبا  
 من صميمه لأحشاء - فؤاده ما يروح باحبيها - والفقر ما بينه وبينها - ويترغ  
 إليها وهي مع الله مات . وزوج من امرأة أخرى ولكنه لم يسعد . وشتان ما  
 به من سعادته !

وبت من جعوس في آسعين لما أصابه ، فإنه لولا تلك المصائب لما كان  
 دسي لأحد قصاة . ونحسر العالم كلمات من أبرع ما أنشد وما تنق به  
 نعم لقد كان يزيد قصاة « فلورنس » واحدا ، ولكن العشرة القرون الحرس  
 كانت تستمر على حرسها ، والعشرة القرون النابية المصعبة ( لأنه سيم ضعا بعد  
 تاريخ وفاة دسي عشرة قرون وأكثر ) تحرم تلك القصيدة الرائعة - كتاب دائي  
 - ونحسر ندبه مسموع . معه لا أنسف ولا حرق ولا حشرة . وكيف ربما  
 أراد الله بيت الشعر حاة أشرف وأسمى . ولعلنا لا نعرف أيهما الأسعد الأهدأ  
 - عسسه مرة لأكية ؟ لم يعيش هادئ عادي ؟ والسعادة والشقاء سر من الأسرار  
 يحيى به البشر . وكيف به حصد عشواء وحطبل بين

وسمى - نتي عانس في وطنه فلم يوطئة القصاة ، بد شارت هنة أدت إلى  
 فيه وسائر حربه . فكس عليه مد ذاك الشقاء والويل ، وترعت ملاكة . أصبح  
 وهو

باء عن الأهل صغر لكف معصدا . ككسيف عسرى مساه عن الجليل  
 وكان بشعر وهي حشاه حجرة تنرفد ، بأن ما لقيه من أمعش الطلم وأنصح  
 حنور . وحال جهده أن يرجع إلى وطنه وتروته ، ولم يدع وسيلة إلا اتجهدها  
 حتى للسلاح ، ولكن عينا حاول ، وما رده اجتهدته إلا عطا على عطب وحنة

موق حمة فأعسر دمه ، وبودى متى قبض عليه أعدم إحراقاً . هكنا وجد فى مصر الآثار - وألقى أيضا رسالة تاريخها وقع بعد هذه الحوادث بعدة سنين ، ودأبى داتنى على اقتراح قلمه إليه قضية بلده يعترفه بالعفو والعودة إلى منصبه وأملاكه ، فإنما هو قبل أن يقدم معدرة وعرامة . فأجاب فى عره وكبرياء « إذا أنا لم أرجع بوىء الساحة موفور الكرامة ، فلا رجعت أبداً » .

وكذلك راح داتنى فى هذه الأرض الرحبة الفضاء بلا دار يتقل من مضيق إلى مضيق ، ومن محل إلى محل ، منطبقا عليه قوله : أه ما أوعر المسلك وما أخصن الطريق ! » ولم يكن داتنى بالجلس المتع ، وأنى يكون كذلك من صل وهو كسور القلب كسيف البال ؟ كلا ولا كان داتنى صاحب الطمع ، معاد والمزاد الحساد والأحزان والأشجان بجدير أن يلهمى العير بمكافئته ربحهم بنادرتة ، وقد روى عنه « برك » أنه لما كان فى بلاط الأسر « كسانديلا سكالا » وقد لامه فذلك الأمر على إطرافه واكتابه وصمته ، أجابه بجمواب خشن . وكان الأمر إذاك وسط محانه ومزاجه مضحكونه بفراق النوادر ، فأقبل على داتنى يقول له . « أليس عجيباً أن ترى ذلك الماسح المسكين يجتهد ليحصل فى مفاده متاعاً ولذة ، وأنت عسى ما بك من عقل وحكمة تفكرى اليوم مالىوم والشهر فاشهر مطرقاً صانداً لا تقوه بكلمة يكون لما فيها مستمتع ومستند ؟ » فقال داتنى : « لا أعجب . لو لا تذكر للخل : إن الطيور على أشكالكما تقع ؟ فمثل هذا الرجل الكبير صاحب الأخوة للمسكنات والكلمات الموجهات والصمت والإطراف ، لم يك تحمى زروح بصاعتهم بأقية الملوك . وكذلك ما رالت الأيام بدسى حتى فهمته أنه أصبح ولا ماوى له على طهر الأرض ولا ملاد ولا ملحا ولا أمل ، وأن الدنيا قد نبذته ولنطقه ليضرب فى أفتانها شريداً .

كانما هسو فى حبل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يلزعه  
وإنه ليس تحت نجوم الفلك قلب ينص وحمة له ، أو حشا يخفق وحدا  
عليه ، وإنه لا خل ولا صاحب ولا سلوة ولا عزاء

وكذلك كلما صلت عنه الدنيا وتجمعت حنن بالطبع إلى الآخرة ، وتوجه وابتدأ خياله بصورة العالم الأبدى - فذلك العا لم الحق الذى ليست هذه الدنيا وبلدائها ومناصبها ومصافها إلا ظلا كاذبا يرفرف عليه . وتاجحه منه . أما وضك « فلورنس » فلسفت فاطراً آخر الأبد ، وأما الجمجم والجنة فسوف ترى ا وماذا وطلك والأمرء ومادا العالم والحياة ؟ تلك لا شىء ! وكذلك إذ أصبح داتنى فى الدنيا بلا ماوى حمل مأواه فى عالم الآخرة الرابع المائل . وكذلك أصبح لا يرى حقيقة عير الآخرة ، فصارت مسرح حوامطه ومراح أفكاره . والآخرة سواء حسنها الناس شيئا معنوياً أو شيئا حسيها فإنها ما بوجت أهم أمورهم ، ولكن داتنى كان يعتقد أنها حسية تنظر بالعين وتوطأ بالقدم وتمس باليد ، وكذلك كانت عقيدة تلك العصور . فلم يشك داتنى فى أنه سيصير صفات الجمجم وينظر بها بركة « مالىومج » كما يشك أحدكم فى أنه يصير القسطنطينية لو أصبح على شاطئ البوسفور . فلم أنعم فؤاده داتنى من هذه الأفكار والحواطر ، وطال عليه تأملها فى سكوت ، وتديرها فى صمت ، طمخ بها إباء مسلوته وفاض فيروز للعالم فى ذلك الشعر الباهر والقضاء الساحر .. كتابه المسمى « القصة للقدسة » أشرف الكتب الحديثة وأشهرها .

ولقد كان من أقوى أسباب العزاء لداتنى ، بل من أعظم حوامط المعسر أنه استطاع أن يخرج ذلك الكتاب الأجل فى سماء وحته ، وأنه لم يك فى طائفة « فلورنس » ولا فى فترة أى رجل أو رحل أن يحولوا يسه وبين إتيان تلك المائة الكبرى والمفخرة العظمية أو يعبوه عليها . وكان يشعر بعض الشعور أنه عمل جليل كاجل ما يستطيه امرؤ ، وكان ذلك البطل الصخم يقول فى شدة بأساه وأرمة نكراته إذا أمضيت عزمك طمرت - كل من صار على الحرب ووصل - وكانت مودة المكابة كبيرة عليه جدا ، وكان نصفيها شاقا حتى قال : « هذا الكتاب الذى تركسى عدة أعوام فى هزال » . أجل لقد أحرز داتنى قصبات السبق بالكد والألم لا بالدعة والعصث . بل بالجد العائقمى والجهد الناصب . كيف لا ؟ وإنما بدم فؤاده سطر ذلك الكتاب وخطه . وكذلك معظم

سراه : لا نظير

لى بى لأحسن

ولعل ثرية أفعه

رى عسى ميرال

تر حروجه من

عقها وحزرتها

فى كل شىء

وهذا يضا من

فى والجنة فى

غامة بادحه عسى

بقه داتنى وملا

شى ؟ وهى شد

لقد خرجت من

كل معس

ه هو الرحن

فى حنن الجرن

كون مصاهره لا

والقصبة العلب

السوداء النسب

فمقصدة الفوس

فيلك بالسنث







.. رفه الشكوى ودلة الوفى ورنه الثكى . وأشجى ما فيه أن الحيسر  
 .. بالحجم معا ، فحينما ذك الاجتماع ملوة فى الشقاء وعراء فى  
 .. قد كان الشاعر صديق والد « فرانسسكا » هذه ، ورعا جلست تلك  
 .. فى راسه دنى صيبة بريشة من كل عيب حساء سمحاء ، ولكنها إذا  
 .. فى حياتها أبى دنى إلا عدل الجراء فجعلها فى حجبه بحيث تعلمون .  
 .. كنه شمع العقوبة بما ترون من نعمة الوصل ومنه الاجتماع بحبيها . يا لها رحمة  
 .. فى قسوة ، وعمو فى شدة ، وتلك شيمة الطبيعة وما قصر عن إدراكها دانتى .  
 .. قبل رأى القائلين بأن كتاب دانتى لم يكن إلا هجاء فاحشا أراد أن يسيء به  
 .. من أعياء مؤخذتهم والانتقام منهم . وأحسب لو أن رجلا حمل فى قلبه  
 .. حزن الأم المرموم ورأيتها هناك هو دانتى . ولكن من لم يعرف القسوة لم يعرف  
 .. الرحمة أيضا ، والذى تحاله منه رحمة هو فى الحقيقة حين أو تصنع للرحمة قصد  
 .. الافتخار . وما أعرف فى العالم رجلا أرحم من دانتى ولا أكثر حبا ، وإن بين  
 .. حبيبه لحشا حقا ، ووجدنا وإشفاقا ، وفؤادا ملتاعا ، وولها وفزاعا ، كحسين  
 .. النايات والعيذان ليد ليا ، أو كمهجة الطفل . وبشوب كل ذلك مراوة الحق  
 .. ووعورة البأس والعباد ! سخط على عمى الخط وعثرة الجور والقضاء ولوم  
 .. الرمن ، وصبة وحين إلى حبيته « ياتريس » ولقاءهما فى الجسة ، وبطره فى  
 .. عبيها السجلاوين تشرفان بشعاع النور المقدس - وقربه منها .. من الغداة التى  
 .. طهرتها حياض المردوس وصعاء الأبدية . كل هذا شبيه عدى بأعاني الملائكة .  
 .. ولعله أصعب ما نطق به امرؤ فى هذه الحياة الدنيا من آيات الحب الطاهر .  
 .. وأرى هذا الرجل اتحاد حادا فى كل شيء ، فلقد نفذ بحدته إلى كل جوهر  
 .. ولب . وما عمق بطره فى التصوير وعمق بطره فى البرهان والدليل إلا ما يتصور  
 .. جميع إمكاناته من الجلة . وهو فوق كل ذلك كبيرا من حيث الصلاح والنقى  
 .. وذاك أساسه وعصره . فاحتقاره للدينونة عظيم ، وأسمه على أولى البؤس والبلاء  
 .. عظيم كمعظمة حبه ووده . وهل الأسف والاحتقار إلا حب قلب تحول عن جهنه  
 .. وأحيل عن طبيعته . ويقول فى كتابه عن الحياة المجرمين حين يمر بهم فى الجحيم

.. « لنا متكلمين عنهم وحسبا نظرة إليهم ثم نصرب صفحا » . يا له احتقار  
 .. فى ترفع ونفرة فى سكوت وأتعة فى صمت وإعراض ثم قوله يذكر فئة من  
 .. للعدين : « لقد اغتطع أملهم حتى من الموت » ليتخيل إلى أن دنتى يعرض بنفسه  
 .. فى هذه الجملة ، فقد أتى عليه حين من الدهر كان قد فقس من الراحة حتى  
 .. راحة الموت . وبعد جاذبه بعد دنتى يوم برق فيه لقواده للكلوم شعاع أمل أنه  
 .. سقى بعد كل دنتى الجهد ومصاب والكمد راحة العير ، وأن نقضاء نفسه  
 .. لا يحكمه أن يجرمه « هذه النعمة » . مثل هذه الكمات كدت فى دنتى الرجل ،  
 .. وراه فى بعده وشدة واحد وعمق مقطوع القرب معدوم الصبر إلا فى أسياء  
 .. بنى إسرائيل . فإذ أردت مثل كلامه فانظر فى التوراة العبرانية .

ولا وافق قوب بفصلون الجحيم فى قصة دانتى على قسميها الاخرين ،  
 .. ومرجع هذا تفصيل هو فى صى « بيروية »<sup>(١)</sup> فى اندوق ولشرب ولعل  
 .. لنفسه الثانى « مكاب الصهير » برع من جحيم وأسمى أنجر ما أشرف ذلك  
 .. احسن - جيل صغير - فهو رمز لأشرف أفكار هذا العصر رمز لبراءة الإنسان  
 .. بدوبة . وقد كانت الدروب من وحامة العاقبة كك تعلمون ، والجحيم من  
 .. معداب والأء كك تعهدون . نس حدير أن يكون فى البرية مسحة للمدب  
 .. وبراءة ؟ والتوبة جل أعمال صبرية ثم ما أبدع ما وصفت دنتى وأبرع ، إذ  
 .. قال : به بعد خروج من جحيم أبصر على مدى العين برق منوره تفرق ، ولمع  
 .. مواج تهرت وخفى فى برق صاح ولمع الصبح فهذه صورة تدل على تحسن  
 .. الحال ، وهذا ولا شك فجر لأمل والرجاء قد لاح ، والأمل حتى لا يموت وتشد  
 .. ما يكون فى الآخرة ، كالشهاب أسطع ما يكون فى فحمة الديجور .

كالكوكب بدرى أخلص ضوئه . حلك الدجى حتى تألق وانجسى  
 .. وهذا حين يقوم فى سمحه ويصعد فى أوعاره المديون التائبون وقمة الجبل  
 .. فى حين دوج باب الحمة . وماتى أنفاس هؤلاء التائبين المستعمرين تتصاعد إلى

(١) سمه بى برد - مراد صريقة بيرون وهى كراهة العالم .

سهو وانعشت كذا والله يد هي أشرف وعاء ضرس روح الصبرية وهي تمثل بأجسامهم رموز سمس ما خصة - سي من أن الخير والشر هما قطبا هذا الوجود الدال عنيهما من كل شيء، وإن الخلاف بينهما ليس هو أن الخير أفضل من الشر مذهب مديري الذين يجمعون في كل أمر إلى الحساب والوزن. والمنكسب، والحدارة، بل إن الخير هو الصالح للقط والفرض والواجب، وأن الشر هو حش حرم بزياته ثمريما كليا لا مقارنة بينهما ولا قياس ولا تفضيل، فأحدثهم بالآخر دحية شمسوت، كالحلة للدار هه ما شعر دانتى إلا ومز بدلت، ورمز معدن الصبرية والبرية والسدم بصبرية بأكرمها كما كادت في سلك تقرب ومسر ويكتب في نظر دنتى ونظر تذك لأحد، عين الحقيقة التي لا ريب فيها ولا شك ولا ربح، التي يعتقدونها الناس من صميم أفئدتهم. ونقد قفا من قس رب سمس ما كبر فقط مؤسس بدروه، والشعره، لأفصيص المنظومة ولا حسب نخل عصرا هد يحسون قصة دنتى مجرد قصة قصدها لا نظام ثم سب، إليه وعمرد عبث وصعقة، فإذا رأى ذلك أهل النصور الآية منه ما يحفظون. وقد صفا على الوثنية، بما أنبياء خلق ما كان تمييز في صابر التوحش من وقع مشاهد ككون وثائق روايته - بال كان في وقته حلق صادقا، وسن بخو الان من نفس وقيمة سا ولكن بطروا الفرق بين نوبية والصبرية - مرفا كثير، تكبر، نوبية إلا تمسلا بطواهر الكون وألعد الصبرية، وحياة الإنسان وصالح الأشد، وتمتدانيا. وتعرفات شتوهم واختلاصهم في هذه الدنيا وأب صبرية قنص قنوب ورجب لإسمي - قنوب لأحلام والأدب حكمت احداهما مصم، لحسة را، عاخر، سدجا لأفكار الإسا، الآية، بد كان لهم الفصل هي سبحانه لا تغلا، عني انوف وم تك، أخرى نعلم احصى بل للعالم الأخلاقي، فإن لم يكن من الفرق سوى ذلك فأتى فصل بين والرقاء عظيم

وحد، وحدث البرون العسر الصمته التي سقت عسر دانتى صوبها في ذلك الشاعر كبير ولسانها، و«القصة المقدمة» من براغ دانتى ولكنها في

مرس نه ويبرون دانتى حين يوربه : استعمر لنا ربك. ولا يأكلون في ذلك في سمونا لارعد، ومشقة وعناء، وقد أدنى الكلال عظامهم وأنفسي الكد نهج وتسوا واثوا في ذلك الصعود ولما بلغوا القمة. ولكنهم مواظبون و...ون حتى يلعوها وعنداها باب المردوس، وبرحة من رهم وعصران س. حو بها عالدن، وكلما بلغ القمة واحد عم المرح الجمع، وترنح الجبل طريا ووحف سرورا وهفت الملاكة بنشيد مقدس أفهنا في بطرى تصوير لغنى شريف.

ولكن أركان القصة الثلاثة متوازنة ولا غنى لواحدة عن الآخرين وأرى «المردوس» أحد أركانها موسيقيا صامتا وعناء ساكنا، وهي الكرة اسينة الخجين، والخجين لولاه صرب من الباطن، ومن الدلالة بنائب عالم الآخر كما كانت تجمله بصراية القرون الوسطى، وهو شيء تحليل حمر الخوهر طرب لدهر وبعده، يتشك في نفس بسان كما تمثل في نفس دنتى، بد سطعت حقيقة في صميره وفشت صورته على بروج خاطره كروحى في سحر وم دنتى إلا نبي رسه، الله ليبس هذه الحقيقة لاس وبقشها على جهة الدهر وما أعرب والله سهولة التقاء وسرعة تحمده في مبدأ القصة من ذكر المفقدين العادية إلى العالم الخفى، حتى يحدث بعد سبعة آيات أو ثمانية وسط عالم الأرواح وسير فيه كتما سير بين أشياء ملموسة لا ريب فيها، وكذلك كانت في نظر دانتى، وما كنت الحياة الدنيا عنده إلا سبلا إلى حياة أخرى حمر وأنتى ولم تكن الدنيا في نظر دانتى بأقل عزابة من الآخر، ولا آخر بأقل حفا من الدنيا وإذا كانت الآخر عمده هي عدم أروح فالديب كذا في بطره عام أروح أو ليس في كى مرنى روح ؟ نعم فقد كان دنتى به حليا، وقد كان يعتقد وينظره، فهو من أهل ذلك شاعره، والإخلاص كما قلت أكبر صفات الشاعر.

وحجيم دانتى وحجته ومطهرهما إنما هما في الحقيقة رمز وتمثيل لمقلته في الكون. ولعل ناقدنا يقوم بقول لنا ما قصة دانتى إلا العويرة شعيرة وضرب من



البناء لما في النور من حيلور كل خير ومكرمة ، يعطيها بطريقة لا يهتدى إلى  
مهاها وزنها علماء الاقتصاد بمقاييسهم وموازينهم ! وهل تقدر عائلة للشخص  
بما ار ما تسقط عنا من نفقات الشمع والبخور ؟ والخلاصة إن داني أبل من أن  
معدر قيمته .

وعلى العموم فما كانت الرجال وأعمالهم لتفلس عما سبه زائريهم في الدنيا  
وإنراهم نحن أنه تأثيرهم — تأثير ؟ فائدة ؟ نتيجة ؟ عبث كل هذا وباطل ،  
مع كل امرئ صعه مما لمرته إلا — حسب عناية غيوره ومبشر ثمرته . وليس  
أخرجت أعماله ترفل في حلة للسك والدولة وترن من ضجيج الحروب  
ويأتى لوقائع عما يملأ صلبور الجراد والتواريخ التي هي جرائد مصفأة ، أم  
محت عارية من كل هذه — خفية صامنة — ندم ماذا بهم ذلك ؟ ليست هذه  
مهمهم هي للثمرة الحقيقية . وما قيمة السك أو المظلمة إلا ما أحسن ، وإذا  
بأعمال الملك أو الخليفة لم تعد على الناس بالمختر والمعدة فإنها كالمها ، وما  
ملك إلا أكلوبة وباطل وحرض هنالك وسقط متاح مهما أفضلت أجماله  
مخرج من الضمعة والجلية ، ومهما قل من مغارب السيوف وأدار من أذباح  
ومبها قبض من الأجال والأمور ، ومذ من أنه الرجل وأحوال .  
ومذ في الحقيقة لم يكن . ألا فتذكروا معنى دولة السكوت وعالم الصمت !  
عما الله من عالم ودولة ! لا يريان بالمس ولا يدركان بالسلم . ومهما مع  
نمخ من الصراخ وأجدي ، ومخير من الصمعة وأبقي .

كما أن الله أرسل داني ليصور لنا في أشجن العناء والنغم ديانة القرون  
وحناب الداهية . فكذلك أرسل شاكسبير ليصور حياتها الطاهرة  
، كما أنت يد دك ، وما بها من مظاهر القروسية والمجدة والبرودة ،  
أهواء وشباب والطامع والطامع ، والأساليب الدنيوية للتفكير والعمل  
: وكما أنا نبصر في هومرئوس يونان القديمة ، فكذلك سيكون شاكسبير  
بعد آلاف السنين المعرض الواضح لأوروبا الحديثة تتحلى فيه دينية

ودنيوية ، نعم لنش ينث دنيى أدى إلى الباطنة أو الروح فقد أعطانا شاكسبير  
العس والدين وكان . أنه نعى إلا أن يعطى البدن أيضا ما أعطاه على لسان  
شاكسبير . وكذلك لما بلغت حياة القرون الوسطى — تلك الحياة الشريفة العالية  
— حد الكمال ، وأذنت بالاصمحلل السريع أو البطيء كما نراها الآن في كل  
مكان ، أرسل شاكسبير بعينه البصيرة وصوته الرنان ليطر تلك الحياة وليتبنى بها  
غناء يبقى ما ترمم النسيم في الشجر ، وغرد البيل في القمر . رحلان كفنان —  
داني عتيق حاد فاكز كانه ما بجوف الأرض من النار ، وشاكسبير واسع هادئ  
بعيد مرمسى البصر قصصى مدى الطير ، كانه الشمس نور الأرض الطاهري .  
أحدهما لمررة إيطاليا ، والثاني بحمد الله لمررة بلادنا .

وعحب والله كيف ساقط الصلغة إليها ذلك الرجل ؟ وعلنى أن شاكسبير  
هذا قد كان من العظمة والسكة والكمان والاستعء بالمس بحيث إنه لو لم  
يخرج من قرنيه بسب ما نسى من سرقة الغرلان ، مكان له في عيشة القرى  
وسكى الربف مقنع عن كى ما عداها . وكان قد عايش ومات وم تمقع أعلاق  
حرابه ، ولم تكشف أسر دوائه ، محرم عدم أكبر شعرائه قاطبة معم لولا  
تشرده عن وطنه لمدت لفت دث لاكتفى بالندبات والسومات وبريب والعيش  
القروى . ولكن إن كان شاكسبير هذا قد جاءنا عفوا ، أم بجى ذلك العصر —  
عصر بصبغات — نصبا عفوا كائما من تنقاء مهسه ؟ وهكذا صروف الزمن  
وأحوال الدهر تقل وتدير وتوت ونجى وتدبر وتصير ، كالشجرة التي جعلها  
الريون في الشمال ومزا للحياة الدنيا — ولكنها تلبل وتصير وتلقى أوراقتها  
وتورق بتواين أزلية ونوايس أبدية ، لا تظهر عليها ورقة إلا عيقات لا يظهر  
عليها بطل إلا عيقات عجيب والله ما بين جميع الأشياء والكائنات من  
لأسبب وبروط . فما من ورقة تبه نفس عسى صهر الطرس ولا وهي حرة  
متدح في سهام الكائنات أنجم ، مسجين فصله عن سائر الأجزاء . ولست  
كلمة أو فلة لرجل ما إلا ومنشوها العالم أجمع . ولا بد أن تعود بالتأثير أجملا





وأنت فاضل ما أحببت صعلك وأحسب عمتك أبا كدر ،  
 حلالاً طسا كريماً ، ولا عر في العمل الملق ما به يكرس حيناً ،  
 عمن ، فأنعم هو جل السعم كما فهدد أشد العشر ،  
 ذواته يستغضب به ، إلا لحداثة أقيمت من ، أو لها  
 ، فبعضه نمر - تقدر بصبره - ولو سفلت ، أعرف ملك -  
 مست ، سقله على كل عقل لكسب قد أدركت عاية وسعت  
 ، حتى هي ختيفة تلك المكات التي يذكرها كأنها أشاء شتى ، كدر ،  
 ، صلا ويدر ك مطلقاً له بذاك ورجل ، وهدد عطفه ميه ،  
 مع سائل النمر « طيعه ذهبة » و « صبعة أخلاقية » كأن هدر  
 ، حتى هي حجة - أما إنه لا باعث على استعمال تلك الأنفاظ المختلفة إلا  
 ، شتى ، وزاد كلاً لا بد ناطقين ومنطاطين فلا مناه من استعمال  
 ، إنما - منفرقة - ولكن لا يسي أن تتحدد الكمات حتى نصير نشياء ،  
 ، ث ه السب - إن حطنا في هذا الأمر وصلنا - ونما يجب عيب أن لا  
 ، أن هذه الأقسام ليست في الحقيقة ، لا أسماء ، و « صبعة نمر ،  
 ، - صورة حية الكامنة فيه - هي شيء واحد - لا نفسه - لا تشعب ،  
 ، - حلالاً ودرناك ودهد ومعرفة وبصورة وغير ذلك ، إنما هي صور  
 ، ث الصورة المنصورة ، وكنها شديد اتصال بعضها ببعض .. دليل بعضها  
 ، من ، حتى لو عرفنا أحدها لا يمكننا أن نعرف الباقي . وما أخلاق المرء إلا  
 ، ثات القوة الحية التي بها يعمل وبها يكون . وكل أعمال المرء - لو  
 - دليل عليه ، حتى ليمكنك أن تعرف عن هذا الرجل كيف يكون  
 ، شرب من فحة حديثه وطريقة غذائه ، فإن جسمه أو إقدامه ليدو لك  
 ، خطاه وما كلمة الرجل أو رأيه بأقل عيما عن شخصاته أو خوره من  
 ، وهو هو بعينه واحد يظهر للذات نقسا واحدة في صور شتى .  
 ، رجل من غصن يدين قائما على قلعه يسعى بهما في الأرض  
 ، لصورة مستحيلة الوجود بلا خلاق ، والرجل الذي لا خلاق

، يتخرد من كثر ثم يعبر ونمر ونكرمة هو معلوم الصورة بآله ، لا يرى شيئا  
 ، من الرؤيه ولا يعرف شيئا حتى يعرفه لأن المعرفة الصادقة شيء ، ما تستوجب  
 ، حبه مدك الشيء - ولا يحذف حبه ، إنما الاتصال به الصلة الكريمة الصادقة ،  
 ، ، لم يكن من عمن بحث لا يربح يتصف بكل شيء من نفسه ، وبأحد الحق  
 ، بها يعرفها ، ويتعجب ويتعجب ، بهد ، ويقهرها ويكون من الشعمة والمروية  
 ، ، تنقي بحث يربح ، لو حتى ما به من عذاب ومصعب ، فكيف يجد في العلم  
 ، ، حقائق سيلا ، ، في الصفة وحداثتها للحديث النسيم الحسبي كتاب محموم ،  
 ، ، زب يعرف من هه من الصبيعه ، لا مشورا وأباطيل وحداثات كما يستحده في  
 ، تراص ساعته ، وب مثله : لا كمثل التعصب ، أو ما يعرف « تعصب شتا من  
 ، لتسعه ؟ عه يعرف أين توجد الأوز ! وكذلك التعصب الأدمي وما أكثره في كل  
 ، رمن ونقعه ، نره يعرف إلا هذا أو مثل هذا ؟ كلا بل إن الشتمان التعصب ربح  
 ، الدجاج وانتهت به إليها ، فصبة تعصبية ، ولو أنه أضاع أرقائه حزبا أسفا مطرقا  
 ، يكرمي حسه وشفته وصله لنعص ، نه ، وجور الدهر واشتغال الخط عه يصوره  
 ، من ماعدمات التعالب دوات اليسر والرغد ، ولو لم يكن عبده جرة وإقسام وعزم  
 ، وحزم وغير ذلك من الحماد والمناقب الثعلبية ، لما أفسد دهره من الدجاج ولا  
 ، ريشة .  
 ، فإذا قلت إذن إن شاكسبر أكبر الأدهان فقد قلت كل ما يقال عنه . على  
 ، أن في ذلك - هي الكثير منزلة لعل الناس لم يلمز كوه بعد هو ما أنصيه ذهنا غير  
 ، متعمد ، وفيه من الفضل أكثر مما يشمر به صاحبه ، وقد قال نومايس : ما  
 ، روايات شاكسبر إلا لمرمة الطيبة ولها جلال الطيبة وعمقها . وأرى ذلك صوابا  
 ، وحقا . فما صناعته بصناعة إنما هي وحى يتدفق به طبعه عموا ، ويهطل به  
 ، خاطره سحادر  
 ، وبسبر ذلك بالألى يعزونه - عمو بلا مسح ولا إمساك  
 ، سي ، حصن بلا كد ولا نصب ولا جهد ولا تعب ، يلوب كلمة المخزون  
 ، دهر ومعضر ، ويشتت منحة الموراد عمو معتصر ، ويحني كوداد الحب غير معصر



مفسر . وسقط من تلقاء نفسه كالطفل في السحر ، وغناء الحمام في  
 حوض . وشد السلك يهوج ويشتر ، وساء السر بلوح ويشتر ، لا تكسر  
 عصى ، زود صبح ولا تحفل ، وإي هو بات يست من جوف الطبيعة محزون  
 ذات زحل . أو صوت الطبيعة يخرج إليها من هم ذلك الرجل . أو أن  
 سحر أن شونه الطبيعة فتدغم به بأشجي نعماتها ، وتخرج منه أشهى  
 بها زحل . أمم أشجي سحبي ، بعد آلاف السنين ستجد هي شاكسير هـ ،  
 جديدة زهـ ، الأعمار حدهم . ونها لعمه الطبيعة على الرجل العتيق  
 من أن يخضع جرمها منها ، فمؤلفات هذا الرجل مهما تعتمد أن تخضع  
 بها ، تخرج من مجاهل أعماق نفسه عفواً لا أثر فيها للصنعة والكلف .  
 زحة بابتة من الشرى ، وكالبجبال والأمور إذ تلتبس أشكالاً خاصة منطقاً  
 من قوانين الطبيعة ، موافقة لسه الحق أيا كان . ومع ما أخرج ذلك للرجل من  
 زباب ، زهموه يتسخط ويتشكي ويتلهف ويتشهي ؟ أعهدتموه بتالم  
 و ، وتزوج ويتضح ، أم كان خلواً من الألم والوجع والكمد والوجع ؟  
 كنه سائر للشجو كجوم للمصيبة ، وكمن عفى في تلك السيرة من الآلام  
 . علم يظهر إلا غارها من بارح الكلام ، ورابع الحكم ، كأنها الجلود ،  
 الأغذية السائية والقوى الكونية الحلية تعمل المستورة الأثر العقيم والله  
 من ولكن الصمت أعظم

عنى المصوم وسكينة هذا الشاعر الخللة الفرحة هي من جلال الصفات  
 و على ذاتي كآبته وشقوته فإنها حرب بلا ظفر ، ولكنها حرب صافية  
 من المسائل وأخطر الأمور . و أرى شاكسيو بعد أعظم من ذاتي من حيث  
 عم فظفر . ولا يحالكم الشك في أنه قد كان له حظه من المصوم  
 ، وقسطه من القروح والأشجان ، وأغايته تشف عما كابد من غصص  
 تخرج من مرارة الشجن ، وغامس من حومة الحطب ، وكافح من غمرة  
 بكدر في بحر الشقاء ويضرب ، ويطلق به ذلك العاصب ويوسس ،  
 شاطئ الأمل ونجاة الله من غير . وقد أقال الرأي من رعب أن عيش

ما كسير كان خلواً من لاسي ، صبر من القدي ، لم يرد منه إلا غلبها وزلا ،  
 ورون سلسلا . وأن شاكسيو لم يك إلا بلبلاب بروهة الصفاء أسمى عمره سحما  
 وتغويا ، وبلغ أجله شهراً وتغوريا ، سعيد المال محبوبه الحان سامع ناله هادئ  
 لبهال ، شأن اللابل في القمارى اللوتى من :

نوعهم لا يعرفون يؤمن معيشة ولا دلتبرات الدهر كيف تلور  
 كلاً وأبيكم ما كان مرز قظ هكلنا ، وأنى لرجل أن يتقل من سرقة الغزلان  
 إلى كتابة ميكيات كميكات شاكسيو من غير أن يكون قد داق الحزن وليس  
 يشجي ؟ بل كيف يأتى لرجل أن يصور أمثال هاميت وكريلا لاسي وما كيث  
 ر عفر هذه من مصوب كبيره سنه ، إلا وقد عرف قلبه الكبير الألم ؟ ثم انظروا  
 كيف جمع بين ذلك وبين الضحك الغزير الطافع ؟ وقد تقول ولا حرج إن  
 ابتاعة عمه مفصورة عني فن المكافة رهن بباب الضحك . وكثير في روايات  
 النمط الموجه وعول انتزع راسكم الباذ المحرق ، ولكنه عند حد ، وما كان فقط  
 يهوى كرهه ينثر ولكن ضحكه يحط عيبك كالسب مهسر . و قد نصب  
 من أشخاصه واحد بمكافة هال على رأسه ما لا يحصى من فنون المراح والجمون  
 وألقاب السخرية ، وما زال يقله من الأشكال للضحكة فيما يستقصي المصعب  
 ويستنفذ الاستغراب . فكانما يضحك ، عمل ضلوعه وقلبه ، ثم هو ضحكك  
 صالح لا يقصد به إلا السخرية من الساكنين والبؤساء والضعفاء . ولن يكون  
 الضحك من هؤلاء ضحكا وإنما هو سفالة ولوم ، فإن الضحك المجر الكريه من  
 شيء ما يستمر حيث حد نسي ، وليس الضحك الكريه تعممة شارب تحت  
 القدر - بهفه ابار وتقدر تصور وتنهب وضحك شاكسيو محروح بالرحمة  
 حتى نحو لاسي ، وادع . وهد ضحكك في نظري كسر السمس عني  
 ساحة البحر محيط .

ولا يحالها للاسترسال في وصف كل من رويت شاكسيو عني حلة ،  
 وإن كان لا . في ذلك متسع للقول ومنفتح للكلام . فلو أن كل قصة من  
 قصصه أتت لها شارح مثل « جيتا » لكان عيوا ، وسيكون ذلك بوما ما . وقد

سمى فنسكوف الكبير الألماني «سكيلجل» رواية: هري لخامس وما شاكسبير  
 حيا وصيا وتذكرون ما قاله القائد «مارا برا» من أنه «يعترف من  
 تاريخ بريطانيا إلا ما علمه من شاكسبير» ، وقل في كتابنا التاريخية من ضرورة من  
 يراى تلك الروايات قيمة ومصلا . وما أدع وصفه خرب «حكور»  
 ومعه جيش الإنكليز المكشود المهولك . وسعه المصاف : نرشد حرب  
 بدى ، تلك الساعة الحيلة التي يكمن في أنفها الحس وسعه . من سن  
 الشجاعة الخالدة الذكر «معشر الرماة الذين صبحت أكفهم في برص»  
 نجا ، في ذلك ربح الرصة ؟ من في ذلك مكسبة لبر من شاكسبير عبور  
 لوطه وقفة نعره ؟ أما نخسور قلب الشاعر الكبير يسكن في كل حرف من  
 مؤلفاته العديدة من مؤد هادئ يرى من كل أثر لحنه وعبره . كذا صوب  
 يصبه ربح الخمد الصلب وصلى أن في صدر شاكسبير حب حرة بث . وفي  
 يمينه بطشة قصور لو أشهدته صروف الدهر ساعة الزخى

هذا هو فلاح قرية «سزاقورد» الذي ارتفع إلى درجة ملهى محيل ، فكفى  
 بذلك دل السؤال ، والذي ومفه المورد سوافيتون بعين رحمة ، والذي كمال  
 السير توماس - حفظه الله - يربد إرساله إلى السجى ؟ لم يعد سب كآود  
 . د هو عائش وسعا ، ولكنه رعد من صعب إيمان لأرب - حذينة بأبصار ،  
 فأى إجلال وإكبار لم يصبه شاكسبير هنا من أبناء اللسان الإنكليزى ؟ نى رحى  
 ، بل أنى ميبوب رحى من رحاها لا تجعلهم فدء شاكسبير الذى هو كبر مع حرب  
 وأعظم مآثرنا ؟ - مفخرة نرهمي بها على الأحباب ، وحلية سرده بها صدر  
 بريطانيا . انظروا ماذا يكون الجواب إذا خيرنا بين أن نترك شاكسبير نر بلاد اهد  
 - أن نكون لم نملك قط شاكسبير أو لم نملك قط إمبراطورية الهند - نعلم  
 وحال السياسة والحكومة يفصلون الهند ، ولكننا نحن لنا الحق أيضا في أن نختار ما  
 نراه أفضل ، فنقول سواء حكمنا اهد أو لم نحكمها فلا على لنا عن شاكسبير  
 مستذهب الهند يوما ما ولكن شاكسبير لا ينهيه .

من إن شاكسبير فضلا عن منزلة الهند والسحر ، وتهذيب المومس والأحلاق  
 دكة مادة عمله وهي أنه نخامة الكورى والعمرة الوثقى لشتى طوائف البريطان  
 ي أعضاء المعمورة . وسبحي يوم تطل جريوتنا هذه لا تنفى من أبناء  
 . حيا لا . حرة الأخس ، وسالوهم مبشر في نواحي الكرة مبدى هي جوانبها .  
 . من ذلك فما الذى يقرب بين هذى المومس المتدرة ، ويولف بين هاتيك  
 عير سمرة ، فيحضر به شرى ويتخطى ، ويشرق الجو بهم وجلالاً ،  
 وحسب نفسه أنه واحد ، مادك سى نكور قص تدور حوله مصاخمهم  
 نرصرهم . وكمة شرب حوها نعدفهم وأبصارهم ؟ وعناد يقوم عمود  
 . كفته في مسفرة وبصية ، ويسحكه رزق عمرهم بأرته وأسمه ؟ عدا  
 كور دى ؟ بأحكامه ولا نحب . ثم سالوررة وفراحتنا ، ثم سياسة  
 وعطالاتها ؟ كلا ثم كلا ! بل بشاكسبير هذا ، فهو الملك الأكبر للملكم  
 على جميع طوائف الإنكليز فى سالر الأعداء والأرجاء .

## الخاصرة الرابعة

### البطل في صورة قسيس

لوثر .. البروتستانتية .. نوكنس .. البيوريتانية

حين كلامنا اليوم عن البطل في صورة قسيس . والقسيس في مذهب  
نوع . . . الذي ، إذ لا بد من أن يكون مطوبا على نور الوحي . والقسيس دليل  
الدين . مذهب الدين وقائدهم في مذهب العادة ، والوصل بينهم وبين السر  
الطبي . فهو وزعيمهم الروحاني ، إذ النبي أمومهم الروحاني ، والقساوسة  
ورؤسهم . وهو « القسيس » العارج بهم إلى السماء عن طريق الأرض ،  
الصاعد بهم إلى الجنان على درج الصداقات ومرقبي الطيبات ومعارض الخيرون  
والطبا . وهو أيضا في اعتقادنا صوت من العوالم المستورة يترجم للناس  
سراة أقرب إلى الأدهار رأسه بالديتيويات من عبارة الأنبياء والرسل :  
« من السماوات - و ما سماه جهنم ( السر الطلي ) الذي لا يكاد يراه  
بصره - ولا من صصاه . لله - إرعه كما قبل

ساهدنا يرسو بعيسى عائب ومشاهدنا الأمر غير مشاهد .

عاز من روعة حلال النبي وهول مهبسه ، بشرق له في نوحى  
رسمه سراج نفل وهدجا من الشهاب النبوى ، وأسكن لآلاء هذا ما يجب  
. . . . . هذه القسيس الكامل . وكلنا يعلم أن للكمال نافر ، وأنه ينبغي الكثير  
من التحاور عدا لانتقال من الشروط الطرية إلى الخفائق الواقعية . هذا  
سبح مجرود من كل هذه الشروط عطر محمول أن يكون كل  
ولا متيمم وجه الفصل وأمد الكمال فذلك ما نحن منه براء ولا شأن  
... ..

\* \* \*

قال لوثر و نوكنس قسيس حرفة ، وقد أدب الوطنية في ماله وصدق .  
وأن ما مع ذلك أن تعلهم حسب صورتيهما «ماريجه» ، أغنى مصلحين  
ورعا وجد في أيام السلم من القسوس من يساورون لوثار ونوكنس في حسن  
قيام بشئون الوطنية وصدق جهوص بأعمالها - يستترلون هدى به على عدله  
محزون ركب الفء في سن خده حادثة المصممة ولكن إن جاء عصر  
تغرب فيه تلك السل ونوكنس ، وقدمت فيه القحة وبقات ، ونسوارط  
والسكات ، ودحت خطوط رصت دنش ، وأرمت الكروب وتشتت دنش ،  
ليس قسيس الذي يسير في هذه الطريق سيرة البري في البحر دى الصحور  
والخجارة

تجاني بها اللوثري حتى كأنما يسير من الإشفاق في جبل وعمر  
ليس الذي يساور بنا تلك القحم وبوالب ، وبزاحم بنا هذه المواقف  
ويقال ، إلا أكبر من غيره - ولا سيما في نظرننا نحن - وأعطر . فهو القسيس  
جهاد المقاتل لم يكن طريقه بالدلول الركوب ، ولا جرت سفينته على دم  
سأكت مطمئن تحت ربح رخاء سهوة إلى مرسى الغدوء والسكينة ولكنه نزل  
بأسه سوح « ساحات » الت . في زمس فتوق نائرة ، وخطوب طائرة ،  
رحمروب دائرة ، وصروف جائرة ، وأمور بالرة ، ونفوس حائرة ، فسعد هذين  
الرجلين أكبر قساوستا من حيث إنهما أكبر مصححين ، لو ليس كل مصلح  
صادق قسيسا قبل كل شيء بطيئته ؟ وكيف وإنه بالله يستشهد ويستغيث من  
طسم الطالين . وجور الخائرين ، ويعلم أن طش الله فوق كل طش وأن .  
يد الله تات صوت يديكم شئ أردت بما في نفوس الكوادر

ليس هو لمؤس بالأسر ، فدمه - كها يهت صصره الشبهات عس  
حقائقها - أغنى قسيسا . وإن لم يكن قسيسا قبل كل شيء ، فليس تراه من  
إصلاح والمصلحين في شيء .

وكما رأنا أعظم الرجال في مراكزهم المختلفة يبنون الأديان - الأساليب  
الشريفة للحياة الدسوية - العقائد الخيوية الجديدة بأن يعنى بها أمثال دانتى ،



فدا أصف إلى ذلك الأمر بخون ، وهو إنه إنفا مرضت القلوب ووهت  
 « وخرشك في عظام اليأس ، فسدت عفت ذلك أعمال المرء ، ونحمت  
 هالك لأحلاط والمطالم والمصائب ، ومسدت الفتنة أمسياتها ، وأحدر  
 دهنها ، وشترت حسانها ، وما زال من سديهي أنه لا يصدق عمل المرء  
 صدق عنده فإذا صعب اعتقاد الإنسان فلم يكن له من عقيدته ما هو  
 ١٠٠ على لأعمد ، بل أصبح يحرق في جميع ثمره على مذهب العرب السائد .  
 ١٠٠ العادة السبعة ، تخصصا رأيه لرأى اسما ، جاعلا ليرادته رديقا لإرادة العالم ،  
 ١٠٠ حبيب نكير ملاً ، فما هو والله إذ ذلك لا عيب وأسير وبالخطأ فيما يستند  
 - حسن وحدير ، وهو أحد سواقي الفتنة ، وحدة الثورة ، يصرب عجره  
 ١٠٠ باصتها إلى اليوم الموعود ، والأجل المحدود . وما من عمل يأتيه من غير  
 ١٠٠ في ولا إحلاص ، بطرا إلى ظاهره الكاذب فقط ، إلا وهو يتم حديد يلد لبعض  
 ١٠٠ جليل مصاب ومستطرف ليله ، ثم تراكم الآثام حتى تصعر عن الثورة  
 ١٠٠ ما الركان . وهكذا لما أصبح الناس لا يؤمنون بكتوليكية دائني من حيث  
 ١٠٠ ، ولا يقدسونها ، لما أفسد الشك والكذب والعمل المنكر الخبيث من  
 ١٠٠ ، أتيح لشملها من لوثر محرق ، ولظلمها ميد وعرق ، وقضى ربك سي  
 ١٠٠ الإفصاحية ، تنث العيشة الموشة البهجة التي أبدع صنعتها لك كسير أن  
 ١٠٠ حتامها الثورة الفرستوية ، وإنما هو كما قلنا انفجار من الآثام للزركمة  
 ١٠٠ محار للركان ، ثم لا تستقر الأمور إلا بعد مدة طويلة من الاضطراب  
 ١٠٠ . ثم نبيه أن طرد من ذلك الأمر على وجه واحدة ، فلا نصر في آراء  
 ١٠٠ وضاماتها . لأنها مشبهة ملتبسة . وقتية رهبة بالقضاء والموت ، والحققة  
 ١٠٠ ، إذ محمد أن القضاء بما هو فـ الشوب لا المظهر ، والموت مـ مـ  
 ١٠٠ لا التروح . وكل إتلاف سلاح الثورة بما هو حليل حديد على نظم  
 ١٠٠ زعدي زسح ، فكاست الوثنية الأودسية شجاعة وسالة ، وجاءت  
 ١٠٠ حسوى وصربه ، وما يخشوع إلا صرب من الشجاعة أسرف

زكرم . وما من رأى حن هي صدر الإنسان جوله جد وإحلاص عن عقيله  
 صدق وإمان إلا وكان في وقته نظرة صادقة من الإنسان في صميم الحق ، فيها  
 سر صدق ما يزال على تجدد الأحوال «طبعا ، فهو دحس لها باق على كـ  
 حديد ، وتعاقب الخافقين . ثم نكس من الحور والسحق أن نرى أن جميع من  
 حـ الله من الأمم في جميع الأزمان والأمكنة ، عظمى ضل إلا حـ ٩ وأنه ليس  
 لي خلق الله غارا وحاضرا من باتت على هدى من ربه إلا نحن ، وأن جميع  
 ١٠٠ الأمم والشعوب ضلوا وحايوا لكي نصيب وملح نحن - العفة الصيلة القليلة ،  
 ١٠٠ رأ جميع تلك الأمم إنما ساروا منذ بدء الخليقة حتى الآن مسير الجود الروسية ،  
 ١٠٠ إذ يث زحفهم نحو الخلق إلا ليلقوا بأنفسهم فيه فيسده بأجسامهم اللينة ،  
 ١٠٠ يكون لما لمة من «ثهم -حسر نعر عليه إلى المدينة المحاصرة فتأخذها ! وهذا  
 ١٠٠ زربكم غاية الغرور ومتهى الباطل .  
 ١٠٠ وما أشد ما يتمسك الناس بهذا الباطل فيحسبون أنهم سائرون على حث  
 ١٠٠ جميع من سلف من القرون إلى آمد النصر والطير ، ولكن ماذا عسى أن يقال إذا  
 ١٠٠ هم وقوا كذلك في الخلق وصاروا أجسادا ميتة ؟ وكذلك أرى في نظرة  
 ١٠٠ إنسان أنه ما يوح بحسب فكره إمام الأفكار ، ورأيه حنة الآراء ، ونصى عسى  
 ١٠٠ هذه العقيدة . ولو أنصف لأبصر أن جميع من ذهب من عباد الله الصالحين ومن  
 ١٠٠ حضر ، إنما هم جنود جيش واحد أخرجوا في سلك الكنية تحت قيادة الله  
 ١٠٠ يتأثروا عدوا واحدا أعنى به عالم الظلمات والباطل ، ففهم التناكر والتجاهل  
 ١٠٠ لا تشتغال عن جهاد العدو المشرك قتالا بعضنا بعض فخره «تضلاف في اللباس  
 ١٠٠ . ترى ؟ ألا كل الأرباء حسـ ما ررت عمره على دى مروية ومعدة ، ومرحـ  
 ١٠٠ السلاح كله على تضلاف بوجه وشكه ، من انعمامة العربية واللبى المرهب  
 ١٠٠ . بل معمول « ثور » يصرب به الجان والرتة ، وما رجحة لوتر في حومة الحرب ،  
 ١٠٠ وأعدا ، دائني من «برع والقصب ، بلا عور ما لا عسا ، وكب تحب دك القائل  
 ١٠٠ وذلك اللواء !

« وبعد » فليلي نظرة في جهد لوثر هـد نعيم نى صرب مس الجهاد هو ، وكيف كان فيه بلاؤه ؟ ولوثر لا تنسوه كان من أبطال الروحانيين — نيا أمت زومه

ولعل كلمة هـا عن الوثنية على سبيل المقدمة لا تكون إلا فى مستقرها وموضعها . لقد كان من أهم خواص محمد « عليه السلام » وما امتاز به الأنبياء عامة شدة الإنكار للوثنية ، وهو أكثر مسائل الرسل ، وعبادة الأوثان الميتة كإله هو ما لا يستطيعون عنه أبدا ولا يطبقونه ، بل لا يزالون يشهدون الكثير عليه ويسمونه بألذغ مياهم القذع والقذاف ، وهو عليهم أس الذنوب ورأس الكبر ، وهذا جدير بالتأمل ، وكلمة « أبول » أصلها « أبولون » ومعناها الشيء المظور ، أعنى العلامة أى الزمر . فليس معناه إذن إنها بل رمز للإله ، وجدير ما أن شك هل كان فقط إنسان — مهما بلغ إعطاطه وعماء فى رأى ذلك الضم — أكثر من أنه رمز ؟ أن لا أظن أن مثل ذلك الإنسان كان يحسب أن الشيء الذى صنعته يديه هو الإله ، بل كل ما يحسب هو أنه يمثل الإله ، وأن الإله كان فيه بشكل ما . وإذا كان الأمر كذلك حق لنا أن نسأل : أليست كل عبادة أيا كانت هى عبادة بالرموز أو بالأشياء المصورة ؟ وسواء تمثل الإله للعين إخبارية فى صورة متطورة ، أو للعين اندحية أعنى الدهس أو للحيال ، فإنما هو فرق سطحى لا جوهري . إذ لا تزال تبقى هذه حقيقة وهى أن هذا شيئا مظهر — ياجى أو بالدهس — ديلا على الإله وليس يمثل أو رمز الأساس . وأولع التصور من امتلات الذهنية لمسائل المقدسة وبها عهد الله . ولولاها ما وجد إى العبادة سبلا : وكذلك كل العقائد والمثل والحل والنسورات مظهره على بوجدات مذهبة على هذا الحد أشياء متطورة ، ولا تسم العبادة فقد . لا بالرموز — بالأوثان وعلى ديث قول إن كل دس وشية ، وإنما بعضها أشد وشية والبعض أقل .

أى يتأشروها ؟ أما إنه لا يد من أن تكون مطوية على شر كبير ، وإلا فما كانت ملائمة من إنكار الأنبياء والرسل أشده وأبلغه . أجل للملائمة الوثنية

بعبسة كل ذلك العصب إلى الأنبياء بمقونة لديهم ؟ ولا أحسب أن أكبر ما سخص به على الوثنية ، وملا صدره غيظا وحقا ليس هو بالصسط ما كان يحظر بيانه فى ذلك الصلاد ويصرح به للغير ، فإن أحط وثنى من عباد الكواكب أو الأصنام كان كما رأينا ، خيرا من الحصان الذى لم يعد شيئا ! بل لقد كان فى عزمه جدير هـد نوع من الفصل حله ، شى مما يحسب هى الشعراء ، نسى إيلس . إيمان الإلهى والمعى . كثير فى الجوز وسائر الكائنات الصعبة على الإخلاص ، فمما ي ترى يقم عليه نلى كل هذه القمة ؟ ب أسفر وثنى عاكف على صمه ليس ب . متلا صوره تديا بهما نصم ، لا جدير بمرحمة لا بالإعص وإن كان بعد أهلا للاختار وانتت والإحباب ب شئت ليمتلى باعتقدها قلبه ويستمر بها وعاء دهمه الصق نصم ، أو بالأخصار ليؤم نصمه ، الإنسان كله يكن فى ذلك خير به ، أو عبارة أخرى ما هو حاضر فى ذلك الوقت من الخير ويمكن ، ثم دعه وشاه أما فى سر به ماعا على رسمه

ولكن الوثنية تصاب بعد ذلك بأفتها الكبرى ، وهى أن الإيمان بها يكون قد تطرق إليه المسد أزماء النبوة ، ويكون الكثير من الناس قد أفرقوا بعض ما أدر كه نلى من أن هذا الوثن إنما هو قطعة من حشـ وبكر نلى هذه الوثنية ، والوثنية المكرة هى الخالية من الإخلاص والصدق لما أكلت منكوك قنبا وحت الشهات لىها ، فبينا يتشبه بها الوثنى إذ يحصل إله أنه يتشبه بطيف الطيال وأشباح الطلال . وهذا لعمرى من شر البية وأسر النعة ، وقد قال كولريج : « إنكم لا تعتقدون وإنما تعتقدون أنكم تعتقدون » وذلك هو الفصل الأخير من رواية الأدباء والعقائد . وأية دمو الموت والقرب اعلاك . وهو شىء ك اسمه يوم تاع التقاد وتقديس المادات . وليس فى طاعة الإنسان ن أنى جماله نقطع ، وموقعه شيع ، ولا إنما أفرج — وجر ما ألكر وما هى لا رفيدة «عمل وشلل العصب» وصبغ الإخلاص والصدق ، فلا سجب بد أن سكر دنت ومقته وشر بل شىء منه

ولا أجد لوتر في أمر الأصنام وتكسيبها إلا كأي نبي من الأنبياء ، وما كان نصر محمد « عليه السلام » لأمة قريش المصنوعة من الخشب والشمع بأكثر من نرجه بوتر نسالة عمران دون الموتى وأدواتها من الخلد والحجر كما كان يحرقها عناق الكاثوليكية . وبه نشان لطل أيا كان وهي كل زمان ومكان أن يرجع إلى الحققة ويخمد على الأشياء لا على طواهر الأشياء . ونقد جبه حقائق الأشياء وإحلاله إياها إحتلالاً ناطقاً يصلح به صوت الشعر ويسبح ، أو إحلالاً منعصاً يجيش به اللسان ويعجز عنه اللسان ، يكون مقفه وكفه لظواهر الأشياء مهما صقل تنويه من أطرافها ، وهذب الترويق من حواشيتها ، ومهما أيدتها قريش أو عززتها قساوسة الكاثوليكية . والبروتستانتية عمل تحليل جليل يفاعله أن يسمى نيا ، وهي في نظري نبوة القرن السادس عشر ، وأول صبرة في معاصر عقيدة أصابها الدهر بساء الكذب والنوثية ، وهي تمهيد لحديد صالح مستقبل سيكون حقا ويكون مقدسا !

يظن الذي لا يدقق النظر أن من شأن البروتستانتية محوها لما نسيم عبادة الأبطال ، وجعلها أساس الخير الديني والديوي ترك الثقة برعماء الديس ، وعدم الإيمان بهم . وهذا سمع أن البروتستانتية أوقدت عصراً جديداً شديد اختلاف لجميع ما سبقه من العصور ، « عصر الرأي الشخصي » كما يسموه ، وقد كانت البروتستانتية نوراً صديداً ، أصبح كل فرد باب لنفسه ، وعلم فيما علم أن من أول واجباته عدم الثقة بأي بابا أو إمام ديني ! وعلى ذلك نسمع القائلين يقولون أو لم تصبح البربطة الدينية وكل إقباد لرعامه دينة بعد ذلك من المستحيلات ؟ أنا لا أنكر أن البروتستانتية لم تكن إلا ثورة ضد أئمة الدين من بابا ونطريق وما يليها ، كما لا أنكر أن البيوريتانية الإنكليزية التي كانت ثورة ضد الملوك والأمراء إنما هي الفصل الذي من الروية التي أول مصورها البروتستانتية ، وأن الفصل الثالث من هذه الروية هو الثورة الفرانسوية المائلة التي كان من شأنها فيما يرى ويظن أنها نسخت جميع الرعامات الدينية والدينية — الأرضية والسموية — أو جعلت أمر مسحها فضاء لا بد من بعده والبروتستانتية هي

بحر الذي عنه تفرع تاريخ أوروبا الحديث وتشتب ، لأن الروحانيات ما يورحت تنقص في العنات والروحاني مبدأ المولى . وقد أصبحنا الآن ونمل آذاننا صحت « يا للمساواة » « يا للإخاء » « يا للحرية والاستقلال » وأصبحنا ولدينا بدل الملوك وعية أرفق الانتحابات وأصوات لانتخاب . وكأننا قد ذهب من الدنيا ذات صدع الإنسان في الديويوت والدينيات ولو أن الحققة كذلك لنأهي بأسي من الدنيا وأريق صباية رحاني ، ولكن أرسح عقلا الذي أن الأمر ليس كذلك ، ولولا للحكام أعيان الحكم — الديويوت والدينيون لأصبح أمر الناس موصى . وشتر الأمور القوضي . ولكني أرى البروتستانتية رعماء أحدثت من «دعقر صة لغوضوية منشأ ملوكية حرة صادقة ، ومنشأ نظام وصلاح وزحكم ، وأزف ثورة ضد شر الملوك وأكديدهم ، وأزف خطورة لأولى بل إقامة أحرار الملوك بيتا وصلاتهم ، وهذا يحتاج إلى قليل من الشرح .

ولندكر أولاً أن أمر « الرأي الشخصي » في العبد لم يك بالأمر الجديد في العالم ، ولكنه كان في تلك الملة حديثاً ، نعم ليس في البروتستانتية شيء جديد في جنسه ، وإنما هي وجعة إلى الحق والظهور بعد الإقامة على الباطل والطاهر الكاذب بشأن كل رقي وتعليم صالح . ولا أحسب إلا أن حرية الرأي الشخصي ما يورحت في الناس من قديم الأزل لم يخل منها جيل من الأحيال . وما أظن أن دافتي كان قد عمد إلى عينيه فقلعهما ، ولا إلى حركات دمه فعلها وقيدتها ، ولقد كان في كاتوليكيته تلك حراً طليفاً ، وإن أصبح قوم في أعلاها من بعده مكيلين ، وفي أصفادها موتقين ، حرية الرأي ؟ ماداً سمع ؟ كلا والله ما كان قط في فترة السلاسل والأغلال ، ولا أي قوة بشرية ترغم إنساناً على الإيمان بهذا الأمر أو الكفر بذلك . وإنما رأيته في ذلك سراحه الدائم «الاشتماع الذي لا يصر إلا مع أقول كركب حياته ، وبه يستتير ويهتلى بعض الله وحده . إن أشتقي الضالين الذي يأمر باعتقاد الأعمى والطاعة الميمنة ، لا بد من أن يكون قد أضع نفسه أولاً بأنه لا حق لما في طلب الإقناع . نعم و« رأي الشخصى » هو الذي أشار عليه بذلك كأصوب ما يؤتى . فمثل هذا الرجل حصر الرأي في

صلاته، ولكنه حرم الرأى، وهو فوق ذلك مخلص، وما دام فى قلب المرء، خلاص. ففى الرأى الشخصى حازه فى ذلك القلب وحلته، وأرضى لنفسه بعد ذلك. ومجموع ما هو مطوى عليه من البور والهدى، يسما ترى الرجل لكادب الذى يحاول جهده أن « يعتقد أنه يعتقد » بملك طريقا آخر، فلأول تنبؤ « أنه » « خير صعدت أ » وتقول للأحر « ويل لك أ » فما هو كما يرون بغيوب الخديف ولا الخططة الصلابة، وإنما كما قلت عسوة إلى جميع ما قيل من أقوال الخدباء « كن حرا صادقا كن غلصا » لقد كان محمد ( عليه السلام ) يلزم غلبه قلبه، وكذلك كان أودى وكذلك جميع المسلمين والصارى وصادقى الوثنيين، لقد رأى كل فريق منهم منهجه الذى تبعه ( برب الشخصى ) .

والذى لأقرب ولا حرج به الاستمرار على الرأى الشخصى لا يتهدى فطر بالاستنداد إلى السرور والقطائع، بل يتهدى بعكس ذلك بصيغة محال وليست القوصى من نتائج البحث الحرف والمحصن الصادق، ولكنها نتيجة منطق الكذب وصعق لإيمان زما ثورة البراء صد الباطل إلا مل منه إلى ناحية الحق وأجرح إلى حرق برمرة أهل الصلاح والتقى، فاما أهل المنصهر الكدبه فمحال أن يكون يسبه صلة أو رابطة، وكيف ومضى حروف كل منهم فزاد ميت لا عاطفة فيه سوى حقيقة شئ، رلى أمر باحقيق لا بالأباطيل، وبذا أقرر بقلب من العاصمه على الأشياء، أقرر أن يكون منه على بحونه الأديب عذبة ٩ كلاً به لا نأسف بالناس - إنه رجل هو صوى، والوحدة - أيدكم الله - والجامعة لا تكون إلا بين إخوان الصدق وأولى الإخلاص .

أما من حيث قولهم إن كل إنسان بعد الله « برأيه الشخصى » فإن معظم الناس ليس فهم آراء شخصية، وإنما الرأى هبة الله يهبها لأعظم الرجال. ثم لا يأس على غير العطاء أن يعتقدوا رأى العظيم ويستشعروه حتى حانهم مذكور وقانصو شريده، ومخترعونه وناشسو دفتيه، وحسب المرء من الابتكار والاختراع، والاكتشاف والابتناع، أن يصح إيقاقه ويصدق إيمانه. فإذا كان

ذلك، فما صره إن لم يكن من الرأى بمنزلة كشف خبيته وعاصي صيته، ومن كان كذلك فهو الحرف الصادق المخلص. بل إن له فوق ذلك من فضيلة لاكتشافه ولا ابتكاره بقدار ما هو ماهر للرأى الذى يعتقد ويستنبطه. فإن ههنا رأى عظيم من العطاء صرب من الشركة مع ذلك العطيء فى إحدائه، وكذلك لكل امرئ أن يكون متى شاء غلصا صادقا، أعنى مبتكر بمعنى ما. بل بعد زجده أنه وأشعوباً كل أفرادها مؤمن صادق، تلك أمه حتى وشعوب ( بدم - وفرون الصدق والخلاص، وأعصر البر والدلاج، أعصر ماركاة وفرة شمرت، كثيرة الخيرات، جهة المبرات، إذ كل فرد يقوم على أس الحقيقة لا الباطل. فكلى شعرة عمل بآنية النمر، وكل لقحة صعب غزيرة سر، وحاصل الجميع جم وفر، بما كان كل فرد يضرب إلى ناحية واحدة، ويؤم غرضاً بذاته وأما بهيه، هذه أعصر لريح لا الخسران، وأرض المزيد لا القصد .

ز - برز سدة لربين بمقاطعة ساكسويا من ولايات جرمانيا لعشر خلون من شهر نوفمبر ١٨٨٣، وقد ليست تلك البلدة بمولده حنة فخار تبقى ما ليس النهار حلة الشمس، وتاج محمد يلوم ما ككل البدر هامة الليل. وكانت أمه وأبوه وهو صانع فقير فى بعض معادن البقعة المسماة « موهسوا » قد رجا إلى سوق ليرين لشتوى، فأخذ السيلة المخاض فى حومة السوق وغماره، فعادت بدار حفيرة رويست غلاما سمى مارتين لوتر، عجيب والله ذلك لول زير لوموه. لقد ذهب هذه مرة « فرلو لوتر » وبطلها إلى ذلك السوق لتفضى حاجا من البيع والشراء - عنه شمع لمه ما كانت مسحت من ثياب الصوف، ولشترى دجيرة خشب - درها حفيرة، وبعض من ذلك اليوم لم يك فى طول الأرض وعرضها اثان هما أصغر شأنا وأجل ذكر، وأقل حظاً من دلاء العامل المقيم وزوج

ومع ذلك صفاء ملوك الأرض وسلاطين العالم وباباته وعلما منه فى جانب ذلك لاشى ' لقد ولد له بعض حسب، شمس لله شهاب، فإد مسوف يمتد على شرفه، لنفسه شعرة، فى ذنبه لوم ولد بطل أطل السكالك الأرض ( الأقطار )



... وحواله التاريخ اجتماعه وترحابه . عجيب والله وعروب وخطيب على  
... كبره ارفع ذكرى ليلاد أقدم عصراً ، ولهمى مرلة وأرفع قدراً ، وقع  
... فب وثمانية عام ، وهو حادث الصمت إزايه كولى من الكلام ، وما عساه  
... ما ، فى مثل ذلك المقام ؟ ويزعم الناس بعد لوثر ومولده أن الأرض قد صفرت  
... من محروك ، ومغص من آيات كلا ونحاء الله بما العالم عرس من  
... لعجار ، والمعجزة من نيات ذياكم الثرى .

وأنرى أنه كان ملائماً جداً لوطية لوثر فى هذا العالم ، وحكمة من الله  
... بعد أن ولد ذلك الرجل فقيراً زربى فقيراً كأفقر عباده ، وكان أيام تسميته  
... يستعد القوت منسلاً من نساء من دار وكان البوس رفقته ، والكرب  
... حقيقته ، والشقاء أبداً مجاهره وجهها بوجه ، والديها تكاشعه الكره والعدوة لا  
... تحادعه قط بر حارب النازل والكذب وبورق الأمل الخلب ، وهكذا شب لوثر  
... بين حقائق الأشياء لمرة المصيبة لا طهرها الملوحة المصفولة . علام حش أهلة  
... ضعيف الية فى جوفه روح كبيرة نهمة كلها ذكاء ، وشعور شب فى منظم  
... مورج البلاء ومصصم أودى الشقاء ولكن ذلك خير مدرس له تعلم فيه سنة  
... حق وأنف صحبه احتق ، وهذا وجهه فى الحياة أن يعرف الحقيقة ، ثم يرجع  
... بينها العالم الصال بما قد طال فى الباطل لجاحه ، واشتد بالروور والكذب لجاحه ،  
... علام نشأ فى مهد الموصف ، ورى فى حجر القور والمهرير ، وعذته مرصعت  
... فيه وسكنه ، وعازله باتت للأساء والكمد ، فخرج من أنشاء وطسه حروح  
... نور «<sup>(١)</sup> من صمير إسكانديانيا ، وكيف وأنه ما انفك يضرب فى شياطين  
... بفتح والروور ، وأبالسة لشكر والتمسور ، كما كان يفصل «<sup>(٢)</sup> ثور » بالجان  
... مرده ، حتى هزم كتاب الكذب والجمال ، وكشف جنود البدع والضلال ،  
... ونزل الأمر لدى كان منه محمول حموى جيايه هو موت صديقه  
... كسيس » بالصاعقة ، لقد كان لوثر أظهر فى زمن لظفرته وصباه أشد الليل

به الرعد عند الأسم الشمالية الوثنية وقد مر ذكره .

للمرس واند كثة رعد من كربات الفجر . ورجا أسواه أن يكون له فى الرقى  
... قسمة فأركاه طريق لدرسة العصفية ، لأنها لطريق إد داك إلى الهصة  
... والصعود ، عرضى لوثر بذلك وصى ككرو ، وسدغه مساع الشجى ونعصى منه  
... على إحدى

فلما كان فى التاسعة عشرة وقد شغص هو وصديق له «<sup>(١)</sup> الكسيس »  
... لبروز بويه فى بلدة «<sup>(٢)</sup> مسعيند » ثارت ربيعة ورمت بالصاعقة فأصابت  
... صديقه ، فاد هو تحت قدمه ميت ، فاجاه مهاجى العيرة من أعناق مصه «<sup>(٣)</sup> تها  
... هذه ندما وقفا خدى الدبر ، وبهاؤوس للعبلة وبارحمتا للإنسان ما هذه  
... الحياة ؟ أتروى فى لعنة ، خذ ولح البصر . وتذهب كاتر طاس طوته ألسنة اللسان  
... فصبح فى مجاهل الأبد ؟ ماذا الدنيا وماذا الدول والممالك والسلاطين والقيصرة ؟  
... كنهم فى البرز ؟ يساهمهم ربهم ، عنى الأرائك متكون . تدعى الأرض ماها  
... هذا هم فى بطنها ثاورون ، وبالغفر والرخم مكحولون ، والسمر والمحارة  
... مؤسسون ؟ بللى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ، عزيم  
... من ساعته على الانقطاع لله وعبادته طسول عسره ، وأصبح قسيس كيسة  
... القديس ، ثم أن لوثر أوحاسين ببلدة «<sup>(٤)</sup> أرفورت » برغم آيه والكهنة من  
... معاره .

ولعل هذا أول شعاع برق فى تاريخ الرجل ولكنه شعاع وسط ظلمات ،  
... وقد حدث نفسه أنه كان فى تلك المدة قسيساً صالحاً يجهد ويجهد ليردى وظيفته  
... ويردك السعادة . ولكن عبثاً حاول فما عصف مصابه ولا قلت شقوته ، ولكن  
... تصاعف عليه البلاء حتى جاوز كل حد ، وما أشقاء لا من كد فى عمله ولا  
... مصب ، ولا من مهانة العمل وظله أثناء البلاء ، وإنما لسقوط نفسه إذ ذاك فى  
... أسحق مهاوى الشك والحروب - الشك فى أنه على الهدى والخوف من عذاب  
... الله فى الآخرة ، وقام بمخاطره أنه قد دنا أحده ، وشر من ذلك أنه قد دنا عذابه  
... الأبدى . أليس فى ذلك دليل على خشوع الرجل وضراعه وإخلاصه ؟ لعله  
... جعل يقول فى نفسه «<sup>(٥)</sup> من أنت أيها المسكين حتى تدخل الجنة ؟ أنت الذى ما

عزوت إلا الشقاء والحرمان ؟ كلا ذلك مقام نور الشمس » ولم يكذب يفهم  
 يهب أد في الصوم و تتحدد وتكالف الدين والكنيسة منحة للمرأة من النار ،  
 مصر تم هوت نفسه هي أعتد طلسمات ابليس ، وجعل كأنها يرتج به على شعاع  
 حرف حار  
 وكان عشوره على نسخة قديمة من الإنجيل في مكتبة أرفورت حسنة أكبر من  
 حسب الرمس ، و ديث فظ فيها أبصر الإنجيل فلقه درسا خلاف درس صيام  
 و سجد ، و أعاد عني ذلك ح مي . لله قسيس . فعم بونترن لنقد رايان من  
 وهذه البلاء ليس هو نشيد الصلوات وترتيل الآيات ، وإنما هو الله ومرحمته ،  
 ودلت قرب إلى العقل وأوقع في اجدان . فاعتصم من رحمة الله بأوثق عروة ،  
 ونسب من معصرة الله في أروسي طلود وهصبة ، ولا بدع أن جعل يقلس الإنجيل  
 الذي أسدى إليه ست نية ، فأجده كما يحمل مثله كلام الخالق ، وعزم على ألا  
 جبد عنه أضعا . وقد كان منه ذلك حتى بقي ربه .

مكان ذلك خلاصه من أسر الشكوك والريب ، ومتحاته من مرتطم الخوف  
 والجنوح ، وانتقاله من الصلال إلى الهدى ، فازدبت نفسه من يوم إلى آخر غيطة  
 وصدا ، وراحه زرحا ، وكرت النية الطبيعية أنه أظهر للملا ما كان مكتسبا  
 قبل في زوايا صدره من المواهب الإلهية ، والصفات الطبية ، فأعطاه الرؤساء  
 و بوعوه من اللوح ما هو أهله ، ووكبوا به أمر البعث ، فكلمنا أب من رحلة  
 كلفوه أخرى ، ثقة منهم فيه باحزم والصدق ، ثم اختلوه أمير المقاطعة  
 « فريديك الملقب بالعاقل » ، وكان عاللا عادلا أستاذ في جامعة « ونهرح »  
 فحس أنه ذلك العمل كما أحسن البلاء في جميع ما نيط به من الأمور ،

ز جعل من يوم دن جر يعبو في أطار الناس ويتعلم في نفوسهم .  
 و دس في نساعه والعشرين من عمره أن رأى مدينة روما لأول مرة وكان  
 لها بوسنة من بيسرد ، ولا يحال إلا أن لوثر عجب لما أبصر من حد الباب  
 « بونيرس النامي » وسائر أحوال روما إذ ذاك ، وكان ظله أنه قد أتى للمدينة  
 القلمسة عرش ولي الله في الأرض وإمام الناس وهاذهم سواء السبيل ، فإذا هو

ين فسق وفسور ، وغفلة وغرور ، وويل وثبور ، وويل إثم وورور ، وبلاء وشور ،  
 وباطل ومسكر ، وما أحسب إلا أن هذه الحانة السيئة قد بغت خاطره في أودية  
 الفكر وشعاب اللطن ولكنها كانت هواجس لم يرفعها قلبه إلى لسانه ، ولا  
 أسمها وجدانه إلى بيانه ، لقد علم أنه لا يبصر أمامه هدى ولا حقا ، ولكن ماله  
 ولدان ؟ وأني لرجل ضعيف مثله أن يصلح عالما ويقب دينا ، حقا إن لخل هذا  
 بعض لاساما غيره أعظم قدرا . وأكثر عظما . وحسب لوثر أن يوقه الله إلى  
 هده ، ويسلده إلى خطية الحق عطاء . وحسبه أن يقوم بواجبه في حقية  
 وعمره . فف نعم فعاء ، لله يفعل به ما يشاء والله في خلقه شاكرون .

وكسبت برك بونتر هده البابوية الصالحة وشأها وعاد إلى بلاده . فعم تركها  
 وشأها . ولم يتعرض لها إلا بعد أن تعرضت به ، يقص عليها ويسطر بها حتى  
 هاجته واستارته ، ومن أكبر فصل الله أنها هاجته واستارته واستدعته بذلك إلى  
 شن العارة عليها والإيقاع بها ، إذ ماذا كانت الحال تكون وإلى أي شيء كانت  
 تصير . الأمور ، يوم يثر بونتر ثورة الأسد المنحد في وجه ديث المنهب الباطل  
 فيود عزمه ، ويغل غريه ، ويكف منه عن العالم شرا مستظرا كأن يؤذن بالويل  
 المصه . ولحطب الحبيب . والتلف العميم ؟ ماد كان يكون لأمر لو قد  
 استمرت تلك البابوية تضرب في سنن غوايتها ، وتغن في طريق عمائتها ، من  
 غير أن تعرض بونتر في سببه ، وتصادمه في مهجه فتضطره إلى الحملة عليها ؟  
 ي الوضح في أنه لم يكن ذلك ما كان بونتر ليوره بت شمه عن معاند روما  
 ومواقفاتها ، وإنما يحمل الأمر في ذلك لله شيمة الرجل المتعصب المتواضع الذي لا  
 يورى من شأنه أن يستطيل بالنسفيه على قوى الأمر من غير أن يكون لمة موجب  
 أو علة ، بل يورى كما قلت أن حسبه من التطفل بالمصيبة على الغير أن يتضح  
 لعنه ويعى بها حادة الحق وسهح السداد ، ولكن البابوية لم يحمها ما أتت في  
 سائر جهات و لأمصا من «نصل والتعوير ، حتى هجمت على لوثر في قرينه  
 مخفوه فسامه حطة احسب و نصيم فأكب ، و آبه الرجل «لله» فف أنه إذا سمع  
 الحسب فان لا عجز فيه . وبيان ذلك أن الباب «لسو» «لله» فف حجاج إلى المال

٥٠ - سلباً متلاقفاً ، فابتعاه من وجهه حرام وطريق عقوت ، إذ جعل بيع الناس عنه ، وعقوا لله لا يحتاج إلى شفاعتها ولا بطريق ، وما هو بالسلمة تباغ في السوق بالذهب والورق ، وإنما هي بصاعة لا ثمن لها إلا الإخلاص الصريح ، لا به بصوح ، وذهب للذهب يقرع وحتيته ، وسه يضرس سيايته . فكان كان من تنعيم فالسيد المسيح ومحكم التنزيل ، وآيات التوراة والإنجيل ، ولكن « ربي اظهره فشبها في الناس فأرسل فيهم رهبانه وقساوسته بتلك الأوراق مسدة المرولة ، وكان يسميها أوراق العمران . ومع كل واحد صنفون فيقولون « من كان له في إنجيلهم صاحب أو قريب فأحب أن يقرأ الله له وينقله في حبة ، فليبدأ في هذا الصنفون قرعاً ، فإنه لا يكاد يصل حتى يظهر الروح المحدث من مثواه في أسر إلى أنفسر مقادير الجنة » .

٥١ - أحد هؤلاء الرهبان واسمه «تنزل» على بضعة فراسخ من بلدة «توتوج» حيث كان لوثر ، فأسمى إليه كثير من العامة لسنداهتهم ، وبلغ من شره أن بعض يقوم سد طاعة لوثر في كثير من أوامره اتكلاً منهم على ما اشتد به من عمو الله باللزهم الملقود ، ففقد ذلك في أحشاء لوثر ، ورأى أنه قد آن له أن يثور في وجه البابوية الكاذبة ، ولم يفتش الراهب «تنزل» بل قال « إن يشأ ربي وربكم فلا صدغن مروت ، ولا تخن أنته » .

ثم كتب رسالة أبطل فيها عمل البابا وطعن في معتنه ، وأرسل صورة منها إلى بطريق مدينة «ماجندروج» شيخ البصيرية بالمانيا ، وعلق صورة تمضاة باسمه بباب كنيسة «وتتوج» فذهب هذا النبا مهيب الريح في كل وجهه ، وطار في أنحاء العالم الأوربي مطير البرق .

٥٢ - الراهب «تنزل» فزول بسدة فرانكفورت الواقعة على صفة نهر «ودار» ، فكذب رجوداً على أقوال لوثر وشرها ، فتناول تلاميذ لوثر نسخة منها فأحرقوها بيللة «وتتوج» . وسبع البابا بذلك فقال متهمكاً : « لا إخال أن لوثر هذا من نوايغ العالم » واستمر لوثر يكتب الردود والمطاعن وينشرها زعماء لباوية وأنصارها ، وتقوم بيه ويهيم سوق المناظرة ، ويحمي به ويهم وطيس

الجدال فيمنع بالحق باطلهم ، ويدفع باليقين شبهاتهم . وما زال ذلك دأبه وحالهم حتى نفذ صبر البابا ، وذهب عنه ما أتقاه التجلد من رسق الاحتمال والمطاوله ، فشر لا محنة كفر فيها لوثر ورماه بالخروج والزندقه ، وأمر بكتاياته أن تحرق ، وبه أن يرسل مكبلاً في الأعلام إلى روما لعله ليحرق أيضاً فيلقى من الجزاء ما يعي القسيس «هاس» من قبله ، وبه مناظرة الدار ما أنصهر وما أنسرع ، وما أقرب إلى العاية وحسم النزاع ، يا للظلم ويا للفجور ! يستدعي البابا القسيس «هاس» ويعطيه عهداً الله ويثاقه ألا يمسه بسوء ولا ياله بأذى ، ويحصر «هاس» رجلاً لا مشاعراً شديد الخصومة ، ولا مشاكساً لئلا يحداد وإنما رجلاً سهل الشكيمة من «عطف سلس العال ، فيدعونه سحناً أصيب من يباسه لئله ثلاث أفرخ في مثلها ، ثم يضرمون عليه نار فيقتصرون بصورم النهب صوتاً ما رفع إلا في طاعة الله . لبس والله ما يصنعون ، وسرعاً الدبس صموا أي مقنن يقبلون

٥٣ - أحد الذين يصحون ساحة العصر ليوثر في قديم الآن صد البابا ، فإن ذلك البابا المذوق الكافر والوثني الأثني الثوب السالغ الطعنة ، لما أوقفه بده لخرين مكتوبات لوثر أصبح بها حنفاً وسعر بها غيظاً وحرراً في أنشجع فزاد كان إذ ذلك في العالم - أنشجع فزاد وأصرعه الله وأشدته تواضعاً بلى نقد أسعر ذلك «فزاد» وتأنجح ولات حين يطفء . وكأني بنوثر يقول في مصبه جيداًك « تخرق يا هذا الرجل كتابتي هذه وما أريد بها إلا الحق والهدى ، وم يعد بها في غير الله ، وتسمى بمسك بعد ذلك إمام الناس وخليفة للمسيح في الأرض ؟ يُعص الجواب عني هذه الأوراق ، حررها وما فيها إلا عصاة لك وحكمه ، وتريد أن تخرق كتابي ؟ أنت خليفة الله في أرضه ؟ كلا : أنت خليفة الشيطان ومثوث مشوه ، ودارك مغنى لإبليس وخنوده ، وعش لخصايش العصى والجهالة ، وجحر صوم السمه والصلالة ، وراي لأشهد عني لا تمسكك تمك التي أصدرته بقمه علي . يا رب واخبر ، ونيس لما لدى إلا النار ، وبفعل بعد ذلك ما تشاء » ثم ياد له جمع من شيعته ، أنصاره مجمعا ورفضاً ، فأحرقوا فيها لائحة من الوثائق

عليها اعتاف والصياح يجرأى من مدينة « وتبرح » ، بل يجرأى من العالم أجمع .  
 لك الله أيها الناس : ليسما صنعت إذ استشرت من صدور الناس تلك الصيحة .  
 فيها صيحة استيقاظ الأمم وإنشاء العالم . لقد طالما أوعرت صدر ألمانيا حتى  
 صاق ديك الصلح بها كطعم ، وحتى طفق ذاك الإناء ولم يبق في قوس الصير  
 مروع . ولقد طال ينس حكم لصلال ، وتراحت مدة الباطل وشاخت فيهم  
 دولة الزور والهتان ، وقد آن للحق أن يحيل عروشها فيهدمها .

وهل كان لوثر إلا من قبيل الأتياء حاططي الأضنام ، ومرجعي الناس إلى  
 حقيقة يعد طول الإقامة على لصلال . وتلك طبيعة العطاء عامة ؟ أو لم يقل  
 محمد (عنه السلام) لناس إند أوصامكم هذه حشب لا تصبر ولا تنفع ؟ وهل  
 كانت مقالة لوثر لبنا إذ يقول له ( ما هذه الأوراق التي تسميها أوراق المعو إلا  
 كسوية وأصولة ، وما أنت والنصو عن الناس ؟ إنما ذلك بيد الله ) إلا كمقالة  
 محمد ؟ الله أنت يا لوثر أي كشف عمة ، ومقد أمة ، وأي مرجم شياطين ،  
 وسيف على رقاب الظالمين أنت ! وبأي أنت إذ تقول ولا تبالي بمران البابا ولا  
 جيوش السلطان . « إنما المعو بيد الله والأمر لله وحده ، وإنما البابوية وما  
 بدعوه من تلك الرعاية للروحانية إقك وزور . وكيف وما أراها إلا أنوابا  
 مرقوشة ، وأوراقا مقوشة ، وما كانت تلك المواد الحامدة المبنة لتكون رعاة  
 بية ، ورعاية روحانية ، إنما هي حقيقة رائعة ، وما دين الله وفردوسه وجحيمه  
 طيل كليل ولا أكديب ، فيها وحده ، أو من وبه اعتصم ، وعليه أقوم .  
 فيه أصرب أو تادي ، ورسي أضادي ، وبني إذ أعمل ذلك لأقوى منكم جميع ،  
 عصمه . الله أمتع للمؤمن من جميع ما يشدونه من القلاع والمعقل ، وبأس الله  
 يا أسكم أشد ، وكبده من كدكم أقوى ، وأنا وأنتم بصر الله كمن قبل

كادوا وكدت فأرهقت ما ديروا . إحدى هتاك إنما يرهق

أنا في وحدتي يهدي الله قوى ، وأنتم في جموعكم بالصلال والكذب  
 . . . من صاعة الله مدحج في أكمل سلاح وأحصى حجة ، وأنتم من  
 عسية الله في أعمال وثاث وأطمار وعائيل ، مكشفو العورات حاسرو المقاتل ،

وأنا من تقوى الله على صخرة أصلها تحت الثرى وفرعها في السماء ، وأنتم في  
 باطنكم كالشكوى على الهواء ، والمعتمد على الماء .

ثم جاء بعد ذلك حيلة « ورمز » وظهر لوثر هبث . ولعل هذا كان  
 أجل مشهد في تاريخ أوربا ، والجمع الذي منه قاض تاريخ مدينة الحديثة ، والذي  
 كان من أمر هذه الحملة أن يمرضور ألمانيا شارل الخامس - أعينه الخيل في لوثر  
 ولم تنفعه فيه المناقشات والمجادلات ، وكان قد عقد لجنة للنظر في شئون  
 الولايات ، استدعى لوثر ليعرف ما عنده وليتهدى معه عد حال ، وكان المجلس  
 حافلا بجميع الوجوه ولأشرف وأمر السولة والسولة ورعما الدبس وسبك ،  
 وإلى هذا الجمع لحشد استدعى لوثر من قريته ليسأل ألا يزن مصرأ على رأيه ؟  
 فيجيب نعم أو لا ، خصمان متواجهان ، وقرنان متبايزان ، أحدهما : قوة العالم  
 ورهرة الدنيا وجيوش الأرض ، وثانيهما : رجل مرد نجل الصانع للسكين « هانز  
 بوثر » قالما في نصرة الحق . وقد نصح إليه الإعران ألا يذهب ، وذكره نبيا  
 القسيس « هاس » ليكون فيه عبرة ومردجر ، فأعلق دون كلامهم أدنيه ومضى  
 على عريته في الذهاب وصمم ، وقال ( تالله لأذهب ولو أن بمدينة « ورمز »  
 من الشياطين بقدر ما بها من الخصى ) ، وجعل الناس يصيحون به من نوافذ  
 الدور وشرفاتها وهو سائر العدة إلى الحملة ، أن أقم على مدتك وتشبث برأيك  
 ومذهبك ، وإياك والاختلال والهرعة وجعلوا يتمنون . . . من إاجل في ذلك  
 معي ، ذلك ما عنده إليه من وصه . وهل هو في الخيفة ، لا حسب العام أجمع -  
 طلب العالم الذي جهده أعلال الباطل ، وشعته ظلمات لصلال . . . وأخذ بكلمته  
 شيطان الجهل حتى بلغت الروح التراقي - طلب العالم يصيح بلور . أعنا أدرك  
 يا بطل الأبطال ، فإن مدار أمرنا عليك ، وأرواحنا في يديك .

ولم يحسم لوثر ولا خيب فيه آمالهم ، وقام في المجلس حسب منكم ما عين  
 كلاما سنده الحكمة ولحمته الإخلاص والصدق ، أبان فيه أنه يدعو للحق وليس  
 بعيره يدعن ، وأد كتاباته بعضها من إملاء صميرة ويعصف مسمد من كتاب  
 الله ، فأما ما كان من باب خاطره هناك ملىء بالعب وحضأ عنه كلام بشر ،

ومن أكرم ما امتاز به لوتر فضيلة التسامح . وبها كان يحفز الأمر الأساسي للجوهرى من غيوره . فقامه ذات يوم عن بعض قسوس المذهب الجليلد أنه يعط الناس من فلسفته ( وكنت هذه سنة المذهب الكاثوليكي وعمامة لمبادئ الله الجديده ) سم يعاً لوتر ينك الشكوى بل قال : « رأى ضرر من الفلسفة ؟ دعوه يفسر فلسفة نوتلان إذا شاء »

وقد ذكر « ريشتر » لوتر فقال : نقد كات كل كلمة من كلماته كموقعه حربية ، وما أعطى في قوله ، ولعل أهم صفات لوتر هو أنه كان يستطيع أن يجارب فيقهر ، ويقاقل فيقتصر ، وأنه كان قطعة من الشجاعة ، وقلعة من المروعة ، ولا تعلم قط في « تاريخ الحديث والعابر إنساناً أشجع قلباً من لوترس ، ولما قال في مدبته « ورمز » كلمته الماثورة وهي : « ولو أن في » ورمز » من الشياطين عدد ما بها من المحصى لما جعلتها « لم تك لهرد الانتصار والتيه كما يكون في مثل تلك المواطن ، ولكنه كان عن عقيدة صحيحة بأن هالك شياطين يعترضون عباده الله في مسالكهم بالشر والأذى ، ومن ينهب إلى الترفه التي كان يكتب فيها لوتر ترجمته للإيجل بر عسى أحد حيطانها بقعة سوداء - إثر موقعة كانت له مع شيطان من الجن ، وأصل ذلك أن لوتر كان جالساً في تلك الغرفة يكتب ترجمة الإيجل وكان قد نهكه الكد ، وأعيابه الجهد ، وبلغ منه المرض والنصوم ، وكان من أثر ذلك أن تراءى له شيخ منهم الشكل يخوفه الجية فحسبه بليس أثناء لبقعه عن عمله ، فثار لوتر ثورة جدير ، وأخذ الدواة فرمى بها الخيال فبذره هو قد مس . وأثر الدواة في حائط بقى إلى الآن آية ديلا على أمور شتى ، وأن في قدرة أي تلميذ بمدرس الطب أن يكشف لنا القناع عن هذه الحادثة ، ويحل لنا مشكلتها ، ولكن اعتقاد لوتر أن الشبح القائم أمامه هو إبليس ، ثم نهضته في وجهه إبليس وقدمه إياه بالدواة دليس على منتهى الشجاعة وأقصى مدبات اللبس والحدة . ومن كان لا يهاب شياطين الجحيم وأبالسة جهنم ، فهو آخرى ألا يهاب ملوك الأرض وحارثهم ، وقد كتب مرة العبارة لاسه : ( شيطان يعمد أن عملي هذا ليس ينتجة رهبة ولا مخافة ، فليقد طائلاً رأيت )

وأما ما كان مأخوفاً من قول ، لله فأساسه الحق وليس يبرأ منه أبداً الدهر . ثم ساعد : بـسـوه بالحجة والدليل ، دحضوا حجته وأن له عليها وصار إلى ما حبر . قال : « أما لا تخاف ما يلزمني به العقل واللبس ، ويوحى إلى به صوب حق من روايا الصمير والفس ذلك ما في رضى وطائفي وليس لي عه معه ولا دوة مذهب ، وعلى أنه نوكن وهو حصى زعمه لوكنس لا سرو بها لإحور . ثم هذه كاسب أخضر سبعة في التاريخ الحديث ، وأن عثب قدم دعائه بمسور الإنكسور وبردياته ، والخربة الأمريكية واستفلاها ، والنبوة "موسوية" - لجها في أنحاء الأرض ؟ مع في هذه الساعة غرست جذور تلك الحوادث الكبرى والمسائل العظمى ، ولو سلك لوتر في تلك الساعة عمدة أخرى لكان قد عواقب أخرى ، وكأكد العالم الأوروبي كان ساعته مائلاً أمام لوتر بماله هذا السؤال : أتري لا أزال في عمة وبلاء يهوى بسى النحس إلى مساقط الجهل والشقاء ؟ أم يرضى الله من ذلك الداء الشفاء ، ولظلمة الباطل من نور اليقين الجلاء ، فأعبط معاهم الراحة والصداء بعد محاث القبهة للكهلاء ؟

وما يمدح به لوتر أنه أثار في وجه الدين ثورته ، وأحدث ذلك الانقلاب العظيم من غير أن يهيج زوابع الفنة أو يسمر نيران الميحاء : بل حقن الدماء في الأبدان ، والسيوف في الأحناف ، ولم يحول اللواح حساماً ، والقرطيس أعلاماً ، ولا استبدل من صبرم الفم في الظروف . سبل السيف في سربوس ، ولا من التناضل بالأقوال ، التناضل بالنبأ ، ولا جعل الكهول (١) موضع كلام . وحلاد بدل الجلال والخصام . وقلما نجد حلاً أحدث أثر ، وحلاً وهاج حركة هائلة . لا عاله مما أحدث غلالات . والتهمة من أثر محي جاتحات ، وهذه من مسرمات معن والعروق . ومسجدت كل حد ، مع عس لأرض : مأفة ومرورق . وقد وفق لوتر ، دست بعض ما أوتيه من شرم ونصيرة . وحررم من سبورج الخصال ، وكراثة الحلال ، وداعية الصلاح ، وساقطة الملاح

(١) الكهول جمع كند وهو الخرج

نساخين وبادلتها . والدوق جورج لا يعادل شيطاناً واحداً ، وأين هو من  
مملكة الشياطين ؟ فليعلم هذا الدوق أى سوء شئت أن أدخل بسدة « ليريسج »  
به حبسها قسراً وعسوة وحسب خلاها ، ولو أن نحاكها فطير أحسنه من  
نبوقات سمعة أيام ولأه ، لك الله يا لوثر ! أى طوفان وسيل من الدوقات  
يريد ! تقتحم !

وشد ما عظمي فلذين يحسبون أن شعاعة هذا الرجل كانت ضرباً من الطلش  
وميث ، وصفا من الماء والمصيان والمفتونة والمعرقية ، وما أبدها عن ذلك  
لا أنكر أن هناك ضرباً من قلة الحروف مصدرة قلة العطف أو قلة التفكير ،  
ورث كان منشؤه وجود البصاء والحق الأعمى ، كشعاعة النور . وهل ترون  
شعره المرقيمة ؟ أما لوثر فكان غير ذلك بة ، ولم أر تهمة أكذب من نسبة  
عنه بالقسوة إليه وكيف ؟ وما كان قلبه قط بجلا لغير الحب والرحمة شأن كل  
من مزبذع ويو ، والمزبذع إن صادف زنا أشد منه بطشاً فر هارباً ، فما هذه  
شعره وإنما تلك وقسوة . ولست أعلم شيئاً أرق وأكثف مما كان يصدر عن  
من نرس أنفاس المسودة والعطف . تلك التى كانت أرق من أنفاس العاشق  
في حشر ، وأنفاس السبيح في السحر ، أنه ما كان أرق هاتيك الأنفاس . وأعمى  
جسدت الرجل ، وما كان أصفاه وأخلصها من شوائب الرياء والكفة ،  
سها بالعلب الزلال تنفجر به الصخرة المساء . وهل كانت كآته وبطرقه  
من صباه بلا بعض آثار التفكير والتمسك والعوية عما يكون عادة في  
من رقة ، والمعوس الجديدة الشعور الذكية للوجدان ؟ وهى حالة يصاب  
رقة من الشعراء ، وقد أصيب به الشاعر للسكين ولهم كوبر ، بل لقد  
منه بوثر وتواضعه أنه كان يحسب الطائر غيو للدقق رجلاً ضعيفاً هباباً ،  
من أكرم الشجاعة وأسمها ، بل أشدها وأقولها ، هى المسفة من فؤاد كده

منه في كتاب لوثر المسمى « حديث المائدة » ذلك الذى جمعه أصحابه  
من أقواله وكلماته من الآيات البيات الدالة على عظمة الرجل وفصله

لعمى ذلك من يده عند وفده حبسه له من جد في رقة ، وصبر في حرقه ، وقوله  
أنه استودع حسية عند بة ، وبك لا يملك مع ذلك وجد عبيها قد أوفد  
لوعته ، وهاج عليه ، ركندا والتاعا ، وحسا وبرعا ثم جعل وهو مشبوه  
( مدهوش ) حائر ، بطر في تعقب روحها الصاعدة إلى الله قد عاتى في آتباء  
سك حوشه بجهوية وراء حجب الموت ، - بطر دهشاً حائراً وحسبكم ذلك  
ديلاً على صدق الرجل وإخلاصه وعلمه ، إنه رغما من اختلاف الملل والفتوق  
الحل في معشر لأهمين لا تعلم شيئاً ولن تعلم ، وكل ما يدرك إراء حادوت  
لموت السرى عظام حفيدته هو أنها ستصبح عند الله ، وأن الله أرف بها  
وأرحم ، وإن خير الأمور أن يسلم الأمر لله ، فالإسلام دينه ومذهب .

ومن ثبات مصمته أنه أطل من من نافقته مرة في جوف الليل فقال في  
نفسه « عجا هذه القه الرزقاء ، وهذا الملك الدوار ، وهذا السحاب  
الركام ، يا لله ما أروع وما أجل ! على أى دعامة تقوم هذه السماء ؟ لا دعامة  
بلا قوة الله سبحانه رفع السموات بغير عمد ، وأمطر من السماء ماء فأخرج به  
بساتين ، وما من دبة في الأرض إلا على الله رزقها ويمه مستقره ومستودعها »  
ولم يك عاداً داب يوم إلى ديرة نعمة روء معروس القمح فقن ما أنهب  
مطره صخره غل فوق حصراء كأنها حقائق الذهب تلبي قصصان الرب وجد  
بركه يعصرت حبها أحشاء الأرض وبعمة سلتها يد منه من أعماق الترد

زمن . ثم أنصرت ذاب مساء مصغوراً قد حسم في وكبره على شجرة  
بأحد السنين ، فقال : عجا لهذا المصغور ما راعه هول ما فوقه من هذى  
السموات . فطمئن في عيشه آمن السرب ، ساكن القلب ، موضوعاً أمره للعالم  
الذى مبهمة ، في حبابه ووطأ له في كفه هد وما رلت شذور سراج تفصل  
بصم ححمه . وما برحت كنت القاهة تربي ديباجة كلب ، وكذلك من كان  
فقه من يوحى رفق حواشي ، عرس مائة أخص ، وقاما كما .  
الصحف : شرح عنون الكرم والخير ، وأمره لمروعة الر ثم ما برز في حبه  
منه به موصى حمة مواصل هذه الأكرام الكرمه ، وجمعه بتمارين هذه

مرعات العالية ؟ وكمن من معنى لطيف بعد به البيان ، ووجدان شريف يعجز عن دينة اللسان ، أداه إيتنا لسان مزماره ، وباحث به مناطق أوتاره . وكان يقبول الشياطين لتفتر من نقضاته ، وتقعد عند وجود ألمقه ونيراته . فله أنت أيها حيا من جامع الصلبيين ، ومؤلف القيصير ، بأس تسطو به على الحن وأبالستها . رقة جنبت بيلك نحو الأنعام ومطرباتها ، والألحان ومرفصاتها . إتهما والله مصلح لروحك العظيمة ، وبين هذين القطبين مجال لكل كريمة من الخصصال ، معصوب لكل شريعة من الخلال .

ورى في وجهه بوثر عبودا على حلقه فهو وجه حشش الملايح تعرف في غصنه ووعورة زكته معنى الناس والقوة ، والنشاط وأهمة ، وفي العيسر في صبر ، ووجد في سكية ، وكآبة لا تكيف ، وربة لا توصف ، ونسك كس عاطفة رصفه ، ومنها يسمد ذلك الوجه ما يسرى فيه من سيماء نرف ورسل ، وقد قلنا إن الصحك كان معروفا في طينة الرجل ، ولكن ذلك منه كانت فوق ذلك مسقية بالدموع نهلا ، وكان فيها يابيح الدمع وبخاره ، فصحه وأنهازه ، وكان أساس حياته الحزن والجهل والإحلاص والجلد . ولقد نحر خريبات عمره بعد مظاهرة وانتصاره إنه قد مل البقاء وسئم تكاليف زنا له عند الله أمنية هي أن يوجه من مناعب الوجود ويقبضه إليه . ومن كسسته هذه وأغلبها عليه فقد أخطأ ! وما أحسب إلا أن لوثر كان رجلا كثر القلب كثير العقل كثير العسر - رجل من خيرة رجلا وصعوبهم ، زره وذا كاديل الأشم ، أصم الصخور صلد الصفا ، وفي نقره وثقائه الزلال عس سسبال ، وعلى جزابه الرصاص نسج صلوة ، وترف بهجة وعصارة نر وريخان ، وفاكهة ألوان . وقصارى القول إنه بطل ونسي ، وتخيخ ز ين لحقيقة ، والجلد أن يحدد الله عليه هذه الأجيال ، ومن مسوف في سي هذه الأرض من غابر الناس ويدل .

منهبت لوثر برق شعاعا كرم شمه وطيب فروعه ، ذلك الذي سب دسنى اسمه اللوريبانية فأما هي جرمانيا ذاتها فهو لوريبانية .

أخذت تفضحل حتى تحولت عن منزلة الأديان إلى مواطن الجدل والمناصمة ، وزالت عن القلب إلى اللسان ، وعن العقيدة إلى الحقبة وليرهان ، بل ما زال بها الأصمحلل حتى صارت فولتورية ، وانتهت إلى تلك المباحثات الخلية التي كانت أيام الثورة الفرنسية ، أما في بلادنا « بريطانيا » فقد أخذت البروتستانتية صورة أخرى هي اللوريبانية ، ثم عول بالليوريبانية حتى صارت الملة المسماة ( اللوريبانية ) وهي الكنيسة القومية لأهالي اسكولالندة ، وهي ملة حق صرحة ، . . . مدينة محصنة صادقة معرستها القلب ، ولجراما حمة في ألحاء العالم البريطاني ، وحقيق بنا أن نذكر كلمة عن مؤسس هذه الملة الإصام « نوكرس » ذلك الشجاع النبيل ، وقبل ذلك يذكر كلمة عن اللوريبانية ومعناها البروتستانتية في إنكلترا ، ومنها نشأت اللوريبانية - مذهب القيس نوكرس .

في عام ١٩٢٥ رحل القيس الإنكليزي ولیم تيدال إلى بلدة لوثر « وشروح » مجدبا إليها بشهرة ذلك الطل الكبير وخطورة معمه . وكان القيس تيدال شديد الدين والتقوى باقما على الكاتوليكية ، فرحب مذهب لوثر أي ترحيب وكان قبل رحلته إلى جرمانيا بطوبل قال لأحد القيس بلديير : ( يا بطل الله مدني لأثر كي راعني العم وهو أعلم بكتاب الله منك ) ، وما ذهب إلى بلدة لوثر ووجدنا محط الرحال وملقى الرجال ، قد أودحت بالقاصدين من كل صوب وحسب وجعلهم من الطلبة ، فقد أحصوا لله ومسانو ، فيه حبه فلم يكن لحاطم سث مثل لا حمة الصيبين ، ولا لبلدة لوثر شسها إلا مدينة بست القلنس ، وكمن زاد دورا من البلدة حضروا أحمد ، لله وصاحوا عطية وسرورا ، وهالك ترحم تيدال الإنجیل وأرسل سة آلاف مسحة مه إلى بكنلرا ولم يك هذا الكتاب قاصرا على ترجمة الإنجیل بل كان بما ضمن من أقوال لوثر كأنه قطعة من محرقة اللوربية ، عقابله الكنيسة الإنكليزية بأشد اللقت والإنكار ، وأمرت بعدد كبير من نسخته أن تحرق فأحرق في مدافن كنيسة سانت بول بعين اللورير ولرى . ولكن ذلك لم يجمع أرباب المذهب الجديد من تهريب العدد الوهم من تلك النسخ ، ومن الرسائل المهيحة التي كان يكتبها لوثر وألصاره إلى الأقطار





السيادة فيها لندى ، وقصارى القول إن البلاد أُمست وهي كيسة كثيرة .  
ومسألة الموت وما وراء الموت تلك المصلحة التي اعتناصت على حوى الأنار  
وتوأتى النجى في عصر شاكسير ، فما عرفوا لها حلا ، عادت الآن نصيب غير  
لصلاح والتاجر يطالب بعصه عندها ، ولم تترك البيوريتانية في أول أمرها نقشة  
وتقصيا ، ولم تنصت إلى ملاحى أربابها وملاحهم فتلقها وتبطلها ، وإنما كان  
البيوريتاني في أول الأمر كما قيل :

فلله مسمى جانب لا ضيعه وللهو منى والمخالعة جانب  
فمن أدلة ذلك أن إحدى السيدات لما صورت زوجها القائل هاتشسون  
وكان بيوريتانيا ، وجهت جل عايتها إلى إبراز جماله كما كان أيام صباه . ولم  
كان أمر النقشف والورع أمكن في نفوسهم إذ ذاك من أمر الزخرف والزينة ،  
نكان لها منوحة عن معنها دائ ، ولكن السيدة مالت إلى إلباء نعره الوصاح ،  
كالملاى ، السق والأفاح ، وحبر كاه المصاح ، أو ملق لإصباح ، ولما حاذك  
ملخصة ، فهي كما قيل :

وحاء بها نور ترف كأنها سلاسل برق لينها وانسكائها  
هذا وقد كان السيد المذكور مع حسن قلبه وصحة تقواه مولما بالصيد  
«نقص ، معزم بالنسافة والرفق . كلما بالمورن الحيلة ، ما نزل تستجده  
فصيلة وتستقره صورة ، وتستببه نفمة وتطيهه دمية ، وكان ربما نزل يستاته  
مستقى وعل ، وغرس واستأصل ، وأصلح ونظف ، ونقح وهذب .

وكان البيوريتاني بعد عزوفه عن المحشاء والمكر ، قد صرف صواته عن  
الحرام ، وعدل بصبايااته عمن مراتع الوخامة والوبال ، إلى مقامات السرف  
«الكمال ، فكان أبا رحما ، وحلا حيميا ، وروحا شميكا ، وأحارقيق ، ولم  
«فتع في فيه النساء ما يحرك شهوته ، بل كان عصيضا بطمس عن كل ما  
«سامس العصف عن غريوت ، تحده الفتة بأصعب مرم وأوغر ملمس .  
مصنف النفس عفيف الطوف طلب معقل الإزار ، يقف من النساء عند محاسن  
حدث والسمر ، ويقع من سبه السمح دون البصر

وكان البيوريتاني حسن «نصد في سورة ، قليل السرف ياك شؤره ،  
والبركة في الكور ، لا ونية عتله ولا فتور ، مشرما من ديله ، مكمنها في  
عله ، وكان أحسن ما وفق إليه من محمد فصيلة «نشوة ودلك أن إحياءهم  
في الله أنساهم ما كان قل راسخا في نفوسهم من تعارب الدرجات وتماصل  
مفرد ، حتى د «نصر دلاح يعنى أن الله قد شرعه وقده ، وحتى صار  
كبر الوجه والأعدا يوم مساكين لأبرار ، وصعابيث الأتقاء الأخير ، ولكن  
لراظهم دلك في حب لفصيه «التي وإن عاد بانقوة عنى «حلقهم ، فإنه صبي  
دائره رحمتهم وفهمهم . وقد صور تر دث في الشعر الكبير السوريتي ملنول -  
في حشمة ونصف وحفاره لأره «نوعاء «كف كان يسميهم «وعرفه  
عما يحيط به من «سب الحياة «العنية حشمة ، بل لقد كان على مرط حه  
شاكسير لا يظهر «تجارتها بحور دلك «نشاعر «أكبر ومروحه ، وإذا كانت  
هذه حال متون وخبر يعد سيد شعر ، عصره وعصبره قومه ، فكيف كانت  
الحال مع من هم قن دبا وعلماء ، وأجلد فريجة وأكثف فهما ؟ نعم لقد آل ذلك  
النشد في الناس ز «مروط في «شورع بهؤلاء القوم إلى أحمد «سبب الحية ،  
وأمرها «كترها «نمها من لأمة وحسن العشرة ، وأصبح البيوريتاني وليست  
الربطة به وبين «نصه «إسايه ، ولكن سبب الشورع والتدليس بين  
طبعة «ندسين متورع «أصمياء ، لله وأوبائه . وكل من خسر عن دائرة هؤلاء  
الأمر المصطفين ميس «مهم ولا هم منه ، وإنما هم منه أرباء وإن «مور  
البيوريتان من «ندسين «ندسين هو السبب فيما يرى من خلاف الشديد بين  
«رقة قلوبهم وبين غضة ما قد يأتون من وحشى «نعد . هم كروم من يرسا  
قد آدمى حساء ما «نصه حتى حرمة العضة وسرور «نصبره «ناهر في واقعه  
«نطباء «مرسته . «نعد من «نغور «نر كحائب ودانوا «كشهر - نره مع  
دث «نمش «نيس . «نوقع «نصا «نصه على الأمر «نصدر «نعدام الملك «نشارل  
الأول «نما دم «نلا حقه أن دث الأمر «نكود «نخط من «نلغش «نصايل ،  
«نيس هو «نسط في كده أو «نططة في طبعه ، وكان من «نقائهم في الله أن

مات فيهم فصيلة التسامح والتساهل حتى في أصغر الأشياء . وهكذا تحولت حقائق الأمور في حرارة التلويح ووهج النهوة حساسهم وعظامهم ، رُضِحَ جدهم بؤله من رؤية فظيوة المبدأ أو كعكسه ما يؤله من رؤية أحداث والغامض ، وباتت حياه وهي عبء من الأعباء ، وسحرة خياله من اللذة ، وكفه قفر من السجدة ، قدم مباحث لعهد الإليصاباتي ومعارحه ، ومأسسه ومآرجه ، مسره سور مادية وجددها ، وعبوسها وأربادها

ولقد كان البيوريتاني مصابيا فوق كل ذلك بمخافة عذاب النار وهو من ضمة ، وينصى أكثر من وقته هيب هايت لوساوس ، وتلك الهواجس . وكان في شدة حرصهم على الورع والتقى ما يخل بهم أن حياة الناس تعاديه نوع من الإثم والخطيئة . ولقد قال أحد كبار البيوريتانية أربيعار كرومبول « لشدة ما غويت وصقلت أيام الشباب » وم أذكر ما هدد بصلال وما عدت العويه ؟ هي أنه كان يباشر الطب الحلال من ملاهي الشدب ونسبه ويعبر ركنية حتم الكهل وورثة عقل الشيخ . ولا بأس على الشاب في ألا يكون كذلك . ثم انظر إلى جون باثيان صاحب الكتاب الجليل « صورة الحاج » كيف حدث عن نفسه فقال « لما كنت صب في سابعة من عمري كنت محصر في حوض الموت وهو حرس النار والحشر والملة وم . نشبه ذلك . فكسبت معش رعب لي ومثار قلق وكرب ، تعقبي أثناء لعبي مع الصبية عظة من الله (رحررة ، ولكني كنت أهمها وأبني إلا إقامة على دوسى ومائتي » . ففسرت ما هي تلك الدروب التي نسي ، إلا إقامة عنها ؟ هي سوع من تعب الأفعال ووصف من الرقص ، فاما عبيد الحفقي وهو الإكثار من خلاف . فقد كمال قنع عه عملا بصحيحة محموز رأيت منه ذلك فأكرته . وكان له ولوع شديد سماع الأجراس تفرخ ، وكان يحسب ذلك مأثما فكان لا يزال يهتسب في موضع تلك الأجراس من الكنيسة فقف تحتها وهي تقرح ، حتى يجبل إليه . لله سيره بأحاديث فير هارب ، ويصرف حيا عن رقص ولاعبت ثم عدت إليها ، وفي ذلك يقول « لقد صرعتني عطف رحل من خمسين من الأهاب

م ما لبثت أن استهوتني مدداتها ، فلبثت يوم لأعجب فطنى وقد صحتها بعمية وهممت أن أعقب بادية ، وقد بصوت من سماء قد مدد لي صم نفسي وكأنا يقول أنهم تنصل . وتختار ترك الدروب ويعيم لجنة ؟ . إلا إقامة عبيها وعداد النار ؟ فاصطفتي لذلك رهشة ، وأضفت القطة ورفت صرعى إلى السماء ، وكأنا رأيت عين دهمي سيد مسيح يصرون كالعاصب على وكأنا يهدني بعقوبة صرمة . ن لم تقع على لك الدروب والآثم »

وكذلك كانت بيوريتانية مريجا من شقص ومصل ، وخيفة من مسحف والنبل ، ولنا أن نذم من تمت الملة عيوبها ما شئنا ، ولكنه لا يستأ مع ذلك إلا الاعتراف بأنه لا يزال فيها ولن يزال جوهر من الحق . وهي بعد شمس عرسته الطليعة ، وما إن تران تنقله فهو يسو ثم يسو . وطالما قلت إن الحياة مدرك ومن عذ مثلا عطلة أمريكا الحالية ، وانظر ماذا كان أصلها ومشلا ؟ لقد يعلم أن مشاف لم يث إلا أنه صعيقة بيوريتانية من همن هولادة أضربهم جور مسعدان وشقهم ظلم الحكومة ، فخرجوا من ديارهم وهاجروا منذ قرون إلى أمريكا في تلك السفينة الصغيرة المسماة زهرة الربيع أو كان لنا خيال الزنزان وشاعرهم اقلنا في ذلك الحادث المذكور القصيد عجم . . . نحن حسد أن الطليعة . . . هي هاد . خادث المذكور قصيدتها الغراء بحروف حقائق الناصعة على صفحة العالم ، ولقد كان أمريك نبي تمت القصة البيوريتانية جمعة من سربلاء مع رول هب وهذاك ، ولكنهم . . . يكونوا إلا كحسب ميت . فلما زلت تلك اللثة فيهم كانت كأنها لروح ذب في لجنة هدمه . . . ب . نعم بعد صقت به ، لا ، القوم بلاهم فغرموا على (تجوع أمريكا ، وم ن . اك ماذا كدست نمر ؟ . . . ذلك ؟ عاباب حصر واحد سور مسودة عذر . . . بها قدم ولا فتة أعلاقتها يذال ، مسهمه مع صمته الأعلام ، وم . . . دمسح وحشية ولاب . هدا كيه . . . حاف وضاه من حجاب الطامة والسلوك . . . . . وقد غنموا به مهب ، من مس صمعة حجاب صمعه هدمت ، فاب في . . . . . بالل لها . ريب . مصفها ،

ويستعز درها ، ويستعز عيورها . وألهم سيعلون من الأرض وطاء ، ومن السماء عطاء ، ثم تطل عليهم البرق ويستقرون في حيث تمام عهدهم الحادثات ونهرو صروف الدهر ، فيقصرون أعمارهم بالمعاهدة والفتى ، ويجتروون من دنياههم لا حريتهم . ولما صحت منهم البيات على ذلك وصلقت انعامهم ، أحلوا عددهم وشحوا أمتعتهم واستأجروا مركبا السعيدة المسماة رهرة الريح - واستقلوا بها صاب السهم

ولما برزوا السعيدة أقاموا بها شعائر الوداع والتشيع على صورة ديبية ، ولا يزل بعد كان عملهم هذا ديبيا - وإن نشأ فقل ضربا من المصلاة والعبادة ، فحجهم فنيستهم إلى جوف السعيدة ، وشيعهم كذلك إخوانهم الباقون هدمه ، وانتقلوا جميعا إلى رزق السر في السماء والخوت في بطس الماء . أن يحرمهم بعين عيائته ، ويستقيهم من صوب نعمته ، ويطلهم بمناج وعيائته ، هم في بلاد القرية وديار الوحشة حروا متعبا ، وروضا مريعا ، وكنا زوارا وطنيا . نعم لقد كان لهذه البيوريتانية شأن كبير ، ولقد جعلت بشرى بينهم معاد لهم من أجل أسوره ، وإن كان قدرهم إذ ذاك لم يلك إلا مع قول النار شرر ، وأول الغيث قطر ، وكل شيء حق ، فنهما ضلوا مع صوريكه الدهر يوما ما صحما جميعا .

مثل اهلال بنا فلم يرح به صوع الديال فيه حتى أقصر .  
سراجية وإن سحر منها السلس سلفا فلا يستقيون أن يسحروا .  
سب وقد أخذت عددها ولست سلاحها ، وحملت الخندق والباقة في .  
سعر . والبطش والقوة في فوائده الأربع ، وأنصح من وسعها سرف .  
سجف الجلال ، وتسخير البهادر ، وتسير الجوار المشآت كالأعلام ،  
سشد قوى العالم

سرى في قساويح اسكوتلاتنة عصرا جليها بالذكر إلا ذلك الذي  
سريانية « نو كس » وما طلك بلاد قعر لا تقيها المشاحنات من  
سرب والفتى والمذبح - فليس في أدنى حقيص انعطلة والسقوط

أحسن بقليل من أهان أيرسة الحايين - طوائف من جياح الأمراء وسدة نبي عليهم  
جهلهم وحمافتهم أن يعرفو كيف يتفاسمون فيما بينهم تلك العالم سي سلوها جماعة  
فترتهم وعمالهم ، ولكنهم كجمهوريات الكولومبية الحالية لا يصعبون أن يحدنوا  
بغير حتى يحدنوا معه توبة عامة ، ولا يحدون إلى تدليل ورارة سلا بلا شفق أفراد  
نمت الوراثة . شجاعة هذه ؟ هم وككب شجاعة موحشين لا نار عن شجاعة امانا  
الأول الوشيين من سكان انشمال . وأليك الذين لا عهد في مآثره . بحشية ومسالحيهم  
الدعوية شيئا يذكر . أجل لقد استمر اسكوتلاتنة جسم بلا روح حتى صبح الله  
فيها من نهضة « نو كس » روحا ، فأصبح كل فرد بها برا حاصل تقيا . وإن نشأ فقل  
بطلا ورسولا نيا .

وما يقال في مدح هذا الرجل أنه لم يطلب تلك المرتبة بحيلة ، ولا ملعها بوسيلة ،  
وإنما أتته من تلقاء نفسه ، وذلك بعد أن أوفى عقد الأربعين . وكان من أمره أنه عاش  
طول تلك مدة عناصر انشال ، قضى أيام صباه في المدرس ، ثم تخرج مه فسيسا  
واعتنق المذهب الخديب - مذهب نوثر ، وقد قبع من الانداحل في شبر تغير بالإقبال  
على نفسه بصلح من شأبها وجمعتها على نهج القوم ، وكان يكسب بالبقاء الدروس  
في الأسرات الكركية ، يشرح مبادئ مذهبه إذا سئل ، نابا على نصر بصدغ به مبي  
دعت الحال ، غير حاسب أنه يستطيع أكثر من ذلك ، وعلى هذه صورة قصي  
أربعين من عمره ، فلما كان داب يود وقد اشتد حصار على خمسة حوزج انصلحين  
وكان « نو كس » سهم ، وقد أخذ رئيسهم بخطهم يربط بافر جأسده ، ويصل مرور  
عزالمهم ، ويستنهض عائر همهم ، قال فيما قال : إنه لا بأس أن يكون من القوم  
من يعمل عمله من عصاة الناس ونشر للنهب ، وإنه جليو بكل من ربه الله قبا حاططا  
ولسانا نهقا أن يكذب في نشر الحق لسانه ، ويصح في الإرشاد إلى الصوب ، وإن جيون  
نو كس هو ذلكم الرجل ثم التفت إلى القوم فقال : « أربس هو - وصعب ؟ »  
فما قعوده عن الإرشاد والمصحة ؟ « هو افقه الجمع على معانته وقادر . عمل غير  
صالح ، فاضطر نو كس إلى الوقوف ، ولكنه ارتج عليه فلبث برهة صامتا حائرا ، ثم  
أجهش بالبكاء وخرج من المجلس يعلو ودموعه على وجهه أشد عذر

ومن ذلك الوقت فصاعداً تار ثورته وأشعل المذهب الليوريتاني في قلوب الناس حتى عادت الأمة الاسكوتلاندية أمة مفسوس ، وعادت البلاد وكأنها كسبة ، الناس يجيئون ، واعتقادى أن كل ما جاء بعد ذلك من آداب اسكوتلاندية ، ازهارها وصاعقتها أثر من آثار تلك الهبة ، بل إن من آثارها أيضاً وثائقها أوائل الذين هم فخر أمة الاسكوتلاندية ، جيمس وات ، وداعد « داود » هيو ، سكوت ، وروبرت باربر ، وإننى لأجد بوكس ومدهه سفان قوتهمما وسرهم . طلب كل واحد من أولئك الأبطال وهاتيك العوارض ، وأرى أنها ما كانت تكون . لا الليوريتانية ، نعم لقد فاضت تلك الثورة الدينية الاسكوتلاندية بالخير العظيم . جميع أنحاء الدول البريطانية ، وذلك أنها شئت حمرة في كنيسة إدسرخ ( عاصمة لاندة ) فإذا هي قد صارت حريقاً تسرع في كل حاسب من جوانب بريطانيا . أن دارت رضى الجهاد حميد عما زف الله إلى البلاد عروس الحرية متعة هنية ، سة ، والعصل في ذلك لدين حاهدوا لنا وكانحووا ولم يعمروا بشرة كدهم . بها ثوبهم ، وما تلك بالقسمة العدل أن يسطلوا نثار الجحيم وتستصح نجن . وماكل حتى الحل وهم يكابدون دمع يربها ، وتنت حان هي كما قلت . حال الجيش الزاحف على قلعة محصورة ، تبادر مقدمته للحدائق المحفور فتسده . لكن يهور القوب على تلك الأجسام كأنها قفطرة فيمحروا القلعة ويمكروها . فاقسم الخطوط لهؤلاء النصر والظفر ، ولأولئك الموت الأحمر . وكمن من رجل من وكرومويل كافحوا وجاهدوا ، وقاسوا وكانبلوا ، ولاقوا الشدة والرحاء . والبلاد ، بل اللوم والتعيب ، والهجوم والتشديد ، قبل أن يسوق الله للبلاد . ترفل في الأوراق الرسمية ، والمواه البرلمانية .

وإذ لمن أفضح الجور أن تتناول الحرية عرض بوكس بالفدح والذم ويكون وهم ل :

وي ينسوه أيا الفيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنسار  
سب وعار ألا تزال الأجيال تستثير صدى ذلك الأطل من لحده ، ثم تنصبه  
نمة كأنه بعض الحياة للمجربين ، ولا جرم له إلا اليد البيضاء ، والهبة القعاء ،  
وف الصميم ، والحسب الحسيم ، وإلا أنه كان يحمل تحت ضلوعه أشجع فؤاد

في الأقطار البريطانية ، وإته كان ولا مشاحة أنبل أهباء جلسته وأنجسهم . ولو كان  
متعسف لهم متقاعد العزم للزم روية به كما فعل غيره ، فم تشغل سكوتلاندية من  
لفصة نبلاء ، وراح هو بعرض يريء الآساحة ألسن الحجاب ، ونكته أثر الزروة مع لوم  
الس على الدسة مع قه اللوم . فأصبح وحله ذا المفضل العقيم على بلاده ، والنعم  
حنية على حنم أجمع . فواضحاً أن يحمل ذلك البطل على ك يستغفر لنفسه من ذنب  
الزروة وإنم حجد ، وأن يسأل اسكوتلاندية العفو لأنه كان أنفع لها من الآلاف للوافة  
لم لم يدينو بذنبه . فهم في مأمن من مثل ما يصاب به من النوم ، وفي غير حاجة إلى  
مثل ما يقدمه من الأعذار ! وهل في العدل أن يحمل ذلك برجل يدع السلة في سوق  
حق ، لأنم ، والراحة بالنصب ، وترويه بالنشط والقشع ، ويرل لمعترك بلا درع  
ولا حجة ، وتهدف بسهام صدره ، وتحتل في الله النقى والأسر يسام لعذاب ألوان ،  
ويعرض سرعود وتقاوصف ، والرياح لتواصف ، إن غير ذلك من ضرورب المعز  
وصرف البلاد . ولكن ليقل الناس به ما يقولون ، فمس والله بعيه قوتهم وهو يعم  
من نفسه ما لا يعلمون ، وإن كان يميناً نحن أن ندينهم بظلم عن رجل لا نزال نرتع في  
غرس يديه ، وأن نقشع ضباب التهمة عن شمس حقيقته .

أرى أن أول شروطنا في البطولة - أعني الإخلاص - ينطبق تماماً على نوكس ،  
وليس أحد يكر أنه مهما تكن غيره وعوراته ، فقد كان من أشبه الناس بإخلاصاً ،  
وكيف رى كان الحق لا غيره ينشئ وذلك بعصر . به وعمره ، ثم يرى كل ما عدا  
الحق شبيهاً باطلاً فيلده . ولما نفى أسيراً مع أصحابه ، رأى سجون نهر اللور بغرنا بعد  
سقوط حصنهم إثر حصار طويل ، جاعهم أحد سجين يوماً بصورة مريم ومسألهم  
أن يركعوا لها . فقال نوكس « أترغم هذه أم المسيح ؟ كلا ما هذه إلا قطعة خشب  
عبيها ألوان رصع أو زل بها ، أن يظفر على يده . سهر ثم تبارها فالتقى بها في

اليوم ولم يكن مثل هذا المرح بالشيء الرخص . . . . . ولكن . كس لا سالى في  
سبيل الحق ماذا يبتذل .

وكان يسلى صحبة في الكراء . ويعربف من لمحمة السدده ، ويقول لهم  
يسطهر الله الحق مهما لج به الخفاء . والحق أنه . . . . . بلط الحجب ، وأخو اساطل على  
الأيام مقهور ، وصاحب الحق على كرم العصور . . . . . زاحم به الدباب ، واساطل

سلك الشيطان ، ولا بد من يوم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمقه فإذا هو راهب ،  
 مثل هذا الظل من لا حياة له إلا في عصر الحقيقة ، فهو يتشبه بأعظافها كما  
 ينشئ العريق في أعراف الصحرة الركوند ، وما أحسب إلا أن الله قد طبع مؤاد هذا  
 «بطل على عرار أفعده الأبناء ، فهو يبي القلب وإن لم يكن نبي اللسان وما أصدق  
 ما كتب «مورتون» على قبره حيث كتب «تحت هذه الصمايح رجل كان لا  
 بهاب وجه إنسان» وهو أشبه المحدثين بالأبناء الأولين من رسل نبي إسرائيل ، به  
 ما لهم من شدة السمك بطريقته ، والنفاي في الله وتصحية كل شيء في تلك  
 «سبل ، وشدة الإحياء بالائمة على كل من شد عن الصراط السوى والخطئة المثني ،  
 فإله من نبي عتيق في ثياب قميص محدث ، وما ينبغي لنا إلا أن نعدده كذلك ولا  
 بأسف أنه كان كذلك .

وقد أنكر الناس سيرته مع الملكة ماري وعاطلة خطابه لها وحشونة نصحه ، هكذا  
 يرمع الناس ولكن من قرأ تاريخ هذه الحوادث وجد ، الأمر على خلاف ما يزعمون ،  
 ولم ير لصالح الرجل ومقالاته من العظمة ما يسب إليها بل إلى لأراها من اللين على  
 قدر ما كانت تسمح له الحال إذ ذلك أروم يمثل بوكس أمام الملكة ليعطيها ملق  
 الحاشية ، وإنما الأمر غير ذلك كان مثوله حاله ومن قرأ عمارته معها علم ير فيها :  
 قحة سوفى لأميرة أخطأ وجه الحقيقة ، وأشوى مقتل الصواب ، لأنه كان من  
 المستحيل إذ ذلك أن يجمع جامع بين التآدب في حصرة الأميرة ، وبين مصلحة الأمة  
 الاسكونلاندية وشرفها ومن كان همه حينئذ أن يحصى البلاد من أيدي الأجانب من  
 أمراء هرسا ، ويربأ بها عن أن تكون مديا لمكاييد أمثال «دي حير» ومسر حا  
 مضامهم ، ويعترف بدين الله عن مساقط الدلة ومواطني الأقدام ومواطني الكذب  
 و«صلال» فعير ملهى أن يتدبر بحلاوة منق وعطوبة الإطراء إلى الخطوة لدى  
 «الأميرة والحال عدها وما أصدق قول «مورتون» حيث يقول «لأن تكسى  
 سماء حير من أن تحصل اللحي بدموع الرجال» ، ومادا كان بوكس يفعل وقد رأى  
 «لوحان قد خابها الأعوان ، وبام عهها الأنصار ، وتواكل من أشرفها وغادال من  
 عيوها وأملأها من كان يرحي للكربة ، ويدخر للحلي ؟» كان يفعد عهها فمس  
 غماد ، ونجس فيمس فغاس ، ويتر كها بهيا لأندى الحوادث وعمر صا لسهام

الخطوب ؟ كلا ما هذه شيمة الرجال ، ولا تلك سحجة الأبطال ، وهذا أمر دونه خرط  
 القناد ، وضرب الأجياد . وقالت له الأميرة ماري حين جاء ينصحبها : «من هذا  
 الذي قد بلغ من جرأته أنه تكلم نصيحة وجوه هذه الملكة وأميرتها ؟» فأجاب :  
 «سيدتي أرحل من رعايا هذه الملكة وأبائها» جواب أصاب والله بفصل وقطر  
 الغرض !

نحن نلوم بوكس على عدم تسامحه ، ولا أنكر أن التسامح محمود بشرط ألا يتجاوز  
 «صماير إلى كياير والقشور إلى حواهر ، وأنت التسامح الصادق هو العدل وامتلاك  
 النفس عند العصب ، ألا يكون مرء لسم القدرة . فأما التسامح مطبقا بلا حد فهذا  
 من المكر لدى من حرق السلاء أن يترفعوا عنه ، وم أرسل الله المرشدين والهداة  
 ليسامحوا ، وبكى ليحاجلوا ويكادحوا ويعزموا ويقهروا . نحن لا تسامح في جرائم  
 الكذب والسرقة والظلم إذا أصابتنا ، وإنما نخاطبها بقولنا : «أنت أكذوبة وأنت سرقة  
 وأنت ظلمة ، لا تسامح فيك ولا يتجاوز عدك» أراي عمن في هذا العالم لخمند  
 الأكديب وقطع دابرها بطريقة صالحة ! ولست مشددا الكبير على طريقة استصان  
 «بطل وبن شديها العيب ، فحسبها أن بلعا الغرض من إزالة الشر ونحو الباطل ، ومن  
 هذه الوجهة أعنى من وجهة الصلال ولو بواسطة معينة - بالواسطة التي لم يمكن غيرها  
 - كان بوكس عليهم للتسامح» .

وما كان رجل اضطهد ومنى إلى بلاد العربية أسيرها سحبا يكون في معظم أوقاته  
 إلا مر الصاع وعمر الساحة ! ولست بقاتل قط بن بوكس كان في طبعه عدوية وفي  
 جابه بين ومائة ، ولا أنه كان سعي ملطي شرس الشيمة ونم يحمل قلبه من عودطف  
 الرحمة و«الرافة» هذا ولقد كان في جرأته عنى ملكة بالنوم ، ومنى رجاحة و«ره  
 عند أشرف اسكونلاندا - أولئك الذين كان بهم من الكبرياء والته الميران الراحح -  
 واستطاعته أن يقص على مام النمود في تلك البلاد الوحشية العاتية وما طويلا - لقد  
 كان في كل ذلك دليل على أن الرجل لم يث حرج الصلبر صس العطر ، وإنما كان  
 رجلا حمالا للعب نهاضا بالفادح من الأمر ، مصطعما بالباهظ من الخطيب . ولا  
 يكون ذلك إلا لمن أوتى بسطة في الحلم ، وفصلا في الذكاء والفعل ، وقد يتعن عليه  
 تهديه للكنائس كما لو كان ثوريا مجزيا ، وإنما أمره عكس ذلك لو أنعمنا للنظر ! وما

همه رز و لست . و بعمل القلوب من كل دمس و روحس ؟ نعم ولا كان ديدنه حورة بل النظام سم ، ربما كان من سوء حظه أن الجنى بل الثورة فى سبيل إعصاء غريمه ، وما كان مثل هذا الرجل ليكون إلا عدوا للثورة والثورى ، ولكن ماذا يصعب به بعد بد من ركوب الفتنة لسوء عرصه ؟ تركبها الرجل المضطر ، تركب الصمص وهو عالم بركوبه ، هذا وإنه كان على الحق ، والحق هو النظام .

ومى العجيب غير المتظر أن نوكتس هسا كان فيه مرشح ومكاهة ، وكان يصير موضوع الضحك فى كل شىء ، وصعصعة تزيجه عجلة من سطور العكاهة بما يلين من فسوة حمدا ، ويخلى من مرارة وقارها . فلما تشاهدنا أثنان من القسوس يباب كنيسة « جلاصحو » على الأولوية فى الدعوى من ثا يتقدم صاحبه ، ونشتد الخصام بينهما وعلا المضجيع ونجاصها بعصويهما ، كاد نوكتس فى هسا المتظر مصحك أى مصحك ! ضحكك فيه مع سهكم والأرداء والمرارة شىء من الرحمة والثناء والعطف . لا قهقشة وإنما اسمسة ثلأ اعيرس بشرقا ، ورجل رفق العواد ، كثير الودد ، محب لنى آدم ، أحم للقرى وأحم بصعيف ، صاحب للوصيع صاحب لشريف . وكان يتناول لكأنى فى حان حصار عديسة بإسرح — دليل والله عسى رقة طمعه ونصيف شمائنه ، وأنه لم يث كتم برعم لئس بالشرف السكد ، البعد الأخلاق اعهم الصلعة ، المكهر الحيس ، انصص انصصص ، كلابه كان من أيتت اساس لمرأ وأرسخهم حالا .. حازم بصير جلد صور ، طويل الإغصاء عن الأمر الذى لا يفسد عنه أمره ، فإن عرضت مفسدات الشرف ، والذى قام بها على قدم ، فهو كما قيل .

صموح إذا ما الدتب لم يعدد حله إلى البوتر قباغ قفا البوتر أرقسم وكما قيل :

له مسورة مكتنة فى سكينسة كما اكن فى اللغد الجرار المهند  
لقد جاهد هذا الطل فى الله حق جهاده ، وركب من عيشته متى صعبة عوصاء  
بمايح الأمراء ، ويكافح الزعماء ، يصرم لا تفلس من حله المخطوب التوازل ، وجنان  
ثابت على الهراهر والرازل

توى مساكن الأوصال باسط وجهه بهرك الهويننا والأمور تطير

كابد والله من حياته هول حروب صبرس ، ووقائع همس ، ولكنه صرح منها بإعصام العضب بحول فى صفحته رونق لصبر ، وفرند القوز والنصر ، وإن كان عريه فلون وثلم ، وما زال الأمل طليعه حتى دخل معه قبره ، لما جاعته سكرة بات واعتقل لسامه ، سألوه « هل عندك مل » « فرجع أصعبه بشير نحو السمعة ثم دس ، له النجد والشرف وسقى عهده ثمام .

كسة فى اعتم عن مذهب نوكتس كان مدبه سادة الكيسة على الحكومة ، قائمة القسس على الملوك ، أو بصارة أخرى حاول أن يجعل عسى اسكونلاتنة حكومة دبية ، وهذه فى نظر الناس جريئة ، وحفا لقد حاول أن يسير الناس جميعا على كتاب الله موكا زسوق ، وإن يعلم أن هدا قانونهم الذى ليس موفه قانون ، شد ما ساعه عتصاف حناغ لأعيان منته الكيسة ، وقد جعل يقول : « إن هذه ست مكا مدبنا ، إنا مدك دينى ، وحققنا أن نوقف على مفعة الكيسة — على تعليم والندارس والعبادة . فأجابه الوصى « موران » مستهزئا : « هذه أحلام ثمة » دلب مدعب « نوكتس » الذى سعى فى تحقيقه ، وإنه وبك أحقق فى بلوغ دتب ويكنه نه يحقق فى حياء الدين وبعث الأمة من طول رقادف معنا كان أصل رقتها وبهصتها ، ومحمد وعصتها ، وكيف يعنى الناس عليه مدبه — كيف يكرزون مه محوته أن يجعل الحكومة لله وتم ما لا يرب محاول وسرجو وما جاعث الرسل والقسوس ، لا سالك ، وقد أرادها « هلك براند » وحاولها « كروموطل » وبلغها « محمد » أو به برل نمية كل عيور مخلص ، وكل ولى تقى ، وكل رسول بى ؟ ولا يصعب لا شكر دك القسس الطل تدى حول جهله تحقيق هذه الأسبة : وأفتى فى طمبها أيمه به ، الكدح والحد ، ولحارصة الرد ، والصب والسهر ، والحس والأسر



وجود الإله الذى خلق كل امرئ وكل شيء ، وقد علم محمد هذا اللبس بأسلوبه ، وتجاه أولئك بأسلوبه ، وهو اللبس الذى ما زال كل قلب حتى يلقن اللبس ببطلان صوابه و تملك

وذلك سسمى « هشتي » الكاتب بيا أو قيسا لا يزال جليو لأبصار العالم المدنى ، والكاتب كيسة مستمرة تعم السام أن الله موجود ، وأن جميع الصوهر وكل ما يراه فى الكون إنما هى ثوب « لمعى العليا للقدس » - ثوب « للسر كامن تحت الظواهر » - فما من كاتب صادق إلا وهه سر إلىهى سواء اعترف بذلك أم لم يعترفوا ، فهو سر سراج بسضاء به وقسيس يصح ويعط ، ويرشد الخلق ويهديهم على طريقهم الظلم ، ومسلكتهم البهيم ، هى معلى الوقت وقدر الدهر كانه عمود من النور . ويشهد هشتي جدا فى التمييز بين الكاتب الصادق الذى سببه هه الكاتب الطبل ، وبين آلاف الكتاب الكاذبين غير الأبطال ، فم كان من الكتاب قد اشمل ذلك « المعنى المقدس » على جميع معسه ، أو اشتمل على ناحية سها ثم به يحاول أن يدخل البقية فى حلى ديك المعنى وهو دعوى وألك ومرور ، بل هو لا شيء . مهما اكسى من رونق الأبهة وجماعة الهاء والمرل . ومثل هذا غير حقيق أن يعم به الاسم بالسعادة ويعور بانهاه ! هذا رأى هشتي فى الكاتب وهو فى أسلوبه غير م مومى إليه نحن فى أسلوبنا .

ومن هذه الوجهة نرى أن أكثر الكتاب أثناء القرن السالف هو الألمانى الكبير « جيتا » ، فقد قدر الله لذلك الرجل أن يشتمل عليه « المعنى المقدس » ويذهب البصر الباعد إلى أعماق السر لنقنن . ولقد تدبر لنا الدنيا من خلال الله ورونق القدس تشهد أنها من صنع الخلق ، ونها هيكل مؤلفاته عبيها خلال لله يتعها سور بن سماوى ، ولنسب أرى هذه إلا سورة فى عصور ساد هها الفكر ولاحاد ، وعملا من أجل أعمال تلك العصور وإن كان من أنسكها وأنسكها ، ولو لا غنل عوتى نكسر مثالا على الكاتب الطبل هو « جيتا » هذا ، وما كنت إلى شيء أشوق مى ، بل الخوض فى حديث بطولته ، وموضوع عظمته ، لأنى أراه بطلا صادقا ، وعظم بطلا ، وعظيما فيما قال وفعل ، ورنى كان أشد بطوبه ، عظمه وما لم يعل وبه يعمل ، وهو فى صبرى به من رباب الله - وبطل عصم قدس شبه فى كلامه ووصفه

بنى غابر فى ثياب أديب حدث بلس أحد رباب التهذيب والمدنية ، وما رأينا منذ مائة وخمسين عاما سطرأ كهنا

ولكن صلة الجليل الحاضر فى أمر هه بطل وجهلهم بحقيقته ، وسوء قدرهم بقيمه يحض التعرض لتقليده وجلاله ضربا من القيث الباطل ، ومهما أخل فيه فسيبقى عظمكم به من الألفاظ ، ولن تدركوا من ثمره إلا عتلاف الواقع ، وإنما أمره دقيقة شتى المسفل ، وحسب سعة حاضرة أن توقف على ثلاثة من أكبر أبطال القرن السالف جوسون وباربر زربوس ، ثلاثة كانوا من الفقر وسوء الحال يعكس ما فيه « جيتا » اليوم من الرفه وتعمه ، هؤلاء هم يظفروا صغر جيتا ولكهم حاربوا مصرعوا ، ولم يكونوا من جاني الصياء وإن من طائسه ، ولقد كانوا من عيشهم فى نوح نوح ، وألم فرح ، كأنما يساتون من نهمهم سلاسل وأعلالا ، ويحملون من نواح دهرهم هصايا وحالا ، ولا بدع أن تعدر عنهم أن يرووا من كوامن أفكارهم كل خفية ، أو يستقصوا العاية بكشف العاص من تلك ( المعنى المقدس ) والذى عرصه الآن عيكم من هؤلاء لأصال هو قهرهم ، فإنهم الكتاب الأثرية التى يشوى تحتها ثلاثة من أصحاب حارة غسه ، مشهد نحرى وبكه لبيد جمع ، فقروا با على تلك القبور مليا .

كثرت الشكوى الآن مما يسمونه اختلال نظام المجتمع ، وكيف أن كثيرا من العوامل الاجتماعية تسمى أداء وظائفها ، وكيف أن كثيرا من القوى العمرانية المشهدة تكدر فى غير مكدر وتكد فى غير مكدر ، وتلك شكوى لا شك فى صحتها . ولكن من نظر فى جهة الكتاب والكتب وجدها أشد بجميع اختلالا وفسادا ، بل أصل كل اختلال وفساد - وجدها كأنها قلب يصدر عنه ويروج إليه كل اختلاط وتشوش فى العالم ، ولست أرى حالا أنكر من سوء ما يجرى به الكتاب على جليل ما يسلبته إلى اللأ . ولو غمنا القلم فى هذا المبحث غمسته فى بحر لا قرار له ، ولكن لا بد لنا أن نمس شاطئ الموضوع إذ كنا غير خائضين عياه إماما للقائمه ، وأسوأ ما كان من أسر هؤلاء الثلاثة الكتاب أنهم وجدوا عملهم فى هذه الحياة ومركزهم ضربا من النوصى . والسائح إذا صادف طريقا منكلا ومهجها واصحا مصى فى سنته وأمعن فى قصده ، فإذا أصاب غفلة لا يتحتم وسلا لا يمتح فحعل يظعن فيه يعنى فسادا ، ( الأبطال )



فاخر به أن يفلح من عمله هذا في مصابب حبل ، وأوشك أن تمز به قريسة بين عقال  
لهلات !

تذكر آياتها ما هالك من العائدة العظمى في خطاب الرجل للرجال وعطلة المرأة  
لأخواته ، فانسوا الكائنات والمساجد بذلك العرضي . فما من نغمة في العالم ، تمتد  
بها سر يستطيع منه الرجل أن يعط باللسان إخوته في الله . كانوا يرون ذلك من  
أهم الأمور وأنه لا يخسر في آلتية من دونه . ولله ما كان أنفله عملا وأجمله مشهدا !  
فأما الآن وقد ظهرت صناعة الكتابة والطباعة فقد طرأ تغيير كلي على ذلك الأمر . أو  
ليس الكاتب الذي يضع كتابا خطيا ليست عطيته فاصرة على هذه البلدة أو تلك ،  
رهبه بذلك اليوم أو ذلك ، ولكنها حطه لكل إنسان في زمان ومكان ؟ وحقا به من  
يحقق في عمله ، فأوجب الواجبات على كاتب الكتاب أن يترجم الصواب والساد .  
وخطب العظيم والطامة الكبرى أن الناس لا يحسمون ألية أخطاء كتاب الكتب ثم  
أخطأوا - وأجد كتاب الكتب أم فقروا . بعد قد يكون للكتاب شيء من الأهمية عند  
طابع الكتب الذي يرجو أن يربح مبلغ من زر ، مؤلفه ، فأما عند خلاه فلا كلا ولا  
يعيا الناس من أين جاء ذلك الكاتب وأين يذهب ، وكيف وصل وكيف يمكن أن  
تستغل به طرق القدام والاستمرار ، وإنما يره المجتمع كأنه هو إحدى الشرائع فيتركه .  
يقيم كالذي لا يلمز أين هو

أنا في أمة تكثر كنهها الله - غريب كصالح في تمسود  
وصناعة الكتابة لا شئ أكثر العصور بصحرا ، أو أعجب ما أبدع الإنسان ،  
« وحروف » أودين كانت أول عمل أنه أول أبطال العالم ، وليست الكتب في هذه  
الأوقات إلا من قبيل « حروف » أوديس ، والكتب - حرسكم الله - مسودع  
حكمه العائرين ، وفيها تتجلى بأروع العصور ماضية ، والحقب الحالية ، بعد أن  
هست أحساما ، وأصبح أوهدهم وأحلاما ولا مكر أن يغيث للهام ، ولا أصفور  
الصحم ، لحسام ، والمراحم والتعور ، والمائل والقصور ، أشبه رائعة جليلة ، ولكن ماد  
مانيا وأن مصرها ؟ وإذا سألت « م » عن أعمامهم وبيوتهم وبوراهم ، ربه  
عهدنا تكي ويد في عدد أن دب مشهد تروخ وتسمو . ولم تكل عينك منها إلا  
دم عافيات ، وظلولا دارسات ، ورسوم دارات ، ومعاهد خربات ، كأنها صحف

باليات تنشرها أيدي السحب السواكب ، وتطويها أكتب الرياح العراب ، إنها تفشيها  
أقلام الهاطلات ، مسحتها أنامل السافيات .

لأبدى البلى فيها سطور مينة عبارتها أن كس يت سبهصر  
ولكن ماذا كان من أمر مؤلفات اليونان ؟ هي اليوم عيها بالأمس لم يغيرها  
الزمان ، ولم يكرها الحضان ، ولا تبسها العصور ، ولا أحتقنها النهور ، هنا وقد عطلد  
الله اليونان بين أوراقها وصحفها ، وأحيائها في سطور وجزر ميهها ، فكأنها لم تحت  
ونما طوتها من تلك الكتب صدادين وخزائن . وأصحت في تلك الأسفار ردايع  
ودقائق ، والكتاب - وعاكم الله - مؤاد العالم ، هي ككل ما طرأ عليه من حوادث  
وأخبار ، وخواطر وأفكار ، ووجدانات ومشاعر ، وفعال ومآثر ، ومشاهد ومناظر ،  
فهم تراث للأزمان ، ونعمة المائر للحاضر .

أو ما زالت الكتب تأتي بالمعجزات ، كالتي زعموا أن « حروف أودين » كانت  
تأتيها ؟ بلى حسنها أن فيها للس ذرائع ومجربات ، وبواعث وعرضات ، ولكن تعلم  
أحقر قصة وأسمعها أثرها الخمد في ذراتها ذوات الخرق والحق من بنات الربيع ،  
تجدها بعد الرواج في ترتيب بينها وتنظيمه ، ثم « طروا » ما الذي شاد كيسة سات  
بول ، هو كتاب التوراة الذي هو كلمة الرجل موسى خارجي الطريد راعي الغنم في  
صحارى الطور . نعم لقد أقامت الكتابة في العالم دولة المعجزات ، وضمت للماضي  
والحاضر بأرقى العقد وأركد الصلات ، ولاصفت بين الشرق والغرب ، وصافيت بين  
القطب والقطب ، وجمعت بين طسعة ويكون في القرب ، وألفت بين يوح وبابيون في  
زمان ، وغيرت للناس وجوه الأمور وصور الأعمال ، وحددت شأنا بعد شأن وحالا  
بعد حال .

فالطروا مثلا إلى التعليم وما أحدثت فيه الكتب من الأثر جميل ، وحسن النبر  
والشديبل ، فقد كانت الجامعات قبل الكتب هي الطريقة الوحيدة لاقتناء العلوم  
والاكتساب المعارف . نشأت الجامعة حين لا كتب يدع وتتشر ، وحين كان الرجل  
يريد الكتاب فيأثر الصياح والنفد . وكان ذو العلم إذا أراد أن يعصى من علمه لم يجد  
بنا من جمع الطلاب حوله فيلقهم العلم فما لم . فودد ككت في ذلك الوقت وأحبس  
أن تعرف من العلم ما يعرفه « أبلاترد » لم يكن أمامك إلا أن تذهب إلى

الصرائط المستقيمة . وقد كان اللسان يرمز لأمانة الكتابة ولا طابعة هو الأداة الوحيدة لبث البور والهدى ، فأن قد ذاعت الكتب فقد أصبح كل كاتب يلين من غيوب الناس ، ويأخذ برامها نحو حق ، فذلك بطريق أمته وإيمانها ، وغنا قلت إن كتاب الطرائد والنجالات والرسائل والشعر والكتب ، هم في الحقيقة الكنيسة العامة الفعالة ، هم لأنهم الموصرة . وبسبب الكتب خصنا فقط بل هي أيضا صروب العمد ، وبعضها تكون قرينة حسن صلاة لله وتسمح أن ليس المعنى الشريف يرفه . بحث البيع في رونق نصف حقيق ، يختل من صفاء السك وشرف الديبحة في كبر حدة وألحاح حمة ، فمتخرج بأجره العس ويجرى مع الروح حتى

### يطلق سامعه لدنا مفاصله كأنما صررت أوصله الكلس

يفعل بالنفس ما تفعله للعبادة . ولعل الكثيرين لا يعرفون في هذه الأوقات الفاسدة من أساليب العبادة إلا هذا الأسلوب . والشاعر الذي يرك من جمال الزهرة ما كان في غائب عت ، ليس كأنه أطلقك على مظهر من مظاهر قوة الله وعظمته ، وشعبية من يسوع محمد (سبحي الشامل ، وعنى سطر خطه القلم انلوى في صحيمية الكون هدا ميبا صعبا ، حيا ساطعا ، وكأنا على لنا شبيد ، قدسيا ؟ وإذا كان هذا شأن من يصف زهرة الزهر ، فكيف الذي يتعنى بعمكرم أولي العرم وما برهم ، وما يقب دوى الفضل ومدحهم ؟ مثل هدا كأنما يحس أكباد مجذوبة من بحر الملحرب ، ولعبها أشرف طرق لعبادة

وما الأدب إلا كشف وجلاء لأسرار بذائع الله ، أو ما يسمونه « السر الجلي » وقد عرفت الأدب « ميثي » بأنه الذيل المستمر ما يكس من أسرار الله في الأشياء الأرضية العادية . فإن أسرار الله ما برحت كاذبة في كل شيء ، وما برحت تصادف من هدا الكتاب زهد من تيررها في هده الصورة أو تلك ، في معادير مجلعة من الوصوح ، ودرجات متفائلة من البيان ، كل حسب ما وهبه الله من الفضل . هدا هو السدى ما ران ذور الواهب اللدنية من الشعراء والكتاب والخطباء والتكلمير بصعوبة عند زعديا ، حتى لقد تجد أن شعر يورول لا يجلو من تلك الأسرار يورهم من متلا ، من ربح الحب ، وصومعي مدف ولانتقام ، ومناصف العلل والمقد الصعصع سبي في شتر ، وهي ( الأسرار ) أيضا كاذبة في مد صبح سحر نازر ، دلاد

« زلادود » . حتى لقد بلغ قصاه أبلادود وحجاجة نحو من ثلاثين ألفا يجتشدون حمة يستعمرو مسعوه ، وإذا وجد بهذا المكان هدا العديد للصحف من طلاب العلم ، ر ه جيبه لا حرون فرصة يحسب إعتناهما . فمن وجد في نفسه للكمائة لتدريس حسم ر ذلت كذا : حتى الأمكة بأن يذهب إليه فيعرض في سوقه سلعة علمه . وهكذا ندم د فده سدد للمدرس راد عيه الإقبال من الطلاب والعلمين معا ، وبعد ذلك صبح كذا . لا يحتاج إلا إلى الثقات السلاطين إليه ليجمع تلك الدارس المتعددة في م ر سدد و حدة ، ثم يجمعها للمامي و سمر والسح ويسميتها جامعة ، وهذا هو في نظري مشا خدمت

وسكن . شار الكتب وسهولة احتلاها . قس الأمر قلد لرأس ، ودررة لأسر ، ومي توجد نطاعة سحت أمر الجامعة وعيونها عديرا ميبا ؟ إذ لا يصح الملمه في حاجة إلى أن يجمع الطلاب حونه لسمعوا مدا وما هو إلا أن تطبع الكتاب حتى يتاوله من ناغاضي الأرض عيمة بلا عدا ، ويرتشفه شربة بلا رشاء — هنا مريد — وهو متكني على أركبته ، مرتفق فوق وسادته ، ليقلب فيه القصر ، وينعم في معانيه البطر إلا شك أن في اللحظة لرية خاصة ، حتى لقد يحسن أحيانا بكتاب الكتب أن يخطو . طلابهم أيضا ، وحسبكم ما غش فيه . لأن وأرى أنه ما دام للمرء لشار مسيقى لخطاة فصل لا بكر . وقيمة لا تحقر ، ومطلق لكتاب . خلاف مطلق الأقدام ولكن اخذ الفاصل بين المصنفين لم يبر حتى اللحظة ، ولم توجد بعد تلك الجامعة التي يعرض معها مود فوة الكتب وتأثير سلطانها . ولا أعرف بعد كيف تكون تلك الجامعة وما معالها وحدودها . بيد ك مكرمين في ذلك فمثل هده الجامعة لن تكون إلا كأقدم جامعة ، أعنى أن يكون من شأنها تعليم القراءة في مختلف اللغات والعلوم — أي تعليم مبادئ كل صنف من أصناف الكتب . ولكن مأخذ العلوم ومقتبسها هو الكتب أعنيها ! ومبلنا في العلم متوقف بعد على ما نقرأ بأنفسنا مهما صبح لنا المعلوم ، وأحاد للمدرسون ، ونخرج من ذلك على أن خير جامعة في هذه الأوقات هي مجموعة كتب .

وأما من جهة الكنيسة والتغير الحادث عليها من بشر الكتب تغيير تام ، والكنيسة هي جماعة القسوس والأقباء ذوى الهداية والإرشاد ، من تعلمون بمطابهم عباد الله

ملاح بلدى كان يحلّس القوافى من خلال حركات الفلاس والمحروث - صاحب  
تقنية - التي كاتبا أنشأريد القسرة صاعدة من أديم السراب ، إلى أعلى دوائس  
سحابة - وخلقته - كل عناء صادق هو عبادة ، كما أن كل شغل صادق هو أيضا  
عبادة - وما العبد - صادق لو نظرت إلا صفة للشغل الجيد المحر وتجميل موسيقى  
مقرب - ومن نعمه سطر رأى هالك قطعة حمة من الأناشيد الكيسية ، والصلوات  
مدينية ، عطية على مياه ذلك البحر الخضم الذى يسوته بحر الأدب . فالكاتب أيضا  
كسب

شئ الآن إلى تأثير الأدب فى الحكومة ، لقد كان البرلمان فترة عظمتى تيرم أنسور  
وعيه ونقص ، وتعقد شئون الأمة وتحل ، وتصرف لجنة البلاد وتقدر ، وتقطع  
حكمتها وتقرر ، بعد صول الزرية والنظر ، وإيمان التأمل والعكر ، وإطالة المناقشة  
، والمخاطبة ، وإيمان المجادلة والمناظرة ، ولكن انصروا الآن أما ترون أن عمل البرلمان  
علا يعمل الآن خارج سريان فى طول البلاد وعرضها ، بواسطة المطبوعات ، من  
حرثك ومجلات ، ورسائل ومؤتمرات ، وإن كان البرلمان لما يزل باقيا . ولقد قال بيرك :  
إن البرلمان ثلاثة أركان ، ولكن مجلس مجرى الخالد وكنا ربعا أهم من تلك الأركان  
ثلاثة . ولم تلك كلمته هذه بالمخار والاستعارة ولكنها عين الحقيقة . وقد أصبحت  
صدورها اليوم أحسن منها يوم قالها بيرك ، فلا أدب هو برلمانا أيضا ، والديمقراطية -  
ثم الله - وهن الطاعة التى هى من نتائج الكتابة ، وما هو إلا أن تخترع الكتابة  
فى تسع الديمقراطية - فنكتابة تنبع الطاعة - الطابعة العامة اليومية كما ترى اليوم ،  
ومسح كل دى لسان يرفق بسمع الشعب ، وقوة وسرعة من أفرع الحكومة راجح  
الآن عند وضع الشرائع والقوانين ، وجميع تصاريح السلطة ، ولا يطرأ إليه من أى  
أداة هو ومادامك ومادام ليس ، وإنما الأمر الموهوم هو أنصاحب لسان ، وأنصوب  
... متى إليه ، ويغل غسه ؟ هذا لا غير الأمر الأساسى ، فالإقامة حكومة لكل دى  
من أنصاتها ، وهك الديمقراطية ولا مشاحة . أصف إلى ذلك أنه ما من قوة  
... بودة فى الكون إلا وسير يكها الدهر يوما ما فعالة مقروفا بساطها ، فهى لا تزال  
... فى حواء ، وككد تحت عطاء ، تدافع العوائق والعوائق تدافعها ، وتصارع الموانع  
... وأنصاع نصاعها ، حتى يخلوها صبح اليقين من غياهب الشبهات ، وتطلقها مد

النصر من سلاسل العقبات ، فتذهب شعاب الحق لكل مذهب ، وتضرب فى مناصر  
الإصلاح كل مصروب . ولا تستريح الديمقراطية حتى تتر للعال ، ويصصى شمسها  
كل إنسان .

ألو ما يزال فى كل شىء ذليل على أن خير ما فى طاقة امرئ أن يصح ، وأنصحب  
الأشياء صر ، وتخطيها فى المومس ورنا ، وأنصحبها على الأنصع حصص ، وأنصحبها فى  
المومس مكاء ، وأنصحبها فى العقول رجحان ، هو كتاب الله تلك الرفيع ، وهك الرقشة  
التيوب بلصع لمده الأسود إلى جليل من الأمر لم تات ؟ وأى شىء له نصص ولا نصص  
ولم نصص ؟ ولا عرو فهل كانت تلك الرقع مهما حق طاهرها إلا أنصعد نتائج اللص  
الشرى ؟ هى فكر الإنسان - نصصية الحرة التى بها يصص كل شىء - جميع ما يصص  
الإنسان ويحدث أنما هو ثوب فكره ، وجسم روحه ، ورأى من آرائه . فصديقة لندن  
هذه بجميع ما بها من منازل وجور ، وحلل وقصور ، وعمدد وبنات ، وكناص  
ويصبات ، وحركة وصحب . وجنية ولجب - ما كل هذه لا فجرة أو - سرور وفكرة ،  
لص شملها ، نظام فصارت واحدة . ما هى إلا روح فكرة جسيمة قد كسدت فى  
الصوب والحديد والخشب ، والتراب والدخان والقصور ، والبرامات والركبات  
والصناع ، وسائر ما تطرأ إليه من الأشياء . وم من طوية صصت إلا وقد غمصل بعض  
الرجال فكرته كيف يصنعها ؟ وما نصصية قطعا من الورق عليها لمع من الخير إنما هو  
أطيب مطهر للفكر الشرى ، فلا عجب أن يكون أنصبتها وأكرمها .

وقد طامسا قرأ نصص بفصل الكتاب وخطرة لشئهم فى العصور الحديثة .  
ومستلأله على الكيسة والبرلمان وأنصامات وغيرها . ولكنه يقرر لم سمعه عون ولا  
مساعدة ، وعسى أن يكون قد أن للمرادف أن تخلى مكانها بلاء - ت - السادسة ،  
وإذ كنا نقرر ونعترف بأن للكتاب على الخضم العلم العراء ، والنصص "نصصاء" ، وأنصصهم  
يخزون به فى سسب تقدم وسعرون به فى مرتقى المدينة ، فما بدا من سر عمه فى نصص  
حال من كدد . حياة وححد العش ، من أكرمهم فى حيرة تشواء ، وصلاية عمياء ؟  
ويصص أن كل شىء فيه فصية قوة حصنة ، فصيصصر يوما ماثامه ، وكسقط قاعه ،  
ويصصر لاصص الصورة واضح العرة ، نصص الإشارة جهر صوب ، فأما نصص نصص  
رى لأدب والكتابة ويقتصرون أجراها ، وتصصرون حده - الكاتب لاهد صاص

أن يؤذنه لم يخل عما قد جعلت عليه سائر القلوب من الكبرياء وحسب الدلائل بجميع شمه ومزجه ، وأنه من رُحِب الوُجِب اقتلاع همه الآخرى الملقمة من توبة النفس . ثم إذ كروا أن يثيروا مع عاد وشرف سه ، كان أقل فائدة وأصغر مثرة من نادر مع فخره وضعه سه . ثم يربط به يد وحده في المستقبل البعيد ذلك المظلم المثلثود كان طائفة من الشجعان متاحا لهم العوز والنكصف حتى يجرأ ما فيهما من كرائم التشرات ، ويتعموا بهما اتماخ غيرهم باليسار والعنى ؟ ولا أكر أن العليب الكبير يبلغ بالمال ، ولكن ما يبلغ بالفقر عليب وأكبر ، وإذا علبا أن يعرف حد المال فقصف عنده ، ونعلم أن ما زاد على ذلك فصول حقه الرد والرفض .

هذا ولو فرضنا وجود الإمدادات المادية والرسم المالية ، فإني لما عرفت الكتاب الكبير الذي يستحقها ؟ إنه لا بد قبل ذلك من أن يجوز الامتحان الآخر . وأرى أن الحياة الأدبية - تلك التي كلها فوضى يتلاطم موجها ويتصادم بها ، هي نوع من الامتحان ، وما زال هناك عنصر من الحق في قولهم إن الجهاد هو سبيل المصمود من وهاد الطغاة يسمى ، بل يرى تصقات العليا هو من الأمر شي لا بد من مقائنها ، لما يترتب عليها من استنزاف رقي العائد ، إذ أنه ما راك يولد هي عقبات السعي من سعی أن يكون في رفيع نهار وتسمى الطبقات : حتى كيف يعظم ذلك الجهاد ؟ هذه مسألة المسائل ، فأما أن يترك هذا الجهاد كما هم الآن رهسا لمحاسن الصدق ، فكذلك أفلح فيه كاتب من عصاية محارب الباقون . - يا واحد من ألف هلك في الطريق بعد التسمية تسعة وتسعون ، وبتارك مثل - - - د بروجه ولا تجود عليه إيمان بلوهم ، ومثل جونسون يوحى الوقت بين الثور - - - شموه هي حذرته يطبق عليه قول الأقال :

ليوم علي تيلها قلبوبا نلاقي مس معيشتها جيانا  
 ادا ما السار نم تقهه وقودا هياوشك ان نمرده هياونا  
 حتى نذ شرع نحب . راح وهو م دفعة للعمل وعنده مع اخي والو كس  
 كانه م مصمار ، انه نذ يلهمه ملا عالمة بكاهج التيار . وبتة م نسو علي حة ن

خير و شعبة ، فما ذاك يعدل وإنما جور وعسف ، ولكن رد هذه المقالة لن يكون  
وسعد لا بعد الجهد الجهد ، والرأس المديد ؟ وكم حزن ذلك من مشكلات  
معصية به وخدمه أبعد على حلها ، فإذا سألتموني ما هو أحسن نظام لعمل عليه  
عالم حتى في العصور الحديثة ؟ وما هي خير طريقة لنظام شعوبه واستمرارها  
مكون من ذم مطابقة لكرهم ولكره المجتمع ؟ استقلت من الإجابة عن هذا السؤال  
للعصور من عظمى عه ، وإنها المعصية لوتشابت عليها عدة عقول راجحة لما  
تسعدت بها حلا تقريبا ، فكيف يعقل واحد ؟ نعم ولا أحسب أن أحدا يقدر أن  
يحل ما هو حسن نظام لأمر الكتاب ، فأما إذا سأل سائل ما هو شر نظام و خشنه ؟  
الغيت هذا الذي هو كائن اليوم — هذا الخاطا المساند والوحي المستحكمة ، وما أبعد  
ما يتبادر به نظام صالح طبيب

ونبة شيء لا يقولني ذكره ، وهو أن هناك غير أمر العطايا المالية أمر أعظم ،  
ألا وهو إجمال الكتابات وتقديمهم . وهو أمر كان معدوما في القرون الثامن عشر -  
من المصحود والكفر ، فأما هبة "العطايا وترتيب الرسوم فهي على صورتها في بعض  
الديار ، فلما تقربا وحدها من النظام المطلوب لحالة الكتاب وبنى لأحد الذين  
منهم كثر ما يملط به من سلطان المال وعمله على كل شيء بل أبي أحمد الثاني  
الخاص ومعمار لقيسهم وأقاربههم وقد أوجدت الكنيسة المصرية حرق الشمع من  
التي تزار قدرت لهم الشهد والتسول ، ورأت الكنيسة أن ذلك من أساس بشر  
التي تأنس وتأنس . وهل تست المصرية نفسها إلا على الفقر والحر والاضطهاد  
المتكسب رسائل أصناف العمة والمجاهة ؟ وما أن تقول . إن من لم يعرف هذه الأشياء  
علم منها خربها الذي لا تقدر قيمته ، فقد فاته من فرص التعليم أمها ، ومن  
التي تقربه والتتبع أمنها ، ومن فولد الثرية والتهذيب أكرمها وأحسنها . ولم  
شهادة والطعام وليس للمسرح وشدة الجهل في الأوصاف ، بالشيء الجميل أو  
السيئ ، هي أعين الناس حتى حملته وشرفه من أوله الكرم له ، ولين الخلة الأشراف ياه  
من موضوع الشهادة من أعراض هذا الكتاب ، ولكن من حادثة لا يقول بأن  
دنيا حقوقه لم يفعمه العرف وتبديه المائة ؟ ولقد كان مثله جديرا أن يعلم أن المال

فقد تم في الشطام ونسوة . فاما الشطام ، احسن فهبات منه محس وأبلى له  
 فيعصار والاحتقار يتصم ويهدف بشرر الكلم اللامع ، فيخرج الثورات العرسية -



يبدو أنه لا شك هناك من أن ذلك النظام أت بحمده المستعمل البعيد في حروفه حبيبا -  
في رحم الزمان الآجل ، وهذا ما أحرز على أن أتتبا به ، لأنه لا يكاد الناس يرون  
فضل الشيء حتى يأخذوا في تسهينه وترجيته ، وتنظيمه وبريقه ، ثم لا يسترجعون أو  
يزود قد بلغ منتهى ما يستطيعون أن يلعبوا به . وقد قلت . به ليس في سلطات  
الكنيسة والحكومات بأنواعها سلطة تستحق أن تقارن بسلوة الأقلام ، وقد قال  
المؤرخ « بيت » وقد مثل أن يكتب شيء من المال للشاعر الأكبر بارنز : « الأدب  
سيد نفسه بلهر زمامها ويسوسها وليس في حاجة إلى فلس » قال المستر  
« سودي » : نعم هو سيد نفسه يسوسها ويلهر زمامها ، وهو أيضا سيدك ،  
يسوسك ، يأخذ زمام أمك إذا أتت لم تمت إليه وتعرف له قدره ! » .

معي غيرهما  
إن أهم ما سمعت عن الصين أمر عيه عليا لبس وإيهام ، ولكنه يحرك فيها أعظم  
الشفوق على لبسه وإشكائه . وهو محذر لهم أن يخجلوا ملوكهم من بين كتابه  
وأدياتهم وأرى أنه من الخطأ والخط أن يتكلم أحثا فهم هذا الأمر فضلا عن

شرحوه وبيانه ، وما أحسب إلا أن هذه الأمور لن يكون إلا عديم السجح ، غير أن  
في مجرد عاوتها فصلا كبيرا ، ويظهر في جميع أنحاء الصير سية شديدة المالبث  
عن أولى الألب في كل جيل من بيته ، وكل درجة من عطية ملوسة ، فمن  
أظهر براعة في دنيا المدارس رفع إلى أعلى منها درجة ، وهكذا حتى يعصى إلى أشرفها  
مرلة . ومن ثم نرى أن مراكز الحكومة ومناصبها ، وربما قلد عملا أو ولاية ، وتلك  
هي الطائفة التي منها يختار الولاة وخكام مع الأمل والرجاء . ففهمهم — وليس في  
غيرهم — ظهرت آيات الفصل وأمرت السب والدكاء . معه فيجرب هؤلاء وإن  
كانوا لم يورثوا لحكم والإدارة وقد يعجزون عنها ويعجزون بها . ولكن لهم على كل  
حال فهم وعقل — ذلك الذي لا يستعاض بالحكم والإدارة إلا به . وليس العمل آلة كما  
جرت الحالة بتشبيهه ، ولكنه يدركها أن تستعمل كل آلة . فليجرب هؤلاء العتبة  
نور الأبواب فيهم حتى الناس بالشجرة ، ولا أحسب أن هناك شيئا أسوأ لطلاب  
الإصلاح سوى لإحلاص والعبارة من ساد الرنسة إلى ذوى العقول ، لأهم في الحقيقة  
دور العدل والنير وسروعة الرحمة . ففهمهم أموركم تطفروا ، لكن شيء ، دعوا توليهم

فصروا قل سيدي ،  
ولعلكم ترون من هذه المسائل عريضا مما لا يخفى في محاورات الناس ولا يلزم في  
مذكراتهم ، وليس الغيب في مسائل وإنما في خيال والعصر . يك الواجب أن تطرح  
لده مسائل على بساط البحث والمناقشة حتى تنضج ، فتخرج إلى حيز الفعل .  
ويسلم بعد أن يتم ألقيا البصر رجدا ذليلا ويس وبرها ما اتفاقا على أن صورة القديم قد  
راحت وراء طير عمر العادة ليس في هذا ، الزمن حجة على وجوب بقائها ، وأن لأنوف المؤلفة  
لأشياء التي كانت قبل اليوم قد بليت وفقدت مريبها ومعدها ، وأن لأنوف المؤلفة  
من لأوربيين قد أصبحوا لا يفقهون لاستمرار على أسوب المعيشة القديم . وقد  
عادت ملا ، من حتى أنه وهم لا يستطيعون إحمرار اطعمهم ، ويطن نكت الناس لا  
يطهون ، فخصوب على أروا أنواع الطعاس مدة ثلاثة أرباع العام ، فقد أن ولا شئت  
لأفمور أن يمر ولا أحوال أن تبدل ، أهد ، وحسب ذلك في كلام عن انصام المؤسس  
لحسن حالة الكتاب .

وإن عدم ذلك النظام وإن كان من إجابات حنبلا الثلاثة، فلم يترك بعد أشد من الإجابات أبل كان ثمة آفة هي أصل عدم النظام، نسب كل آفة أخرى! وهي إلحاد مغرب الناس عنز وكموره. فأما حنطب عدم النظام فقد كان على مصغه يمكن احصائه! وقد كان الكاتب البطل يطبق النسو على وعونة الطريق ووعونه، وعلى وحله السور ووحشته، ويتقرب بعقه الداء في الساء والمعرصة والعقات القائمة، لولا أن ذلك العقل قد قل من حدة تأثير ما كان حمله من الكفر والإحد. نعم، لقد كتب آفة العظمى وظامنه الكبرى ما ساد في تلك الأركان من شلال لأرواح وموت العموس، ولم يعلم ذلك الوسط السبق والمسو العاسد أثره الخبيث في قلوب أبطاس الثلاثة، وحسبى أن أقول عن القرن الثامن عشر إنه كان عصر إحاد، وقد معه بكل حسيبة، ووصفته بكل دينة وحيثة! والكفر - وماكم الله - حملة نعلن والدلايا، وحملة الداهيات والرزيا. وليس الإلحاد هو موت الأدهان فقط، بل موت الأخلاق كذلك، وفيه كافة أنواع الكذب وعدم الإخلاص وخرود الأرواح كما فست ومثل ذلك العصر أبعد العصور من فهم البطولة ومعرفة الأنطال، وجو سام بهم، والبطولة روح لا تنتمش إلا بسية الإيمان والثقوى وكيف وقد كان معنى البطولة قد عحي من كل عاطر وبال، وأمسى براه كل إنسان حديث حرفة وصورها من المعدل! وأصبح قد سار به القارطال، وبات في خمر كان، وطارب به العفاء وتبدل في رياح الكفر مدد الهباء، وذاب في موج المحمود دوب بلطء، أو دوب السراب المرقوق في أنكاف القفرة المساء. وقام بدل معنى البطولة معنى الشك والاستهداف والرسم لينة والإصطلاحات الجديدة، وأصبح ساس في عه - لا رعاه الله من عالم - حلو من الرزعة والعصب والعظمة، عدله حولا جوه من القديس ماض فيه الشيطان والفرح.

وما كان أحيث الأفكار إذ فاك وأحسها وسفها، فذا فورثت بأفكار قداما الوثنيين سو حشيين، لا بأفكار الأنبياء دنتى وشكسبر ومسبر. وكيف وقد كان الوثنيون مسهون الحياة الإنسانية والطبيعية بشجرة جدور في عالم الموت ومروعها في سحان، وهي هبة غداء، وحملة عاء. كسفة - ن مسة الأعصان، غير محصية مصول ولألوان، محددة الطلال مسسح، فية - نه صريت في جميع الأرجاء.

والإنحاء، وعصت به كافة لادق والأجواء. معنى كمار لمسة الجديدة - أهل القرن الثامن عشر - هذا التشبيه وشبهو حياة والكورن تمكية نصال صليل الحديد، وترن وبن العالاس يا نه نى فرق. شجرة ومكية؟ قدربو - أصل حكم الله - بين هاتين أما ما نسب نقاش فقه. العاه مكه الست بقنا، بها تدور بول وعجل وعما يقوله الاقتصديون من عومر ونصايح وموانع، والميريس والتقيس. ولكنى صايح على، فهي ن هائل نسر خلاف ريس آلات المصايح، وصحيح صرح الرنايات، وأن نعلم على كل حد ليس تمكية. أقللا تنزوب بعد فصل آراء الوثنيين الموحشين على راء نولك جملة تمديين أصحاب مذهب «لكيسى»<sup>(١)</sup> ولا عجب فقد كان الوثنيون قداماء آفة محصة مؤمة، وكى هؤلاء الكفرة لأشياء لا يخلص لهم ولا صدق ولا مربة ولا شعور، وكاب حتى عدهم هو ما اجمع فاس على استحسانه لا يصروب. نأب شىء وحقيقه، بل إلى أقوال الناس فيه، فمقدارك من الفصل بعدد من خمر من صواب المدحز وكأف عاب عنهم أن الإخلاص قد يكون في هذه سبب أنه به مصر بعد من مستحالات بل جهونا معنى الإخلاص بالمرة. وكه من سافط كد ك يسائل الناس من صميم قلبه سؤال مدعش غير مصعب، «لا تزوى رجلا محصا؟» أما بو حسنت فمسل أيها الليم تدقيق رجلا محصا، لشد ما أنصت معنى الإخلاص وحملة القول به كان عصر موت لا حياة، منه لا حياة كجياه مكات حركة بلا روح، وكان الرجل العامى جند لا يحبه من العرق في عذب ديك الكفر إلا ركوبه خشية صلبة من حطام نذهب القديم ودين الثقوى - مه القرب - سبب الذى عفا ندهر رسنه وأقدم على صبه ذلك الساء حيث أدنى كى طبة فيه قلب كاه ومس ملحد، وهو بعد لا يسلم من موقع تيار الكفر وعونب طبه وغوامر موجه. وهو هالك لا عمالة إلا أن يكون صارم العوم مدعى حيا لشد أنه قد كد. نأب نك تلك حاته بعد، إلا حياة ينفها الموت، ولم يسحق من لأساء، لا لقب «نصف نطل»

(١) - سبب نوب، نأب نك نده كدو برعمه - نوب - مكية

وكل ما وصفت الآن هو ما نسميه الشك وهو عولان هذه الآفات وأصلها: ولو  
رأينا عدنان القلم في ذلك المصمار لاغتسال شأوه ما ليس يخصى من الساعات،  
وكرر في قليل الكلام غيبة عن كثيره، وقد يُحتزأ عن طول المقال بقصيره. وإن كان  
دلتك المسمى «الشك» هو الداء العقام، ورسم أنفيلة الذي إليه وُجِعت جيوش  
الهجاء، وظلت كائنات القذف منذ بدء الخليقة. وحرب الشك واليقين هي الحرب  
شئ لا تنتهى: ولقد تظلم أهل ذلك القرن أن نخاسهم حساب للمحرم، وإنما  
هي سنة الدهر وتصرفات الحلال واضمحلال المذاهب القديمة، وبلى الآراء المتنبهة،  
وإعداد والتجهيز لمذاهب مسيحية، بها لمستقبل البعيد خيراً من القديم وأسمى، فكيف  
نأخذ بوموم بذلك وإنما هو قصاء عتوم، وقدر محمود. ومضى الرشاء لهم ورجعتهم  
مدروحة عن عدلهم وتأنيهم لو بقعه. ولعرف بعد أن بعدام الصور القديمة والأوصاف  
«العتيقة ليس إعلاما للحقائق الخالدة، وإن الشك أو الإخاد على شره ونكره ليس بخاتمة  
رأى هو فائقة

ولقد أنكرت في بعض كلماتي مذهب بشتام - مذهب الماديين، وما إنكارى له  
يظن على مؤسسه وأتباعه، كان مذهب الماديين هو المحمود المعض، بوجود الله،  
واليقين الصراح بأن الكون محال من كل معنى إلهي، وليس هو إلا مادة حاملة  
تتحرك بدوافع غريزية فيه - أقول: إذا كان مذهب الماديين هو للكفر للحض فهو  
عدوى خيرة من مذهب الشك، عما أنه استقرار وثبت في ذلك بوصف الذي يقوم حوله  
أهل شك في حيرة وتردد، ورأى أن الإقامة على شر الظرفين أشرف من الحيرة بين  
بين، ولأن يروق المريض الشفاء أو الموت، خير له من أن يظل وهو لا حى فيرجى،  
ولا ميت فيمكن. نعم ورأى أن هذه المادية المكيية<sup>(١)</sup> هي اقتراب من المذهب الإيماني  
الخذل، عما أنها كانت اطراحا للتصنع والفسطة، وكانت كقول الإنسان لنفسه:  
«لا شك في أن هذا الكون إما هو مكيية ميتة من الخليلد، وما إلهها إلا الجادلية  
والالوج والشره وحب الدات. فلدها ننظر كيف يمكننا استخراج أكرم ثنائها

(١) المادنة أعنى مذهب الماديين، على حد قولهم الصرائفة أى مذهب

المادية، أى مكيية نسبة إلى مكيية وقد مر تفسيرها

محس يدرة محلات ودقة تحريك اللالب! «أفلا تزرون بعد ذلك في جرة اللادة  
على السمك ت تحقد، معنى توهر القوه والرجولة والشجاعة، حتى ليتمكنك  
سمها بوعا من الطولة، ول كست بعد بطولة نعت عيناها! هي كما قلب الد،  
القصوى لىك الشك الذى أخذ بخناق القرن الثامن عشر - بلقها أصحانها بفصل  
النصره والنصرمة والجره وشجاعة، ويظهر لى أن جميع الكافرين والمؤمنين باللله  
لا يقرب، سيصرون يوماً بلى مادية لى ساعدتهم جرة وصدق بية والد،  
كست بطونة عمية، وأتب نسه النوع الإنساني في المباديات بمحاولت في طاحوز  
يب بنفسى سوز معقود معين، ثم لا يشب أن يشب يلميه فى أعمدة الطاحوز

فيهار موقه الساء حراما، وككه حرب يشمه خلاص

ويكى مع ذلك أقول - وأرجو أن أصدد قلوب وعية - إن كل من لم يجد في

ذلك الكون إلا آلة جامدة فقد أضل سر الكون شر إضلال، ولست أرى نقطة شمع

من أن يشهد رأى الإنسان في هذه الخليقة من كل معنى إلهي، فإن ذلك نسب

ويعطى - كذب في سويد، وما وصميم كبد، ومن كانت هذه عبيته فأحرى به

يخصى النصر م م كل شىء، وإن لا يتبع عسى سدد قط. فكل نحة يستند

ألمدتها عيه ذلك العالمة جوهرية، فهي حيرة أن نعد في نظرا شر ضلولة غير

مستشيرة حسولة السحر نفسها، وكيف وقد كان السحر يحمل أهله على عادة شعرا،

حى، وما نية نعمل أهدبا على عيدة شيعان حديدى ميت؟ عما لها إذ حمر -

يكون من نية، أفلا قل من أن تترك فيه شيطانا؟ تبا لها بقدر عورت ذلك الو -

الرائع من كى ياب وشرف والجلال والبراعة والقدس، وتركه حنة بلا روح وهما -

بلا حياء ونى الأسان بعد ذلك عسمى الأبطال، وماتر دوى الهمم والبراد -

الرجال - ما ندى يسميد من ذلك مذهب الكادوب هو أن ليس مى لحدة بلا -

الشهو - ما نوحدة مة ولألكم، وما حقيقة النبوى فى حاة المة هي المة -

المعقوب سبر نلح وصال وسائر الماديات، أو بالاحصاء هي الكفر، والحمر مة -

نفسه

أما ذ - فهو عندى صبح العقل الراجح ونتيجة للمنهج الصحيح، وما -

حجية مة - لا توصف، شأن كل عمية حبة جوهرية. ولم معط العقل نعت -

نزل بين مهر وتفرج كدب وبمحمد صن خيابة اوى منهل تميم عيبر  
الحير ، ونقص معان البر ، ويقطع العمل المصادق الحمر ويقوم ببله الخفاق بالتقليد  
والمحاكاة وهو عيون رقى لأفس وأسر الأدهان ، وعنه لبساتر والقلوب  
وهناك شبيب أنوب ادب وجمال واجباتها ويستف حيرتها ، لا تؤدى حقوقها  
ولا تصح شوبها وكيف وعد ذهب الأبطال ، وجاء حل كدب دجان ؟  
واققيقة ؟ بأب مد بعد لأخير من دولة الرومان قرن هو أحمل بأهل السرور  
والدخل من دك قرن لثامن عشر ، ذكروا - رعا كم لله - رجاء دالك العود  
وطرو صا كابر يصنعون من حمد مصائل ، ودم اردال وهل رأيتهم عدهم  
لا قول لا فعل ، ومضنا لا عمل ، شفقة هادرة ، وهما هاترة ،  
ونسمة حاة ، وقوب كدية ، ونعيا تدي ، وفلة كاصخر أو أقسى ، ونعوسا  
وسى ، وجمعهم ، لا طح ؟ وكأني بهم قد حسوا أن العش والفاق والكذب  
هى من عصر حتى نتي لا تقوم لا بها ونقد بلغ من دك أن الورير شتام دك  
انتهور به حرة وشجاعة يصنع لوص ، ويدخل شمس ميرلان معوف لأعصاء  
هى حرق كانه مكسر معص بحره ، ويشيع عن معصه أن هى أشد ترجاء الداء ،  
وبه بولا حقوق اشرف وبرداه وحرمة الأوطان ، لما خرج يتحامل قطع الخطو  
مهور الأعدى حتى بدا قطعت به أشواط السان فى ميدان المناظرة ، وطارت  
به حجة لانه فى عاق مناقشه والمحدورة ، سى م بد تكلفه من «معارض  
فاسل در سه من معه انال نصارم الخرار من عمده ، جعل بهره ويصوحه  
فعل اعصت نصنع وصيق لموة اوكذلك ما دك شام هد ، صد فرع أنوب  
سياسه دى م فرح غيبه حدم نوب اخدة ، وهو كسج سب الصدق والكذب  
وحى و - عن صفة ميرف وصدده للحسة ، وشطره لله وشطره لشجيات  
ولعل حجب فى دك ، نيا لا سال برصاء اسس ، وسان معصيه به  
مديح فى دك دك فصحف العش واحده درصه ، فحيف والمان هذه دى  
حقوق دى م وودا شتا دك دك المذهب يحقه من لسان والشك ، وحس  
والاراء

وسمسط ، وبخادل وعلط ، ولكن لورى به حقائق الأشياء ففهم ونوقن ، ثم  
حس بغير اسم سى عنه معال ، ومبد يستهل به فواتح الأعصا وبسر  
منك ففهم بحرية ، وكيف وما كان قط الإنسان فى مسائل المذهب والعقائد أن  
يقع على أول ما يصادف فيحتمضه ويصدق ، ولا من العقل أن يركب الرجل  
نه فى الرأى ويخروط فى الأمر من غير تدبير ولا رؤية ، وإنما العاقل من بات  
بنسب رأيه ويشاور نفسه<sup>(١)</sup> ولا يعضى الرأى حتى ينضج ويختمر .

لا كماصاء جاهل عمره فى مركب الأمر قبل شد الحرام

فإذا فعل ذلك جاء رأيه مشحوذ الفراء محمد الحبل حصيف العقيدة ، جدير  
أن يحلى ليل الخطوب والأتراح ، ويخلص يد الماء والراح ، ويكشف معالم الحق  
الصراح . والشك والبحث والتقيب غريزية فى نفس كل عاقل ، وهى حولة  
العقل فى الأمر الذى يحاول أن يعرف ليعتقده ، وتثبت شجرة اليقين كما يست  
غصن الشجرة من مستر الجذور ، ولكنه لما كان الواجب على المرء فى عدى  
الأمر أن يسر شكوكه حتى يزول بها طور اسطر والتقلب بما قسرا أو رقصا .  
فما بالكم بأسمى الأمور وأعلىها التى يعجز عن صفة كنهها اللسان ؟ فاب أن  
يبرز المرء شكوكه ويحسب أن المجادلة والمداورة هى أقصى مبلغ قوة العقل وأكرم  
مآثره ، فهذا مثل أن تقطع الشجرة فتعكسها وتعرض على الأبصار منظر جنورها  
القيح بدل ما كانوا يترقبونه من ناضر اللوز وباع الثمر وفينان الأقصر المحصر ،  
فهوهم منظر الموت والشقاء موضع الحياة والماء ا

والشك - كما قلت - ليس فى العقل فقط بل هو فى النفس والأخلاق أيضا ،  
وهو مرض الروح كافة ، وإنما يحيا المرء باعتقاده شيئا من الأشياء لا بالمعاظرة  
والمجادلة فى جملة أشياء . ولن ترى حالا أسوأ من أن يظل الإنسان وهو لا يؤمن  
إلا بالشئ الذى يبر عليه جيبه ، ويلتهمه بإحدى حواسه وبهضمه ا وهذه  
مستقلة ليس دونها وأياكم مهبط ولا منحدر ، وإنما تسمى الأعصر التى يهوى بها  
الإنسان لهذا الدرك أمرض المصور وأحسها وأحقرها بالفرن واليكاء ، وفى مثنها

١٠٠٠ معال شاعر معصا دى عن نظر دى دى شاعر ، وذلك به حدة دى دى حوى عن معصا معصا



وكانني بك قد وقعت على أصل أدواء العالم حينما تسميه عالما كامرا — عالم  
عنه الإخلاص — عالم كذب وباطل — عالما شطانيا ! وهذا هو ما آراه منيع كل  
فه حسنة — مسح شذرات العرسية

وإني لا بد من تغير هذه الحال ، ولست أتوقع لعالم حيرا وسعيا حتى  
مدت دلت شعير ، وإن لملي الوحيد في حس المال ، وعمرني عما آراه من شفاء  
عشر زبوس الحال . هو أني أرى ذلك التغير قد بد منه مستر وإنني قد أخذ  
من بلى آخر الرجل ليؤمن الذي يعرف من هذا العالم حتى . وما هو بأكتونية  
زينة ، زينة هو نفسه حتى وليس يحس ولا مفلسوج ، وأن العالم حتى يخلق فيه  
روح الله ويجول في أرجائه رونق الجمال والجلال ، وأنه كحاله في أوائل الزمن  
بكرة الدهر أو وعدى أنه متى عرف أحد الناس ذلك عرفه بكتوز ، بل عرفه  
الجميع على مدى الأيام ، وكيف أنه حتى واضح لو كشف الغي عن قلبه العطاء .  
وطرح عن إنسان عيه الأفتاء ، وكأنه بللكم الرجل المؤمن وهو يظهر من دولة  
أكثر من أعقاب حجم آفل ، وبقية ظل زائل ، ويستقبل من دولة الإيمان تباشير  
صحيح أشر ، ونفحات روض عاطر . ولا يرى الرسوم القديمة على متانتها إلا  
خيالات تهتم بالزوال ، وأشباهها تشد للرجل الرحال . وكانني بذلك المؤمن  
بخطب دولة الكفر المسيرة بقوله « ما أنت بحق وإنما حمار زور ، فادهي وعيد  
العناء ! » نعم سندهب دولة الإحاد بخزيبها من مادييات وكثيريات ، ورسوم  
كاديات ، وما ذلك القرن الثامن عشر بعد إلا فنتة من فئات الدهر لا شيء حتى  
تصرف ، وإنني لأتأمل للعالم بإقبال السعد والضحاح ، وأخير والعلاج ، ودولة  
الإيمان بنوم عمودها ، ويصير رونقا ، وترتف زرقها ، وعقد  
ذلك يروح العالم بقلح رابع ، وسهم راجح .

بل ما لنا وهوز العالم ورونجه ؟ لشد ما لهج الناس بذكر العالم ونجحه وحسنه .  
وما حب عني كل رجل أن يعرف أن له حبة نعمة شغيبا ، وشودة نعمة لها .  
مهما يكن من أمر الدنيا ، وسواء أفلح العالم أو أخص ، وأن عمره اما هو لحبة  
بين أيدي ، وما للإنسان بعد الموت إلى هذه الحياة من كربة . فحذر ما لا يعش  
عيشه البوكي الأصفار من كل فضل ومكرمة ، ولكن يشه ببلاء عماري  
الطوس بالحق والهدى . وما لنا ولاهتمام بالدنيا وما في نجاحتها ويح لنا ولا في

حياتها مصارة ، وإنما هم العاقل أن يعني بأمر نفسه ، وعلى ذلك منقوحة لشمس  
غيره ومشغلة . وأحق الس بالانتفات إلى هذه المصيبة قوم أولعوا بالتطواف في  
نحاء الأرض قصد رقية الأمم والشعوب ، وللأسم والشعوب إليه أريجهم بهم من  
كل مخلوق ، وأملأ بتعليمهم وترقيتهم . وفكرة الجولان جدامن نتائج تصنع القرن  
السلف وكده ، فليجعه بها أهل هذا القرن ، وليكس لهم في إصلاح شعوب  
أنفسهم شغل عن القيام بمصالح العمر .

وعني تلك الأحوال وهاتيك الأمان ، كان يعيش كتبها الثلاثة جونسون وبارنز  
زورسو — في أزمان أصفرت الحياة في أثنائها من كل أثر للحق والصدق . فأما  
الحقائق القديمة فكانت قد هد ركها ، وعمرس لسانها ، وأما الجدية فكانت آمنة  
في بطل المستقل لا حرس لها ولا نيس ، ولم يك لاح في طلمة الكفر المظلمة  
فجر ليقي وصديع إيمان ، رسم يك في بيع قفسار دلت مكذب وباطل يسوع  
حق . كلا ولا الثورة القرسوية نفسها التي هي على علاقتها نوع من الحق ، وإن  
كان بعد حقا ملتغا برفاء من نار جهنم ! وما أهد ما بين سيرة لوثر ذات العاية  
المحدودة ، وبين سيرم جونسون المحفوفة بالمزاعم والفروض التي عادت لا تقبل  
ولا تفهم ! نقد وجد عمد أباطيل زمه مصنوعة من احتشيب قابلة للحرق فأحرقها  
وأخفى من عقباتها سبيله ، ولكن أباطيل زمن جونسون ما كانت مما يحرق بالنار  
فبقيت في طريقه . وما يروح كل قوى من الرجال يجد الحياة ملأى من الأعمال —  
أعني من الصعائب والألام — عما يستفرغ من جهده ، فأب أن يظفر المرء مبين  
الظفر في عصر كمصر جونسون بذلك أصعب الصعائب — فلم يك مصاب  
جونسون قصرا على العوائق وفساد النظام والعقر الذي حبس رونقه عهد قورشين  
في اليوم ، بل لقد كان جونسون قد سلب نور روحه ، فلا معالم تهديه في  
الأرض ، وأبرح من ذلك أن أصفرت سماؤه من كل نجم ! فلا غرو أنه لم يس  
المصر المين من هؤلاء الثلاثة أحد ، وحسبهم أن جاهدوا مابو ، وللك أقول  
عرجوا بما على معاهد أولئك الأبطال ، لا كأبطال مدبرز وضفروا بل كأبطال  
جاهدوا مصرعوا وقد مهلوا لنا السيل — ثلاثة جبابرة قذرو في حرب الكفر  
والإيمان فسموا من جبال الباطل ما بات أثرا جسيما عني فيورهم ، فقروا بها على  
تلك الأحداث فإن فيها عمرة وتذكره

وكنى به يمشى بين القوم قد قصر خطوه المرحى ، وتوكله الوحشه عريبا قلى

الأقربى ، يحمل بين جنبه فؤادا ضحما شرها إلى المكرم مبهما بالعلى ، وورحا  
عصا بحيص مشوش من مهمه لأفكار وخرطر سنه كل م يصدف من عائدته  
دبية ورك قلع من العوائد ديبه ت قد يعثر عليه من نقوال الكتاب والشعراء .  
وحقا لقد كان سيد أهل رمبه وبعة قومه الذى كان يجربه على تلك العظمة  
والسوة درهمين فى كل يوم . ولكن ماذا يؤثر ذلك فى نفس جبارة لا تهزم ،  
وعزم مص لا يكسر ، وفؤاد صراره لا يفس ، ثم لا تنسو تلك الحكاية الماثورة  
عنه - حكاية حده . وذلك أن جوسوب كان قد سقى حدادوه وبصر به بعض  
الكرماء فى تعليه سائين فرجه . ثم عمد إلى حدهاء جديد وشتره له ووضعته على  
باب داره فى حمية حتى د حده جوسوب ورفع سطلين يحداد إيهما القطر من  
عيبين كيبين ، حدته الحوة ونسج بألفه نكر فرماهم من السامه ، ومعاد  
الله أن يتلى بصل العصبه من مبط نشحادة ويسف من محط السؤال ، وقد  
يختل بقر ولسج ولذع خيبه - إلهصين . فام لشحاده فلا مانفرو هداكم  
الله أى قوة كانت فى ذلك رجل نفور نباش . رأى زباء وعرة ، وأى توكل  
على الله واعتمده على النفس . حتى رأى فى جوف هد رجل عانا من القوة  
وعشوة ، وسؤس ونفقه ، وكه يؤس نى عيب ، وعافه عروف أنوف ، ومده  
الحادة عور على حدة رجل جميعها . نعم فقد كان رجلا حرا جديد الديناحه  
ويش باخى مص خلق الأدب . ولا دليلا ولا شحادا ، وأولى بكل دى سرورة أن  
يقوم على ما ربه الله ولو ك . رجل وشرب ، لا على عطائها الغير ولو كانت  
العصه وبدهب .

ومع ما نرى لجونسون من وعورة الإبه ، ومراة الكبرياء ، وشدة الأنفة ،  
كان قط رجل رفق حث مه ، نفسى نفادا سحر لأمر الشريف والمسى  
مقدس ؟ وقدمه كانت الفوم . كسرة محدبات تلقاه ما هو أشرف منها وأسى  
فؤادا . حد نل شىء نس مص ، سسمى . بيا صغار النوس ودينها هسى نى  
لا يفعل ذلك . وجوسوب فى ذلك حبر مص ل د ل د ق . من أن به انحص  
أنه حسن الطاعة ، وألك لا نرى المصوغ و خشوع المعانى الطولة إلا فى عصر  
كده . قد قلب ، حد د عص . لم لى فى أنه جديد مبتدخ . فقلد

لقد س . نى انكساة عن هؤلاء الأبطال قصدا أو عرصا ، ولا أراكم إلا عابى  
من سرهم ما لا حاجة بنا إلى ذكره ، وبما سكلم عنهم الآن أكسب ذلك العصر  
محسب ذرب فى الكلام عن حالهم وحالة عصرهم من تلك الوجهة - أى من  
جهة نهم ساره - مثال خمسة آراء . ونسى أراهم الثلاثة رجلا دوى صدق  
جاءه ، فى إحلاص أن يمدوا غاية الصدق ، ويشترى أقدامهم فى أرسى قومعد  
حسن . فكانت ضائعهم من أكثر البواعث على ملهم أن سة ، د كان بهم حتى  
من عصمة النفس ما به يستصيوها معه أن يقبوا على الباطل ، وقد جعلت سحب  
لأصائل والأكادب سهال تحت أقدامهم فلم يكن لهم إلا على أديم الأرض  
معتمد ، وإلا فلا مستقر لهم ولا مطنان . وقصارى القول إنهم كنوا أساء طيبه  
فى عصر كلغة وتفسح - كانوا رجلا مخلصين فى حين لا إخلاص ولا صدق ،  
وكانوا سوسهم الشريعة على هذا العالم وقد طال عهداه بالشرف والروعة .  
فاما جوسوب فما رأت أراه رجلا من اعطاطم رجائنا - قسوى النفس مثين  
خلق ، شريف الضع معمم العواد من كرامن الكرم ، بما عجز عن استشارته جهود  
لنصر الذى عاش فيه ، ولو صداف من إيمان حيله جوا أكثر نورا وحرارة لانفجر  
فؤاده بأعذب يابيع الفصل والكرم ، وخار أن يصبح ملكا حبيلا أو . باما كبير  
و شاعر فحلا . وعدى بعد وأنه ليس من العقل أن يشكو المرء عصره وقومه  
ودهره ، ولا فائدة فى ذلك ولا لعمرة . وهب عصره عصر حيث هذا بابه لا  
يتسه ، وحينه ردى . فما به لا يحسه ؟ وكنا جوسوب فى شدة معسر رث  
لحال عاثر الأمل معرود . ولا تحسوا أن سعة الرزق وفسحة اللعبة كانت تخفى  
عن عينيه سحب الهم لو أنها انفتحت له ، وديك أنه كان مصابا بالسوداء والألم  
للممانى والروحاتى . نسى من عذابة نمسه جيوش الصلا والكفر . فكان كرها  
حد . اليونان فى خردتهم عن هرقل إبه القوة - بد قائلوا به كان ينس قنبص  
من أرفهوه منه فى مدب أنيم وبلاء مقيم ، ثم لا سبيل أن يرعه . وكيف وإنما  
هو سر به وجدده . وأعى هذه لطال كان لا بد أن يعس يائسا من إحلاص  
والحاجة .

بما ابن يورق لا مصر من اللد - به ولا من قصاهه للمحوم

كان جونسون فاصلا وكريما مع إقامته على قدم الأراء ، ووجد في ذلك القديم حاجة ويعتد فعاش به عيشة شريف حر ، وما وجد بطل وشأنه في ذلك عريب ، لأنه مع إقامته على تلك الرسوم القديمة المينة لم يكن من أهل الأكاديب والظواهر ، وإنما حقائق وأصون ، وودك أن الرسوم القديمة التي أقام عليها كانت تحمل في جوهرها عصرا من الحق . وعجيب والله من هذا الرجل إيصاره أسرار الكون العنسة ، وحقيقته الحياة الكرى ، في ذلك العصر الورقي (١) المحلل الجدير المشحون بالكلفة والعش ونصنع ، ولا تعلم كيف وفق ما بين مدعه وملعب ذلك العصر ، بل كيف طردت به عيشة فيه ؟ وحقا إنه لأسر حدير بالتأمل المشغول بالاحترام والرحمة والإحلال . والله أشهد أن من أعجب الأمكنة عدي وأقدسها تلك الكنيسة - كنيسة سانت كلمنت - التي كان جونسون يعبد الله بها في زمن فولتير ، في زمن الكفر !

وبما عند جونسون بيا أنه كان يطلق عن ضمير الطيبة ، وإن كان بالأسلوب والتجديد لتصبح أو ليس في كل أسلوب شيء من النصع ؟ وما كل شيء منصنع بالكتابة ، بل كل شيء منصنع كان في مبدأ أمره حقا . وما سمي بالرسوم المنصعة والاعتبارات لاطلة له تلك في أنزل مرها مكررات ، وبكف كانت صالحة صورية . وما لرسوم ولا اعتبارات إلا طرق وأساليب وعوائد توجد حيث يوجد الإنسان ، وبما تكون الرسوم كما تكون النسل ، وتصبح مصيبة إلى حادثة شريفة بأمها الملم بعدد من أخبار الناس وأصلها أن رجلا على المهمة سبب لإخلاص غدا بسبب في فعله من الأفعال - قبل مثلا بسبب شكره الله ، أو سبب الإسلام لرجل من الناس أقول مثل هذا العمل أو ذلك على ما سرون من عمره هو في حقيقة جسمه ، وبما صغرة في أنظاركم العادة ، وما كدر ليوجد في هذا العالم لو لم يصدر به صدق ومكبر هو أول من بطل به وأوجد فهو مثل بطل وشأنه ، ما قد أعرب عن معنى شريف ما زال يصطوب بقواده وفده لآلاف المؤمنة من حمد الله ، وفده طريقه في العسر عس ذلك المعنى . وما ناز حصاه هذه مبادئ لمهج . ثم يحيى رجل آخر في رسم آثار الأثر

وبست عصة سهل ، يترسم آثار الأثر مع بهصلاح ونصحيح وتحسن وتنبيح وكلما زاد وكاتب الطريق اتسعت أقطاره وانفسحت ترحبه ، حتى يشول سهجا وصحا وسبلا مصروبا ينقطه كس عاد وزالح وما دام بدلت الطريق عابة مقصودة ، وبهية محمودة ، فهو مألوف ناس مرصى لبهم ، حتى إذا صاعقت بهد حجر حريق بالرسوم - رعاكم الله - تكون في أوائل أمرها ملووة بالمدى حنة ، وبك أن سموها جلودا وأجسادا سكنها حقائق حرة صحيحة ، وبولا ذلك ما وجدت تلك الرسوم وقد قدا عن الأقسام نفسها إنها لا تكون ناصه حتى تغورها شبهة في نظر عابدها ويضعف إيمانه بها ، وما أحسب أن كثرة ما تعودده من دم الرسوم مسيا قيمة الرسوم الصادقة ونفسها ، وإنها كانت وسوف تكون أروما ما يحتاجه في سكى الدار الدنيا من الفرش والأثاث والذكورا أيضا كيف كان ذلك البطل يتحدث أيام صفوه بإخلاصه إذ لم يكن يشك في أنه من كثير الناس بإخلاص ، ومن أكفهم لنقيام بأى جليل من العمل وبعد كان في شديد الجدل والاجتهاد يستزل الرزق من شاهق ويستدر به صحرة صماء ، وبو صبه من غير طريق أحسن لأعدق عليه ودر وبك رجح حتى لا يقيم إلا عليه ولا مضطرب له من دونه . كما ترون في ذلك لروما لمهاج الحق من غير افتد ولا إعلان ، لا كمن عخط على حيينه بالمنداد كسمة « حق » بطل الناس ولا شال بهم إلا التحدث به وإطراؤه ، وكذلك ما برح الفصل زينة من لا يتبه به ويعجب .

كان جونسون نبي قومه وكان كلامه لهم إنجيلا ، شأن أمثاله من الأبطال وأضرابه . وكان أنقى ما قال لهم يدور حول موضوع لحزم ، وما أعظم ذلك الموضوع وأجده في هذه الدب نبي قنت فيها معلومات لإسان وكثرت وأجانه وكان محوى ما عساه تقوم هو « فبح بكم بها ناس أن تعمسوا أعسكه في حمار الشك وأعدق أعسكه في عاله قصرت به لمدرك وحسرت النصائر ، ونسنت أعياه المروص وموارص الملقوق . بكم أن تعمسوا ذلك تلقو شقة وبؤسا ، وتكونوا كاندس تحصه الشصص ، وبكى يكون لمسحد حدود عقل يعمل به ويعيش ؟ » . هذا هو إنجيل جونسون الذي لقنه لاس وعسكه ، وشمعه بالخياله الآخر الذي فحواه : « خلصوا عقولكم من شوائب الرباء وجوسون مسي المسيح

وأيضا في معاكسة البداية لا في أحذية العير ، ذلكم حجر لكم » ( كما كان يقول محمداً ) ، عدى أن هذا يخل حكيم - أحكم ما تسر في هذه الأوقات

أما حادث جونسون فهي وإن عقت سوقها قديما فقد أصبحت بين أهل هذه معصور بضائه كسده ، ولا أنكر أن كثيرا من آراء جونسون قد أصبح اليوم فسر نية ، ولكن تسرب مكبره وعيشته سيقى عالي القمه جند الروي أبد مدبر ، وأي الأري في كتب جونسون من أي آيات الفصل وأرجح برهين

الحكمة ، الفقل مالا يدفع ولا يعل ، وما هو جندو أن يرحب به على علاقه مهما دت ، لأنه كلام حر صريح أريدت به أغراض سامية وأمور جليلة . أما أسلوبه فله جفاء وصلاية - خير ما وفق إليه يد ذاك - أسلوب ضخم البناء يابس لمعاضل ، كأنما يسير بهويها في أرجح رربة وقار قد أصبح اليوم غير مألوف ولا مستطرف ، ورعا سمعت به طبيا وحجة لا يواريهما ما صمم من المعنى ، ولكن هذه كتب معنونة في جانب ما أودع كلام الرحل من الحكم والآيات وإنما المعنونة بالمعاني دون الألفاظ ، والأرواح دون الأبدان ، وكل من أسلوب حلو موش حلو من المعنى ، كاشغرة المعجبة نقش لا لب فيها ، والصدفة المصقولة ولا مدرة وما كنت أرب تلك الأساليب الكاذبة إلا حاة مجرمين ، حقيق بكل دى دين ومروعة ألا يوقع حقيقتهم ويركب مسهم ، وجدير بكل قارئ أن يتعلمي كتبهم ويحسب أقوالهم ؛ ولو أن جونسون لم يترك لنا إلا معجمه ( قاموسه ) لكان حسبا ديلا على راحة عقله وحلة ذكائه . ومن اطلع على وصوص ترميزاته وحدوده ومناة مبادئه ، وصحة معانية وحسن مذهبه كان خليف أن يعده أحسن معاجم جميعها . وأتى لأطر إليه فأراه في جمال تنسيقه ومخانة صممه ، كاقصر لمشيد متناكل لأطراف متشابه الجوب ، يصرد فيه روح النظام . تحول في حجرته روثق الإقلاق ولصاعة - ولا نفوسا كنمة على صاحب جونسون وأدبه نورد بورويل - ذلك الديو حاور أخذ في إحلايه وبمدهسه جونسون وقد - مع الناس في تعبيه على ذلك وغلوا في احتقاره وإصفاره ،

ورعنا من أن لهم بعض الحق في ذلك فإنهم بعد جاثرون وطالمون . وعلى أن

(١١) يشير إلى الآية القرآنية ﴿ ذلكم خير لكم لو كنتم تعلمون ﴾

جلال بورويل جونسون ما رب من أجل الأثار ، وأعجب - حبار ، ومناذا أعجب من مصور احتض ديكلي الرجس البورد (سكوتلاند) الآية لمعزور يسو حامي الرأس حاشع مصر إنجلالا وحة بحر لأسناد الجسيم في ضماره الرثة الثرية ، وعرفته الحشرة خاوية هذا ولله صريح الإجلال لنفس كبره وروح شريف ، وهذه عبيده لأبطال في رسم أفر فيه العالم من لأبطال ومعدة بل كيف أقفر منهما وقد بيع أكمل صورة في هدى الرجس ؟

ولعل الوجود ما خلا طريقة عين من الأبطال وعادة الأبطال ، ولا جناح علينا أن نكر ما قاله القائد للقرنوسى « دى كورس » من أن ربة تذهب الإجلال ، حتى أن أبطال الكثير لا يكون بطلا في غير حدم مرقده ، وإن يرى أن الطولة تشرق من أن تغمس الألفة شمسها فإذا وجد الحدة لدى لا يرى عضفة سيده ، فالدب عليه في ذلك لا على السبد العقيم ، ومن حدم حسب أن البطورة هي حمة موشاة وناح وركيل ، وأتوا تسجع ، وإن ترفع وإذا كانت الحقيقة كدست فقد كان بالقياد عرسوسى أن يعمل كسه هك ، « لا ملك يكون سلطان فاجر المظهر في عين خدام مرقده » وهو عند بسان إلى الملك الجيب ليوم الربع عشر فرب فيه وتركه عريسا ، وإن رب شخص حقيق لا موضع فيه إلا جلال خادمه . ولخدم الذى يحمل في جوفه روح حدم أى روحا وصبعه ليس حقيقا أن يهبط بطولة لطل ! وإن بهم لطل من خادمتهم جوهري الطولة .

أهلا ترون بعد أن إجلال بورويل لجونسون لم بعد موضعه ، وأنه ما كان ليحد في بريطانيا نصا أحق غير نهمه ونى الركية من تدب نفس لكيرة وهل كان جونسون إلا رجلا عظيما أركب من عيشته ظهر صعبة شمس ، فراض جهده من صعوبتها وذلك من شماسها ، وخلق في مضطرب فوضى الأقلام ومخلط فوصى لأدون والسياسات ، فمهد لنفسه مهبط وصفا وسط تلك المعاصر لتصادمة ، واستطاع على رقة حاله وروهن جسده وعثرته . شغفه ، أن يسجد له ملك القوى المتضاربة الملاطمة مما كان فيه معه وفادته ، ودث هدى له ويكو كبر إرشاد لاح له في سماء عالم الأسرار هو كل به . . . . .

حما عنوقا ، وجعله قبة سعيته في بحر الحياة المعجاج ، صافعا عن كل معربة ومعبوة ، وسال عن حزن إبليس ولم يرفع على قلعة الكذب لوراءه .

\* \* \*

فما روسو لم يبلغ في البطولة الدرجة العليا ، وليس مصيب من إطاره قسط حوسون ولا مصيب بارنز ، وما هو عددي لارجل ليموت ويأمن رجلا مريض نفس سريح الانفعال كسر السربات العصبية ، ولم يكن أنسى فصيله بصمت - وأن فصيله وأنيكه ومرة قصر عن عابيتها معظم الفرنسيين بل معظمه من هد العصر ، والرجل انقوت خير في مذهبي من كتم مصيبه وأحقى عن ساني دحد من حشنة ، وقد كتم - يجوز روسو الجليل والصبر على الشدائد ، وهما أول شروح البطولة - وبه نفس الخطأ أن يسمى الناس سرعة الهياج قوة ! والرجل المريض الأعصاب ليس جدير أن يسمى قويا وإن عجز ستة رجال عن إمساكه حين تنور به الموبة الشديدة ، وإن القوي من استقل بالحمل الفادح ثابت الرواة قائم صلب - وحقيق ما في هذه الأوقات الكثيرة الصعاب العالية الصراح إلا برز من ذكر ذلك ، ولرجل الذي يبيته أن يسكت حتى يحرق وقت يكلام ولعنه ، هو رجل عاتر يرى جاثرا عن القصد

يرى في وجه روسو عنونا على حده . حب جدير مشرفين وعييين عاترين تخون فيهما حيوة وقل ، ويصطرب فيها سراع ولهف ، ووجها حادلا باباب شفاء يوصيغ ومعنى لسوقية والخطبة - غيوب لا يعوض منها في دمت نوحه ، إلا أية حد الشديك واحدة صارمة . وقصاري القول إنه وجه رجل متعصب وبطل مشهور - ربما لمذكره هـا لأن فيه - على علاقه وهي كثيرة - أول صفحات بصيرة الإخلاص . ولست عطفانا إن قلت إنه لم يك قط في الأبطال من هو أشد حلاصا منه ، حتى نقد كان له من شدة الإخلاص ما لا يقوم به ضعف الخد تصعب لولا هذا الإخلاص . طلع الذي يقع به أخيرا من مناقضات لبحرته من شت لا يكون حنونا . بل لقد أصابه بالفعل في آخر أمره صنف من الجنون ، دنت - فكارة ركنته كما تركب الشياطين الأس ، وساقته أعنف السورق إلى أن هجم ومهواه . وكانت مشأ عيوب روسو ومصلو شقاه ، هـ ما يعبر منه سعة المفردة « الأثرة » حب الذات ، وهو مشأ كمال عيب ومصلو كل

شقوة . ولم يورض روسو نفسه على قدح النفس . طلع إن لم يزعها الإنسان نزعت به إلى شر غاية ، ولم يشحذ عزيمته لقهر جيوش الأهواء والشهوات ، - وكان قد مكه جوع حيث للشهرة وغير الشهرة وأحشى أنه دك رجلا كثير المرور والرهو ، به علة إلى مدح الناس وتذكرون قصته مع السدة « جليلير » وذلك أنها سارت به إلى دار التمثل بعد أن اشترط عليها أن ينجني نفسه عن أعين شهود الناس ويحس بحيث لا يراه إنسان ، قائلا « أسا لا أريد أن يراى الناس هك ولون لي الدنيا عما فيها » . ولكنه أنفق وعما من ذلك أن أرخى السرو رنى لقوم روسو ولكهم لم يخلوا به كثيرا فأظهر أشا «عصب وقصى لينة أسفا مكتنيا ، ولم يعه إلا كمر الكلام ومصيص يقول - ولم رن من عقيدة السدة أن عصب روسو لم يكن لرؤية القوم يباه وبما نقمة اجتماعهم به جميعا لبروه وأسماء على ذلكم البطل ! لقد حالط دمه سم الأناسه وتقسيم مؤاده برية والوحشة وسرم بالناس والاكنتاب والإطراق والهم ، حتى تسبح لا يطبق عشرة إنسان . وكان رجل من سدة برية يتردد إليه ويجالسه - كما به مسرورا بحديثه ، مبديا له «صدق آيات الوداد والنولاء ، فحذاء دمت يومه جمه في أسوأ حد من نعم والاكتتاب بلا سب عاهر وبسما الرجل في جيه من ذلك المظطر لعجب صرح به روسو وعيابه تنهات عصبيا » « سيدى لا - خلدك أنك تستطيع أن تموه على سب ديارتنت هذه فأني أعلم به منك - عد جحت الآن تندجنى . سط مصالى وآلامى ، وتطر أى عيش بكذ الكبد » ، من حال شديدة أقسى ؟ وكيف أنترق وأنترج ؟ وماذا أدرك وأنترج ؟ فليكن ذلك يا سيدى ، وهك مرجى على البار فاطر بها عبر العاقبة ، واستمع من : - قصة اللوس . نظر سيدى في ذلك القدر ، هل ترى بها إلا رجلا من اللحم - سرنة وثلاث بصلات ؟ وأنت بعد ذلك في حل أن تقول دنت بكل من مد - « فمثل هذا الرجل قد جاور مصابه كل مصاب ، وعدا في السلود كل - ، وأصحت أعماله تلك نواذر حديث الناس وفكاهات سمرهم يلهون به - يحكون منها ، وما هى يهول ولا ضحك . وكللك رجعات المصارع التحدث من دماغه وفته سكرة الموت ، هى مصيبة له وعذاب ، وهى فرحة الجمع المشاهد - حته .

لا نحسبوا أن وقصى يتكلم طربا فاطير برقص مدب كما من الألس

يهو حواء حيرى مريه ( حورى تلود بأطراف الجلاميد ) بلى ماذا أفاده أنهم  
نحوه عبه بالضر والأذى ، وهاجوه وأغروره حتى تمزج من العبط وحس حورته ،  
وحتى جعل يعتقد أن العالم شر والمدينة سواة وحريه ، وأن الدنيا أكبر أعدائه ،  
وقانونها الظلم وتاموسها الجور وأساسها اللوم ، وكان أول بالعلم أن لا يصادى  
مثل هذا الرجل ويستنزل عقابه ونقته ، فيصبح معه كما قيل :

حداك إلى الحين حتى اشتقتى عليك واسبى فى عورتى لمخدر  
لقد قدر العالم على إلقاء ذلك البطل إلى الأسطمة ، وعسى اتحاده أصبحوكه  
بسحرون منه كما يسخر بالبله والمجانين ، وعلى إجماعه وتركه يتعذر من  
السفب كالوحش المسحون . فهلا قدر العالم على معه من إصرام الثورة ورتشعال  
الأرض براتضى ولقد وجدت ثورة ألمربية يجيها فى شابات روسو ،  
وقد أحدثت آرزوه الشهية بالجنون فى أمات المدينة وتفصيله عيشة المتوحشين  
على عش السمينى ، حوروا فى فى إحاء مرسا وعمره ، وب بعد أن سار  
ماذا حسى العالم وملوك العالم أن يلغوا من ذلك الرجل ومادا يصنعون به ؟ هذا  
سؤال نهى ، ويعنى العالم ، تعنى ملوك الأرض بجوابه ، فاما ما يستطيع روسو  
أن يصنع بالعالم وملوكه ، فذلك يا للأسف وضح بين ، يضرب أعناقهم

\*\*\*

كان من أصحاب المحارب أن ظهر فى القرن الثامن عشر - قرن الكفر  
والضعف . بين رجاله الذين كلهم تكلم وتصنع كأنهم قنايل خشب وعرائس  
لورق ، بطل كبير فى رد صلاح حفير يحمل العنس ويسحب نحرت ، ألا  
وه روسوت - بر الاسكوتلاندى ، الذى جاء فى ذلك العصر غفر كاتينوبوع  
الشم نمرت وسط السياسس المللى ، أو كالمثقة الررقاء فى حبه تشيد ، أو  
كمطر سماء وزيتها علال سقف القصر المدخترف ، به كند خوم لا  
يعرفون من سماء الله ونجومها إلا صورها المقلوبة بسقف دك تقصر ،  
أو مت تملو بها منه من الأشكال الاربعة<sup>(١)</sup> . هيبس دس فى

(١) التى يسمها بالنامية = قصورايح »

وبعد كل ذلك فلا يستعجل بالفتور بل روسو هنا ، قد عمد نحو الحقيقة فى

عصور اناطل بلك الكتب التى كتبها - العقد الاجتماعى وإشادته بذكر الطبيعة  
واحبة نهجه الطبيعية ، وكان يؤدي بذلك لقومه رسالة نبى حسب طاقته  
ومعه زف ' ومن العصب أنه كان فى مواد روسو هذا وسط هذه العصورات  
وحسات ، والحق الذى كاد يكون جنونا ، جنوة من التور الإلهى . وما ذلك  
لا والله عد آثار بعد تقادم عهد من بين ذلك للكفر والجحود والفسوق ، شعورا  
هوذا فى مواد دلت الرجل يوحى إليه أن هذه الحياة حق - وأنها ليست بمكرية ولا  
مطربة من الظريات ، وإنما حقيقة عصية هائه . بديك أوتحت إليه الطبيعة ونمرت  
أن بعد غ فصدع . فاذا لم يأت قوله محكما بلعا بله جهه لمحتهد . إن خطابه  
وشوده وسرقته الأقمشة ، وشروده فى الافاق وبوسه وشقوته كل هذه ايات  
الحيره والدهشة ونترح اننى تنهر رجلا حمل من الأمر ما لا طفة له به ، وترك فى  
يعمل طامس الأعلام لا يعرف كيف يهتدى فيه .

أما مكانه فى الكتابة فمقدور فوق قدره . وعدى أن كتاباته كعقلة مريضة  
وليست من النوع الذى أسميه صخا ، وإنما يمار روسو فى كتاباته بتعلب  
لجينية والمادية ، وبلك هى التى نعينه عسى تصوير صورته المنقصة بالتحرف  
الحجاب ونكسها صور خلاف كراتم بصور الشعرية بما أبدعه عقل شكسبير  
أو ( جيتا ) كلا ! ولا كتصويرات ( والتر سكوت ) ، وكل من نظر فى بدائع  
هؤلاء معهم ، عرف الفرق بينهما وبين مصنوعات روسو ومن رمى على منواله ،  
عرف الفرق بين الجمال المبر والكادب ، وظل جدبرا أن يفرق بين هذا وذاك ما  
عاش ، فإنه فرق كالذى بين نور الشمس ونور المراسح الصناعى .

لقد تبا فى جونسون ماد يستطيع الطفل أن يقدم إلى العالم من الخير ، وعما  
كل ما يحبه من الكاره والآفات . أما فى روسو فلتسير أى شر وصبر وسلاء  
قد تصحب ما يهديه اسطل من الفصح والخير . والحقيقة أن لو نصر إلى موقع  
روسو من التاريخ ، لرأينا مشهدا جنلا ومظرا هائلا . ولشد ما أساء العالم إلى  
حسه بإسائه إلى ذلك الأصل . وماد فاده أنه شروده وتركوه بأوى من اعاقه  
بلى أسطحة المنازل يحدق به من همومه وأحزانه شر صحابة ، وبطيف به من  
عور و مكره أعس حبط . سرب طريدا عجا من عمار إلى كهف ثانه بريح

وسط تلك الصور والأكاذيب ، انزعج لهم سقم المكاد عن سطر السماء والكواكب  
مدهشوا ، أو فملكهم حيرة ولم يلموا ماذا يفهمون من ذلك للشهد وملنا يقولون فيه .  
وبعد أن طابت بهم لطيرة أجمع رأيهم على أن هذه السماء وعمومها الباهرة ما هي إلا  
من قبيل تلك الصور والأشكال التي اعتادوا رؤيتها ، جهلا منهم وصلة وعماية . وماذا  
ترجو من أناس يحتم الله على قلوبهم فهم لا يبصرون ، وضرب على آذانهم فهم لا  
يسمعون ؟ هو السماء ! ليسما تلقى به القوم هدية الله إليهم — ذلك الظل الخليل ،  
ويش منزلته بهم وجواره فيهم ! ولا أعلم رجلا تلقى من الفين والوكس ، والتعس  
والتكس ، ما تلقى روبرت بارتر ، فيأله أي جوهرة كريمة نبذت بأكتاف صحراء ،  
وأي دوة مكشوبة ألقيت بكف حرقاء ، وأي بسل صواح نقادته أبدى الأطفال ، وحس  
كريم تناشيته أطفال السفلة الأندال !

أصاحبوني وأي قضى أضاعوا ليوم كريمة وسلاخ نعر  
وكان أبوه صانعا فقيرا ، وقد حاول جملة أشياء فخاب فيها وما زال من عيشه في  
عذاب دائم وبرح مستمر ، وقد حدثنا بارتر فقال : « كانت ترد على أبي طلبات  
العماء يتقاضون ديونهم ، فكنت تحب فنتسا وتستدب دموعا — دموع الوالد  
الكلود المكشود المعنى المذهب ، وروح الخلة الصور ، وصيتهما فيهم بارتر كان  
لهم الله . لقد صافت عندهم الأرض عارحت ، وحنهم مشارعها العدة وهي حل  
سباح سوراد ، ومنهم مرتعها الحصية وهي طلق حلال لكل مرناد . تأمسا — رحكم  
الله — في قوله : « كانت رسائل الفرما تستدب دموعا » أي مشهد حزن ومنظر  
ألم ! وأني ما رلت أرى في والد بارتر صامتا وشاعرا معهما ، ما كان له لولاه  
لكون ذلك الشاعر الناطق والبطل الكبير ، وما يدل على فصل ذلك والد . شهادة  
معلم به حيث يقول . « لقد حنت مدينة لبد وحضرت بها نوادي السرة والأعيان ،  
فلا والله ما لذ أدنى كحديث والد بارتر ، ولا نعمت فيها محطس كذلك التي أمتعتني  
منة حور مائدة ذلك الصانع المسكين » وقد كان في الحقيقة مسكب معص الحباة  
موتق موارد العيش حامد أخلاف الرزق ، لم يصادف نجما في السبعة المئذنين التي  
رزقه الله ولا في أي شئ غيرها ، فكان بينه وبين الدهر حروب لا تنتهي ، كان  
لمحوب فيها أبنا ، وسوق لا تقض كان الخاسر فيها دائما . ولكنه ثبت في ذلك

الحرب طول عمره وما كان مه فقط حصة ولا مرة ، فإله من كريم باسل أيد الركن  
ثابت الأس ، لا تهيل من جانبته الحوادث ولا تخون من فطرته الكوارب والكوارث ،  
جهرل يغضى على الأقاء ويردد أنفاس الصعاء ، وتصيفه التنازل والكرب فيقربها  
الصمت والسكران ، وتهم المصائب أن تلتهم فيلتهمها ويجعل لها صدره الرحب قبرا  
لا تنش دفته ، ولا ترد ديعته :  
معازة صبر لو تطرق لم يكن ليسلكها فردا سليك المقاصب

\*\*\*

حطبه إذا ضاقت بلاد بأهلها بطل الصعاء الرحب في صدره الرحب  
بإله من بطل يناضل كتاب الدهر مستورا عن الأعين ، لا تسير عحاسن ذكره  
جريدة يومية ، ولا تطير روائح خبره أسلاك برقية ، ولا تقيد نوافر محمده مصاب  
الشعر ، ولا تغلق غرائب همت شوارد الشر ، ولكنه لم يذهب عمله سدى ، ولا شئ  
في العالم يذهب سدى ، نعم لم يصح من هذا ولله ! وأن يذهب فلها روبرت بارتر  
سليبه — وسليل عدة أجيال كلها أمثاله .

نقد حرج سارر إلى هذه دسا محمود بنكره والشاند ، بين سوء حال وسو  
تعليم وكذ ونصب ، يجلس الطلم من ساعات الكدح احتلاسا ، ويسترقى الطرق في  
كتب المحرر ستراف ، ويكتب بلغة ريمية مخوبة إلا لإسيم صغير من السدى ولد  
فيه . ولو كتب ما كتب باللغة الإنكليزية الشائعة ، لما شككت في أنه كان ينال إجماع  
أناس على أنه من أعظم رجالات . وإن كان فيها حمل ألوف الناس على معالجة لعتة  
الصعبه رستمح علاقتها عما ودعت ، وعص ختامها عما صمت . فبيل قطع عسى  
أن هالك جوهرا مكنونا وسرا مصونا . وبعد فقد أحرز إقرار الكتيرين بالفضل  
واعتراهم بالقدرة والسبق ، وما تزل دائرة ذكره في اتساع ، وصوت صيته في  
ارتفاع ، وقد شرع الناس في جميع أنحاء العالم سكسوني حيث صارت الروح بلصة  
بكتيرة ، يكررون أن من حصر ما أُنجمت الثروة البريطانية ورجلا فلاحا اسكوتلاندي  
نسمه روبرت بارتر . نعم ولا حرج على إن قلت : إني أرى في بارتر هذا جوهرة  
كريمة بريطانية ، أبدى الله صفحتها ورجلا رواعيا وبهجتها ، عني حين لا عهد للناس  
بالجوهرة — نعم جوهرة هي على لآلهها ووقدتها أمتن الأشياء وأصلبها ، كالحجر

هم بهما سواء في قوة البدن وقوة الروح ، كلاهما غليظ الرقة شديد الكثرة<sup>(١)</sup> ، كبير النفس ضخم القوام ، ولكن ميروبو أكثر صخباً وأشد دفعة وثقلًا بالقطرة والشاة ولذبة الفومس . ومزية ميروبو بعد هي الصدق والعقل ، ونفاذ الرأي وحدة الختان ، وكل ثقله حدير أن يحفظ ويحتل ، وما كلمته إلا طعنة الرأي في حشا للشكل ، ونحة يرق القين في دحي الشكل :

ألمسى صوفى يهدى لك به لدى الخطلة العباء القمام  
وإذا بهاد الحوادث بالسرأى أصصاب الصواب بالإلهام

\* \* \*

ألمسى يرى بأرل طرس آخر الأمر من وراء العيسب

\* \* \*

وكذلك كان بارنز ، وكلاهما كان جياش الصدر عراجل الأهواء والشهوات ، طورا تعصف عصف الجباب وتارة تخطئ من النسيم ، وفي كليهما العارضة والبدئية والرح والصحك والمكاهمة ، والقلق والنشاط والتوقد ، والعزم والهمة ، والصدق والصراحة ، والجد والإخلاص . فهما من تحت واحد في الكرم ، وإن تشعبت بهما بعد ذلك الأشكال ومن جواهر بهبه في السبل ، وإن تنوعت بعد بهما الأغراض والأحوال . فلو أن بارنز شغل مكان ميروبو في الحكومة والسياسة لأحاد مثله في كليهما . ولكن شجاعته العتيدة كانت بالأأسف تصرف في أمر مهومي الضائع في خليج سولواي بذلك الحمار الشمالية . وفي السكوت عن كثير من العصب ، حيث كان لا يمدى الكلام وإنما احتقن الأعبرس . ولو صادفت تلك الشجاعة موضعها لأجست الدد المنصام في الماطرة ، واستحقت قول القائل :

كم حومه للخصب فرجها والقوم عجم في مثلها حرس  
شك حشاها بخصه عس كأنه منه طعمة حفس

ولندت تلك الشجاعة لعيون المأطرا في تدبير الدول وتنظيم الممالك وبصلاح شئون العالم . ولكن القوم — أعنى الحكومة — قالت لبارنز قول مويخ : « لست

للتفكير إما أنت للعمل » مكد — قالت له صمد — « لا حاجة بما إيل قوة المعركة — أكبر قوى البلاد في هذا القرب — وإنما نريد منك أن تمسح الأراضي ، ولسنا لغير ذلك نريدك » حسن والله هذا وحسن ! حتى لكأن قوة التفكير ليست في كل آن ومكان أهم ما تحتاجه الدنيا أولس شر الناس هو الرجل الذي لا يرى له ولا تفكير عده ، ولا يرى وإنما يتحسس ويبحث ويتخبط ويهتد حقيقة الشيء الذي يؤوله ، ويطل حائرا مصلا لا خير فيه ولا نيرة ؟ هذا هو شر الناس وهو الآفة واللية . وعسى قائل يقول . ما بالك تعلم شكرك وبمك عن ذلك ؟ أما تعلم أن ذا القوة قلما مجموع من مجال إظهار قوته ؟ » نعم ودمت نصر يعبه رابح . وإذا كانت الشكوى قليلة الحد فما ذكر الحقائق بقليلة ولا يسعى إلا القوم بأن استضاء العالم الأوربي عن مثل باربر والثرورة العرسورية على الأبواب ، لا يدعوى إلا إلى المحزن والأسف .

وبعد فاهم صعات باربر الإخلاص ، وهو نصا أكبر مرابا شعره وعيشته ، وما فقيده الذي ينسب به محجود تصورات زبهدت ، وإما إحساسات نجيش محاضره وتور بوجدانه . وسر ذلك وسر فصله في جميع أركان حياته هو الحق . وحياتة بارنز هي ما يمكن أن نسميه رؤية عرة سداها حق ، وجمتها الإخلاص . ولكن الإخلاص المر الوعر ليس القاسي ، ولكنه إخلاص حوى تأثير يساور الحقائق ليروضها ويقادها . ومن ثم ترى في جميع الأبطال روح التوحش والسطوة .

عبادة الأبطال — لقد يعربا عن شفاء أديك الكتاب الأبطال إجلال بعض الناس إياهم . ولكن أي حالة عجيبة وصل إليهم ذلك إجلال ! أما إن في ازدهام خدمة الصادق بياب غرفة الجلوس ، يوهجون الآذان لاستراي كمة من كلام بارنز لإجلالهم منهم لبدك البطل ، وإن كانوا بذلك لا يشهروا بها . وقد أوتى جونسون في اللورد بورويل أحشع محرم ومعصب ، وصخر أنه لرومو أشهراف اللولة وأمرأ يست الملك يودونه في عرفته المحقرة وحنون مه رجلا نذسمه البواب ، فسطره للبرس وشطره للبرس وأحسل نفاقص . ثم الله عجيب ، وحياتة لا ينشم طرفها ويكر أسعلها أعلاها . فبها هو مجلس مبدن والبراة . وروا أن لرؤساء والقضاة ، إذا هو سمح بيده سطور العباء لسال من القبر . مسكه الدم ، ومر ماثور قوله في هذا الصدد « لقد حملت عيسى بالتفدى في سرال الأمراء على شطر الهلاك جوعا في منزلي » وفي ذلك



عاشية ومعظميه من العار ما فيه . وعلى كل حال سواء سال الكتاب الأبطال منهم من الإجلال أو لم يبالوا ، فهم سائلة العالم يؤدونه ويحكمونه ويعطونه وما رده لا كلمهم لا مرد لها ولا ملغى لحكمها . فعلى الكاتب الطفل أن يفكر .  
 • وعلى الأذن مدعى وتخصص ، وعلى الكاتب أن يأمر ، وعلى العالم أن يصنع ،  
 • عالم بعد أن خسر صريقة الإعدان وشدة ، فربما قبلوا ، وربما حسنة وربما صبروا ،  
 • إما صحو حريف هيبال الصلابة ، بغمم الأوصال ، صيب زبدان الصب ،  
 • مقبول رقيق الصلابة ، وربما سحب صوب على قطر الحزن والحر ، وبكاء تصف النور  
 • صبح أشجار ، صريف معكسكس مقصدهما واحد ، وصور - مشامان واحوهر  
 • مرد ، وإنما سور مفيد وما يرى مفيد ، وبس الأمر الهام هو هذا يسمى الصل والحد  
 • بعده ، وإنما هو صدق كمنته ويصبح بأمره أم لا ، وإذا كانت كمنته صادقة وأمره  
 • حتى لمستفادها ويعمل بها طوعاً وقسراً ، بل لم يكن كمنها ورغبت فمرعه أنوف ، وفي  
 • دينه استغنايا به ومعصية له ، فذلك من ششوسا وراجع الب ، وأما كمنته فذلك  
 • رسالة الله إلى العالم . ولا بد من أن ترتد عن تنبئها ونسوي متى يتوب

و آخر أقول في هذه المسألة كمنه عن أهم حوادث حياة باربر ، أعني وفده على  
 • دسوخ ، وطبل ريت أنه قد كان في راحة جاشه هائل ونسب جاشه ، فصبح فيه  
 • على وفرة رجولة ورجاحة فضه . قد كان في انتقاله من أسنل حصص البؤس  
 • وكرب والطمور ، إلى أشرف درى النعمة والثناء والذكر ما هو جدير أن يظير بلب  
 • في مسرتهم ويذهب عقل في بسار . فما روبرت مارت فلاح مسكن مد ربه  
 • نحس ، أجزته الرهينة سبعة جنهات في العام - فصادت الدنيا في عينيه أضييق من  
 • ساح ليم ، وخرج غنى وجنيه بر - نهجرة إلى أمريكا ، إذ به مد واج رمره  
 • لأشرف والأمراء فامسحوا له بهم أكرم مقام ، وبوعوه صدور المحامل ، وخصرت  
 • ربه عذود مسير به مرفوب كساره . رايات إليه بأعين الجائر ، عاطفات مسوالف  
 • لا ربه وأتلفت نحوه الأعصاق ، والدمجست فيه للعيون ، فقلبه من حديق فطاق ،

(١) سवाल جمع سائلة وهي صفحة العنق . آرام جمع رثم وهو الطلي

و عصره تشبه على كاهن رجل ولكن السر - نقل ، وعلى كل ألف من البصير  
 • بعص البؤس واحده يتعش بنقل النعمة ، ونادر في الناس من له أن يقول :

كل بلوت فلا العماء تطرنى ولا تفتحت من لأواله حزرعا

ولا تعلم في الليل من فوجي من النعمة بمنل ما فوجي به باربر ، ولا نفل أن رجلا

غيره كان يبدى ما أهداه من الرزقة والوقار . فقد لقي ذلك الحاد حصيل لا حرا

ولا رجلا ، ولا هائل ولا ححلا ، ولم يزل من دالة ولا سحده ، ولا من نحوه ، لا

غيرة ، وكنت يشع رست هذا خضع الزهره هو روبرت باربر العلاج للتوصع ،

وب هذه حربة السانية وحده العريض ليس إلا من قبيل نقش هي صفحة الديب لا

ينقص من قيمته ولا يربس ، وب الشهرة ما هي ، لا صياء يرسل على الرجل هيريت نى

رجل هو . ولكنه لا يحسن مه ولا يفتح ولا يشده من صورته ولا يفتح ، غير أنه نأ

فتح يشده نى علأ الرجل كبر وعزور ، ويصغر حده ويصف جاشه ، ونأ يصحه حتى

ينصاع فيعود كالأسد لبث حمر مه كسب حتى ، فصار في هـ . الأمر قد سرع

ووقف ، وجاء عرة زهره في جهة السن . وكى هؤلاء خدعة . عشقه مصحبه

هـ - هـ نوب سب شقوه ومزبه ، هم الذين حرموه سة العيش وحرمو عليه صيب

الحياة أهم كانوا يلتمون به في حقله ، ويحرمون به وبين عمله ، لا يقصده عه

بعد الدار ولا شطط المزار :

فاضحوا ولو كانت حراسان فونهم رأوها مكان السوق أو هي أقرب

قد غنى على صدق الجهد والمجد ، . أن يحرم ذكر نفسه من أذهب

أعده ، وكى أراد أن يعصه عروة ما يسه وسبه فما أفتح ، وهكذا نصب عليه الهم

ولا كذا ومضى وخطا ، وأثرت عه الدب ورسه الأمن والعافية والعطفة وحسن

السمعة ، . أصبح إلا من الهموم والأشجان مسرد ، وب في ذكره والله خرب وحس

وفيه كى . . . . . نوم . فربما لم يكونوا عرفت ، . يسود حصصه

بلى به ما من رحمه كانت به منهم وإنما يهوى وسكته ، ودهست حيدة تعمل صحنه

درة



منه من حق وقول الإمام القول وكان ما يأمر به فهو ولا شك أحكم وليس  
 . . . . . يستطيع أن يجده تحت قبة الملك وهو ما يجب علينا أن نأثمه ونصدق به  
 مع حمد و شكر ، وتلك الحكومة هي "صالة المشوذة والعناية بالصوى  
 قد . . . . . هذه القصوى والله يعلم أن العايات تلعب بالأمل ولا تنس العمل ، ولأهماني  
 . . . . . تنسى وقد الرجح ، يوسعها الفكر في مصمم أروهم فظنير بأجحة  
 الروحاني كل عاياه أبعد مدلا من الثريا . فإذا طلبت تلك نغمة بأفراش العقل في  
 مد ن الحقائق قامت العقبات ، واعتبر حست السور والآفات . وسقطت أحياد أثناء  
 . . . . . صمما صمما أيضا ، حسرى جهنم وإعجيب ، دامية السائد من الجلاء ، مهروبه  
 . . . . . الأعصاب من الأخر والرجح ، وكذلك تنفي العايات ما طعمه إلى سحرة الواقع ،  
 كاحمال في المرأة يبيع العيون ما يبيع الكف

أو كالسماة وكل ما ريت به . وكفدها وكفدها من لاق  
 وناوب استحال علي أن سبع العبادات ، فحسب أن يأخذ في سنها أو يقع منها  
 على مسافة تروى وتسرا . ولا يقل أحد من الناس ما نهي عنه الشاعر الأملاني ( شلر )  
 إذ قال : « المرء تلقاء الحوادث ضعيف . فلا يقس أحد منكم مجهود التور القليل  
 بمقياس الكمال » ومن عايف هذا القول كان مريض العقل بقاء السخط ، مأفون  
 الرأى مصدرا عن الحق ، ولكن لا يسر لمراء مع ذلك أن يحمل العدة نصب العين فيه  
 لا يقوم عمود صلاح الدين والدنيا على أساسه ويستقر به في نصابه ، حتى يسر  
 الإنسان قريبا من العاية ، فإذا لم يتم به ذلك انهارت دعائم الصلاح وتقوض روافده ،  
 ونحن نعلم أنه ليس في العالم بناء يحكمه أن يشيد حصارا فيجعل في أقصى درجة  
 العمودية ، أن أن يجعل الرأية الحادثة سنة ، بين سطح الأرض تسعين درجة بالضبط لا  
 تنقص ولا تزيد درجة . كلا فهما مسحين علما ، فكيف باستحالته عمليا ؟ ولكن  
 إن لم يبدأ بناء يأخذ من هذه العاية بعض الدين ، فأخر مجدها أن تنهار أركانها ،  
 ويهدم جثمها . نعم بدأ استهنا بقاؤون عمودية وضرح مداسه ومعاره ، وحصل  
 بركم الثوب بعصه على بعض بلا نظر ، لا حساب كيفما اتفق ، فأخبر به أن تسوء  
 نعمه ويشقى ، فإنه قد أعصل أمره وسعى نفسه . ولكن قانون التوازن - ناموس

الطبيعة - لم ينس أن يسرى عليه وعلى بنائه ، ومن هي إلا نعمة حتى يسقط هو وينزله  
 فهو - كنييا مشوشا ومعها خرابا .  
 زهد هو أصل كل فقه ، وتاريخ كل ثورة ، وحديث كل انصهار اجتماعي هي  
 "أرمان التقدم والحديث . أجل إنما سبها هو تلك وليب الرجس العاجر وجمعت عشر  
 كلف - غنى رجوس "الأعمال - الرجل المحسوس السائل الدنيا والكاتب ، ونسيت أن  
 هديت دنوبا أو صوره طيبة تستدعي تولد القادر الكف ، وفلست أنه لا بأس  
 عيب - تركم الصور بعصه فوق بعض كيما جاء واتقى ، بلا قاعدة ولا حجاب  
 ورجح كدوب إذ ونيه كان حديرا أن يتحد كل كادوب حث مشه ، ومن ثم نزع  
 فر حاس عمل نصاد مدد الشمس ، تأكل جوفه بحية ويهدم أركانه الشقاء والبؤس  
 ونرى - لا يرس من حث قد اصصرت عيهم أمور ديههم وديهمهم ، والنسود في  
 عيوبه صلوات النفس وحيرة ، فهم يدور الأبدى استهواء ولا هادي ولا مرشد ،  
 ويسطور الأكلف استعطاء ولا ماح ولا راد . رحيمه يمد قلوب التوازن حكمه ،  
 وتسرى بوميس الصيغة ، وهي التي ما عمت عن العمل طرفة عين ، فتور فلا يرس  
 زبح جوبهم ويسقط ساء والبد  
 بن من يفتش الآن المكاتب العامة والخاصة ، يلتقي بها أسفارا ضحاما ومولنات  
 جساما تفيض في موضوع ( حقوق الملوك المقدسة : ومعناه أن كل ملك مهما كان ،  
 هو خليفة الله في الأرض قد ولاه للملك القدوس رعامه حقيقة بمقد مقياس حمى ،  
 بعقدت في رقاب الهباد يبعته ، ورجحت عيهم طاعته ، واستحكمت هي نفوسهم  
 مهابته وخشيته ) . تلك هي عقيدة القرون العبرا ، ورأى آياتها الأول . عبدة دوست  
 معبه في قلوبهم . ورأى بان بيهم ، ومنهبت عمت رسومه وضعت "دهر دلامه ،  
 محمد ب ، تخور سبي فيها أفكاره ، وسخر في جوفها عظام عيوبها ، لا رده  
 . . . . . زولا هوج به محدة ، وضل لاح في ظلم الجهل أنه محب له . . . . .  
 ودوره زور سفل تخمها ثم حوى ، واسمخر صودها ثم حوى ، وكذب له ذنب منها  
 حتى رأى مع ذلك لا يرى من كرم الضم وشرف الشمة أن سمع ذلك ضل - سر  
 . . . . . زوحده ناهج وشتمانيا ، فحسده هركته ودهاه حربه ومضجحه . . . . .  
 . . . . . لا محاب عاوي ولا ترع . أنه لا حسد سأل سركه . سرور . ومحب . مضرب

غير أن نقسّر أجراءه ، ونفحص أنماجه وأرجاءه ، ونقلبه بطننا لطهر عت نجد في ثيابه معنى من الحق ، وأن فيه لحقا يجدر بنا ويسائر الناس ذكره . أما قول هذه المؤلفات : « إن أي إنسان تأخذته عينك من بين الناس وتمسكه يدك فتجصل عسى رأسه صفيحة من الذهب مكللة بالياقوت والبرجد ، وتسميه ملكا يرسل الله عليه في الحال شعبة من بوره ، ويملأه بروح من عبده ، ويعمر فؤاده بأسراره القدسية ، ويؤهبه في التوا والاحطة لأن يحكم عليك حسبما تقتضى مشيئته ، فذلك حق وعرامة ، وحسبه ما أن تتركه يلى ويعمن في أحواف كبيه ، أو بعبارة أصدق أحواف قبوره . ولكني أقول - وهو ما عساه وأراده أرباب مذهب .. حقوق الملوك المقدسة .. - وهو أنه يوجد في الملوك وفي جميع العلائق والمسئوليات والسلطات التي تكون بين الولاية والرعية ، إما حق مقدس أو مكر شيطاني . لا بد من أحد هذين إذ أنه من أفحش الخطأ والكذب ما قاله القرن السالف الكافر ، من أن هذه الدنيا آلة ومكية ، بل إن في الكون لإلهها ، وكل ما يجري بهذا العالم من حكومة وإل وطاعة رعية ، بل كل عمل وحركة لا بد أن يوء إما برضى وإما بغضب من الله ، وأشرف ما يجري بين الرجل والرجل هو لا شك الحكومة والطاعة . والويل لمن يطلب من صاعة الناس ما لا يستحق ، ولمن يأتي أن يؤدي من الطاعة ما أوجبه الله عليه لرعيه أو أمير . بذلك يجري قانون الله المقدس مهما ست شرائع البشر ونهجت نواويس الحكومات . نعم إن في كل دعوى يدعيها الرجل على أخيه إما حقا مقدسا أو منكرا شيطانيا .

هذا أمر جدير بالنظر والتدبر ، وعظيم أن نذكره في جميع شعوب ولا سيما في أمر الرعامة والولاء أهم تلك الشئون . وعندى أنه شر من مذهب « حقوق الملوك المقدسة » هو ذلك المذهب ، إن العالم يدور على محور المصلحة الذاتية وتدبير الثروة ، وإنه لا معنى هناك مقدسا في تعاشر الناس وتحالطهم ، وإنني أكرر عليك قولي : « إنك لن تأتي بالملك القادر الكفء لأجعل له على حقا مقدسا » . ونعمل دواء أدواء الأمم في هذه العصور هو أن يوفقها الله بعض التوفيق إلى إيجاد الملك الكفء ، وأن يهبها طاعته والانقياد إليه إذا وجد . وإنني أرى في الملك القادر - هادى الأمة في سبيل الأعمال الديوية - خلة الدين كذلك ومعنى القسوسية . فهو أيضا هادى الأمة في سبيل شئونها الروحانية التي هي مصدر الشئون الديوية . فملكك لذلك رئيس



الكسبة أيضا . وسدح بعد مذهب « حقوق الملوك المقدسة » يلى في أحواف موعته أو قبوره ، لا توقط صداه ولا نستثير هامته .

وحقا إن التماس الرجل الكفء والحيرة في ذلك لمن أشق الأمور وأجسمها ! وتلك هي أمة الأمم في هذه العصور والأزمة الحرجة . هذه أوقات ثورات ، وإنني أرى بآة شئون الدنيا قد طرخوا المقاييس والمعايير وأغفلوا قانون الثوارن ، فانهار الساء بهم فإذا هم والساء خليط أنقاض مشوش ! وليست أسورة الفرنسية هي مسد هـ التهيد والنسقوط بل لعبها العاية والنهاية . ولا خطي . قد إن مسد ثلاث قرون أي منذ نهضة لوثر ، وكان داء العالم إذ ذاك تحول كنيسة الله أكنوبة . ورواحتها وصداقة وجيبها إذ تدعى لعساها القنطرة على عمران ذنوب العباد بالسره والسيار . وكان هذا مرضا في الدين - داء في الروح والجواهر . ومتى أدوى الجوهر واعتل الروح فأحل بالجسم ولطاهر أن يفسد ويذوى - ثم يزداد فسادا ومرضيا ، لقد كان لإيمان قد فنى وباد ، وقاض الشك وتمشى الجحود والإلحاد ، وطرح البناء معياره ومقياسه وقال لنفسه : « أي قيمة لقانون ثوارن ، وأي فصل في الحساب ونظام ؟ صاع الحجر على أخيه كيفما جاء وافق ، ولا يعبك أن تجشم النفس مراعاة قلوب ر حساب ! » وكانت العاقبة يا للأسف كما تعلمون !

وإنني لأتيسر اتصالا طبيعيا والتامًا تاريخيا ما بين مقالة لوثر إذ قال للباب « أنت يه الملقب نفسه « البابا » إهكا ورورا ، ما أنت بأب في الدين ولا والد لنا في الله ، إنما أنت أكنوبة يعجز اللسان أن يجد بين الألفاظ المهذبة الرفقة ما يبقى بعثك وصفتك ! » وبين صبيحة ثورة الفرنسية إذ علا ب صبح ثور في قصر لإمارة يصيحون « إلى السلاح ! إلى السلاح ! » . ولا يحسب الحاسيون أن هذه الصبيحة لمرجحة جهمية كذب شيد حمير أو بطلا . لا يكاد كانت صوت لامة سائمه هبت من رعد كد حقه كساء الكابوس - نعم صوت الأمم هبت من حالة بين الرقاد وموت فماتت شعرا . حياة شيء حق ، وأن عمالة الله ليس بمكية تسان بالندهاء . كروا رعيوم المصداق والردصه . عهد . حسب فارس صبيحة جهمية - وبه . حسب جهمة لأن صعد عليك وعلاه حكاه . يكون كدبت ، فقد حسب والله . قال لا . لا حسب . سيم . وسبقها . من إله . حسب . لا . لا .

لنا من عودة إلى الحق ولو جرت عليها أهوال ثورة فرنسية ، وحلت على وعوسنا شر «عطائع وأشنع البلاء» ، هذه هي الثورة الفرنسية - هي كما ترون حتى ، ولكنه حتى ملغى في شواطئ المحيطين ولنفي جبهه !

وكان قد ذاع لدى جماعات كثيرة من أهالي إنكلترا أن الأمة الفرنسية كانت في تلك الأوقات ( أوقات الثورة ) قد حنت ، وإن الثورة الفرنسية كانت صفتا من الجنون تحولت فرنسا وفرنسا عتيقة من سكان المعصورة أثناءه مارستانا . ذلك كان رأي العدد العندد من الإنكليز ولاعتنهم . إن الثورة كانت حريق جنون شب ثم جمد وأصبح الآن في عالم الأحكام والأحكام ، والنقص والمعائب ، والنوازل والعراقب !

مست شعري كيف وقع الثورة الشدية - ثورة ١٨٣٠ في موس هذلاء الفلاسفة الذين حسبوا أن الثورة الأولى كانت ثلاثة جنون وبيضة الديك ، وإن حديثها أصبح كحديث الحرافات لا يكاد يصدق ؟ مدد كان شعورهم جيسا رأوا فرنسا قد نارت ثانيا إلى السلاح تكفح كضاح لمستعنت لنذبح وتذبح ، وكل ذلك لتقيد الثورة الأولى وتخط آثارها وساتجها ؟ معه إن أبناء رجال الثورة الفرنسية وأحفادهم يبررون عمل آبائهم وأجدادهم ، ويأتون بالإتمسك به ويصرار عليه هم لا سرأون منه إلى الله ، بل يعملون على حفظ أثره ، واستتياح ثمره ، باذلين السماء والأرواح في سبيل ذلك .

ولعل في هذا لمحدث ( حادث الثورة الثانية ) أكبر مصاب لأولئك الفلاسفة الذين أسسوا مبدأهم وشافوا مذهبهم على أن الثورة الفرنسية قلعة جنون تروا منها فرنسا ، ولا يعود بها الزمن أبدا ، نعم إن في ذلك لمحدث نكبة لأولئك الفلاسفة ، حتى لقد داب قلب الأستاذ الألماني « نيور » كسما وتقطعت نفسه حصرة ، لما بلغه نبأ هذا المحدث ، ثم اعتل على أثر ذلك وقضى عليه قتيلا بداء الأيام الثلاثة ( هو اسم ثورة ١٨٣٠ ) وما حكما تموت الرحال - ولست أشبه هذه للموتة بالإموتة الشاعرة الفرنسي الكبير ( راسين ) الذي قته أن لوير الرابع عشر تجهه<sup>(١)</sup> مرة ورمقه شزرا ، هيا ليت الأستاذ الألماني علم أن الكرة الأرضية صلبة جلدة ، وأنها ظالما تحملت صدمات الدهر وصرجات النقاء ، وأنه ليس من العبد أن تعيش وتبقى وترى دائرة

حول محورها بعد ثورة ( الأيام الثلاثة ) . ولقد جاءت تلك الثورة الثانية لتعلم الناس جميعا أن الثورة الفرنسية لم تكن قط قلعة جنون ولكنها ثمرة حرة من ثمار هذا العالم - عالم الله ، وأنها كانت حقاً بحسن بكل إنسان أن يعلمه حقاً لا باطلا ولا جنونا .

وحقا أنه لولا الثورة الفرنسية لأشكل عيبا ماذا يصنع بعصر مثل ذلك العصر اسعور ، ولعميت علنا وجوه الرشد ، واستهتت معالم القصد وكما لا محالة هانكس . وبسرحب دائره الفرنسية ترحاب المسرفين على الفرق بالصخرة العوس . وهل كانت الثورة الفرنسية إلا كدندك أو وجب صدقا ورسنة حقاً ، وإن راعت القلوب وأزعجت الحرافط في عصر تصنع وكذب - رسالة تبي أن للكون سرا ، فإن لم يكن إليها فهو إذن شيطاني ، ولكنه سر على أية حال . وأن التصنع والعش ليس محس ، وأنه لا بد أن يتحور حق ، وبلا اشتغل العالم تحت ما يسره من أبواب عش ورسوم وباطل فأحرقها . ولست شعري إذ احترفت فصارت « لا شيء » ، فليس كنت قبل ذلك إلا « لا شيء » . معم بالثورة الفرنسية انتهى تصنع والعش والبطل الأحمق العار ، وسهى شر كبير ومساد جهم . والثورة الفرنسية رسالة الله ، بل الأرض صدع بها صوت من الرعد ، أو صرحت به منحة إسرائيل في الصور يوم القيامة ؟ فمن أسرع إلى اعتقاده أصاب عيرا وجهه العقبي ، ثم لا طمأنينة ولا صفاء ، ولا أمن ولا سلام أو تعرف هذه الرسالة حتى ليسر . وقد كد الرجل وسط هذه الأبطال والأكاذيب والأخفايل جديرا أن يصير ويتنظر - جديرا أن يحضى في شأنه ويعى بعمله ، ويعلم أن القلم العلوي قد جرى يحكم الهلاك والموت على هذه المربقات والشعور ، وإن هذا الحكم الصارم قد كتب اليوم في الأرض بعد أن صدر في السماء . لقد كان الرجل المخلص جديرا أن يرى ذلك ، فيعبط ويصير ويتنظر ، ثم هو من وجهة أخرى إذا أبصر ما قد وقع فيه العالم من الأزمات والشذائد ، وصيحاته المتوالية يطلب انفراج الأزم وتراخي الخفاق ، كان جديرا أن يتصرف بحكم هذه الصلوة عن شأنه وعمله إلى شئون أخرى ، لا سيما وقد نال السيل الربى وبلغت الروح التراقي . وعدى أن أسس المقتاتق في مثل هذه المحدثات ( حوادث الثورة ) حتى حقيقة « عادة الأبطال » فإنها أحمل العزاء وأحسن السلوة في هذه

وبعد فليس هذا المذهب إلا تحولاً وانتقالاً من الباطل إلى الحق وليس هو باخترى، فإذا رآه (١) أنه الحق يأكسه فهو إذن باطل محض - فيجعله الشك الأعمى يحاول أن يكشف عماه ليصير، فإن عبادة الأبطال موجودة في كل زمان ومكان. وما هي قاصرة على إجلال الملوك والسادة ولسوء الفاعلة، بل إنها تمتد من عبادة الله إلى أخط مواطن الحياة العملية. واعتناء الرجل بأخيه بالسلام ما به يكسبه ومنه فبر من قبل عبادة الأبطال، وانتزاع بيان في كل إنسان حقيقة أنه روحاً من حقيق. وإن كل امرئ مظهر لجلال الله. وعسدي أن الذين يُبغضون بشرت النجيه وذلائ الملائمة والاحتفاء التي تحمل الحياة وتزينها هم شعراء وادب مقبلة والمعاشره ليست يكذب ولا باطل، والولاء والإجلال المنفرد

بشرف على العادة لا يرب من الممكنات بل من الاحتمالات  
وإنني أقول به وإن رأيت كثير من أبطال العصور الأخيرة قد ظهروا في النور ككائنات نور، فهم بطورة الله أساء عدم لا ثورة، واشتغالهم بضرورة عبادة ومصيبة. إذ يرب أحدهم هي العنة وكأنه هو صيرى، وم هو بموصوى ولا كانت الموصى فقد من شأنه، ولكن جوا من الموصى يحيط به، وعقبات مها لا ترتفعه وتعزقل مسعاه، وهو عبد الموصى وخصمه، وإنما النظام عمله وصيغة كثر، وما حق الله الإنسان إلا ليصلح لفسد ويتم الشعث، ويعمل في شيء مختلط فيصه في أيدع قالب من النظام، ويعيه في أكمل صورة من السبق والإحكام. وإنسان رسول النظام، أو ليس كل ما يصنع لمرء في هذه الداء هو حقيقاً وتعليماً، فبحار يعمد إلى الشجر المبيط الأشعث فيعم تحته وتقبضه، وحسن تقديره وتصويره، وتبذل حرصه وصقته، ويقبه في أعجب شعور خصور، وبيرك دفع ناس ووضعه في مجتمع، وقد خفف الله جميعاً اعتناء الفساد والموصى. وبه من اللية عسا جميعاً، سوء الخط أن يصرف عن السبق والتبليغ، إلى التقوى والتخطيم، وسوء الخط في ذلك والنية مصعفة على الرجل العظيم الذي يكون حبه للنظام على قدر عظمته

(١) ربي فعل ما من سبي للسهول والفسير عائد على المذهب

وأما الوجه الثاني في مسألة نيليا وتسيرف وسواي ثورة هدمت جميع معادرتهم وحقائهم وأسمعهم، والليل وسجل أسمعت لنا هذه الحقيقة، فإن هذا هو أصل الأبطال، وما حنا عليه من إجلالهم حنا برسولون إيليا - هذه به بعبه بشرت عليها كعبه حدة ووسط عهاب، مدحان وعاهف النقع، وأما كل التهادن وسجائر

وإنني أسمعت نوار الثورة الفرنسية كسمة «إجلال الأبطال» لوقعت منهم مزيج مكاتب والإتكار، ولأرخوا دورها حجب الآذان وقادوا حديث عرافة. فقد كد إيلاء مدحها ور فصلاً عن عدم احتراهم الأبطال لا يصنفون بوجود الأبطال، بل لا يوزن أن يحيى نرمن يطل قط، وكأهم صواب أن يكون بعد أن غور مكينة، ورضى ويلي حصى صعب عن إخراج الأبطال ومنه صله منهم، وإن صبح أن الكون قد أصبح كملك عابثي قائم له أوزي لك أن تكف يدوه عن إخراج الرجال، وإنا لا نقل بضده ليس فيها «تحف والفتاوى». ولا رضى: أحسنه من فيها الحمر والديهاج، نوب لا حصار لا سمي ساعن. أما مذهب «حرية المساواة» فقد كان من نتائج تلك الأحوال، فكان إذ ذك شيد عبيها فسيث لا خمس بي أن أزد عليه، ومعنى «الحرية والمساواة» هو هذا «تأيد قد استحال وجود العظم، والأبطال، فسماعه الآن أن يستحق عن إيلاء، إلهاد النور، وطماجير العبيد، فتساويه في صوته القادر وحسن القيمة وحقة لأحلام وعجز الأراء، ماد: قول في هذا مذهب وساء أقباه إلا بعصر نوبه والسكوت عنه كحقيقة كذا. لا بد منها إذ ذك، ولا مفر؟ ذهب ارباب ذلك المبدأ إلى أن ساس أحرار مساوون. وإنه بين نرحل أن يسود ويتقود ويسلط، وحقائهم على ذلك. عدة الأضال وأحمر مستعيز ورمعه و«قادة» فده طهر فمادهم ما هم. لا كتاب رضى عن فحسب منهم ما شاد، فقد حنسا من هذا الطرش مراراً حتى فست سقة به، وصال صحتنا حتى لا نصالح، وإن دس مجار «سود» إنقذه هي لأسوي كلب يوجود يذهب لسراج. وبه قد يصبح الأمور وسمسمه إحال لا دهم، أن لا أجد «عوم مهاد» لأراء بل غنرهم منها. وأرى أنها كانت سوره ذلك العصر الطمعه. وإن كانت حدة أوعقده

وكذلك نرى أن أشد أعمال الثورة الفرنسية جونا كانت تفسير نحو النظام .  
أقول وليس رجل من أولئك الثوار قد طار في دماغه جنون الحق والظن إلا وهو مدفوع في كل حركاته نحو للنظم منحذب إليه ، وكيف وما حياته نفسها إلا مسيرة نحو النظام ، بل لهنى النظام ذاته . إذ أن الفوضى هي العساد هي الموت ، وما من فوضى تتور إلا ويجعل الله لها قطبا تنور عليه فتتحول بفعله نظاما . وما دام الإنسان إنسانا فيكون لثورة رجل كتابليون أو كرمويل تختم به وتم . عينا والله كيف تكون عبادة الأبطال في أزمان الثورة ضربة من المحال في عقيدة الشعب السافر ، ثم لا نلبث أن تبدو للعيان فلا يستطيع أحد إنكارها ، وأرى « الحق القفس » معناه على وجه العموم « القوة المقدسة » . مادنا حسيت الإسارة والسلطة في عصور الثورة انمحت وماتت ، إذا بها قد عادت إليك في شخص نابليون أو كرمويل ، وإنما هي المظاهر الكاذبة والقشور قد هتكت وأتلفت وظهرت الحقائق والجواهر من ورثها صحيحة خالدة ، وتاريخ نابليون وكرمويل هو ما تنتظر فيه الآن إن شاء الله ، وهو آخر أصناف البطولة كما قسمنا ، وإلى أرى في تاريخ هذين الطغيان ما يعيد إلينا عهد الملوك في طعولة الأمم ، إذ يربا كيف كانت تنشأ الإمارة فخر تاريخ العالم ، وكيف كانت تولد الملوك يومئذ .

## كروموويل - نابليون بونابرت

علم الذين نظروا في كتاب الأبطال الذي وضعه الفيلسوف الإنكليزي توماس كاريل ، وعمره الفاصل محمد السباعي ، وأخرجته للناس مكتبة البيان أنها انتهيا لصا صيرناه من هد كتاب إلى الكلام عني كروموويل وباسيون وبونابرت وأنا لا أقدم سعادته ، ولأن كاريل خير من كتب على بوابع العالم ، وكروموويل وباسيون هم من تبع سويح . أثرا أن سحف قراء البيان بتلك الكمات الإلهية التي خرجت من قلب ذلك لرجل الإلهي ( كاريل ) عن كروموويل ونابليون . قال كاريل تمهيدا للكلام عني كرومويل .

\* \* \*

تجد حدثت في إنكلترا حروب داخلية كثيرة : حروب الوردة الحمراء ، والوردة البيضاء ، وحروب سيمون دي مونفورت - حروب ليست من الأهمية مكان . ولكن حرب الخوارج ( البيوريشان ) كان لها من المفارقة ما لم يكن نهرها . حتى ليحز لي أن أسميها جزءا من تلك الحرب العظيمة العامة التي ليس إلا منها يتكون تاريخ الدنيا الحاضر الصميم - حرب الإيمان ضد الكفر - جهاد حزب الله المتسمكين بالحققة ضد الكاذبة المعجزة العاكبين على المظاهر والقشور . وقد لا يرى كثيرون في حواجز إنكلترا ، إلا عصبة سمة غلاظ مضطام مولعين بهدم لرسم وإزلاف القرب وإزجاج ، وحس بهم أن يدعوا أعداء الرسوم الكاذبة وبعث محمد لهم عدو في أحضرهم الطريق « لود » رعيم الديانة إذ ذلك ، وحققه عليه وعنى فوره 'سند' تشريح الأول و « لود » هذا هو في رأي ضعيف العقل مكند لحقد وما هو أحد شيم ، ويك هو رجل أحقق ، وكبير حقه لمسيح الأعمى مدده والأسود سموت بره ، وهو كباطر مدرسه لا يرى هي العالم ست لا فوسد مدرسته ذرسمها وأزجاجها ، معتقد أن هذه هي قوام الدنيا وعماد الوجود ، وأن صلا تكون موهون بها ، والمحة العظمى والطامة الكبرى

أن الملك تشارلس الأول عمد إلى هذه الرجل الذى رأيه فى الكون والحياة والوجود هو ما دكرت ، وجعله الرئيس لا على مدرسة بل على أمة بدير من شئونها أكثرها إشكالا ، ومن حاجتها ومصالحها أشدها احتياصا وإحصالا ، ويرى هذا الرئيس الشقى المسكين أن تدار ديك الشئون ونصالح بالقواعد القديمة والضمانات العتيقة ، بل يرى أن حاجتها فى إعلاء هذه بقواعد وتأييد أساليبها ، ثم تراه كالأحمق الضعيف يفلع بأقصى الشدة والعنف فى سبيل غايتها لا يجيل رأيا ولا يعمل روية ، ولا يسمح فيها ولا يصغى إلى نصيحة .

حانها فى العنان لا يسمح الزوج - ولا يهرعوى إلى الشرور

هو كما قلت رجل أعشى التعصب أحمق الاستبداد ، يلقى إلا أن يعد قواعده المدرسية على تقوس الأمة - قائلا للشعب : تعيد قواعدى قبل كل شئ ؟ له الله من مستند أحمق . أبى إلا أن يعمل عائم الله بطويل العريض مدرسة ، وبأبى الله أن تكون ديناه مدرسة . وبعد فيعبر الله له أهلا ترور أنه لقي من العقاب ما هو أهله ؟

( وبعد ) فالحرص على الرسوم والأوضاع حميد مستحب إذ أنه من شأن الديانات غيرها أن تلبس الرسوم والأشكال ، ولا مقام للإنسان قط إلا فى الأكمة ذات لرسوم والأوضاع . ولست أحمده فى المذهب الحارحسى ( البيوريتانى ) عريه من الأتواب والقوالب ، وخلطه من رسوم والأوضاع ، بل أعيب ذلك عليه وأراه عورة أخص بالرحمة والأسف - فأما بدي أحمده مه فهو روحه ولابه ، وكل لباب وجوهر فلا يد أنه يلبس ربا ويسكن رسما وقانا . غير أن من الرسوم ما هو ملائم صالح ومنها ما هو غير صالح ولا ملائم . ولقد العاصم بين هذا ودك هو أن القلب الذى يسمو وحده حول الجوهر بقوة الطبيعة ، يحى ملائما لصنع الجوهر موافقا لعرصه وعابته ، فهو لذلك حسن صانع . وما القلب الذى يجمعه يد الإنسان حول الجوهر عمدا فهو قبيح فاسد ، وبأبى لأشبهكم ذلك وسعوا فيه النظر . فإنه العارف ما بين كادب الرسوم وصدقها . بين الإحلاص للمخلص وبين المظهر الساطل فى جميع الأمور والأشياء .

نعم يحسب أن يكون فى الرسوم عنصر صدق وبعث شديد من الحق ، وسأضرب لكم مثلا : الخطايا ، فنانا تقولون - آخركم الله - فى الخطب الذى

يلحن الخطية من قبل إلا أنه سواة وفاة ؟ ثم ماذا تقولون فى الرجل النصح الانسجام تتكلف الاختفاء للصوف والروا إلا أنه آفة كملك وسواة ؟ وإذا كنتم تعلمون مثل هدى عورة وبلية ، فما قولكم فى رجل يأتيك فى أمر من أجسم لمورك ، فى أمر الدين والعبادة مثلا ، يأتيك وقد غمر حلال الدين وروحك وحير لبك وألجم لسامك ، فمالك مطرق حائر ساكت من شدة الانفعال والوجد وفطر الشائثر والطرب ، معصل السكوت على الكلام ، واحدا لسان الصمت أقصح وأعرب عما يكتنه صدرك ويضمره خشاك من ذلك الوجدان العظيم والشعور الجسيم - يأتيت وأنت فى هذه الحال الشديدة فيعرض لأن يعرب لك عن مكتون وحدائك بكلام بعض ؟ ماذا تقول بل هل الرجل ؟ وماذا عدك له بلا العمد والإعاد ؟ لا أبعد - غيره - بلى لينهب ذلك الرجل عنك إذا كان يحب نفسه ! إنما مثله مثل من يأتيت وقد محنتك المون فى واحلك ، فأنت من شدة الحزن ملحم للسان حامد العين ، فيقيم لك استعصالا بشعائر الجهاد مولما من أعاب قدماء اليهود على هنة يونانية قديمة . مثل هذا الفصل والرو والتضع جدير بالقت ولإكسار وهو عير م كانت تسميه لأبناء وشية - أبى عبادة القوالب «عذرة والصورة جوفاء - تلك الذى يرفضه رسوم يرفضها كل مخلص صادق ، وكسبك يحكمكم أن تفهمو بعض بهم أعرض أو شئت أخرج ومفصدهم ، فترون فى الرئيس «لورد» ودنه فى تأييد الكاثوليكية وحوشيتها من تلك الرسومات والإشارات والانحناءات والشعائر - ناظر المدرسة للمصر على تنفيذ قواعده وظلماته لا القسوس المبر لمخلص المعنى الجوهر الذى صاهحا عن القوالب والتشور !

ولم يطق الخوارج هذه الرسوم فداورها بالعمال ، وإنما نعلمهم إذ جعلوا يقولون : لا رسم مطلقا غير من هذه الرسوم . وقد جعل خطبائهم يتلون صهيوات المائر عارية مقفرة إلا من الإنجيل بمحسوسه فى الأيدى - وهل ترون فى الكلمة تخرج من صمم فؤاد الرجل فتصيب حيات القلوب بلا أكمل مظاهر الدين وأجل صور العبادة ؟ وعندى أن أخلص بخلقها وأعراها خير من أنعم الرسوم وأثرها . عد زين الحقيقة متى وجدت فهى الكيفية لنفسها باللباس والكسوة ، ومضى وجد الإنسان الحى كال كفيلا لعنه باللباس - إذا لم يصنها لدى العير



أخذها يله من مواد الأرض وصنعها بكفه . فلما أن نجىء بالثوب وحده فندعى أنه ثوب ورجل - ١ - نحن - أئزكم الله - لا يمكننا أن نحارب فرنسا بجيش مؤلف من ثلاثمائة ألف ثوب أحمر .. ولا نجحز على تقديم هذه الثياب إلى ساحة الحرب إلا إذا كان فيها ثلاثمائة ألف رجل حتى يتنفس ١ وإني لا أزال أقول إنه لا ينبغي للثوب أن يفصل عن الجوهر ، ولا للرسم أن يطلق الحقيقة ويبين منها . وإذا فعلت الرسوم ذلك قام لها أناس فثاروا ضلعا على أنها أكذوبة وزور . وكذلك نرون أن حرب الخوارج والرئيس « لود » لم تكن فى الحقيقة إلا - حرب الثوب والجوهر - حرب الرسم والحقيقة - حرب الباطل والحق - حربا ضرورسا ثارت فى إنكلترا حينذاك واستمرت حقبة من الدهر ، وعادت علينا عواقبها بالنفع الجسم والخير الكثير . وكان الجليل الذى أعقب عصر الخوارج ليس بخلق أن يزن أعمالهم بقسطاس العدل . وكيف نرجو من مثل تشارلس الثانى ورجاله أن يعرفوا أقدار الخوارج أو يفقهوا معانى أعمالهم ؟ وأنى يكون ذلك المحكم العادل والنظر الناقب من فئة كان لا يخطر بأذهانهم أن فى حياة الإنسان فترة من الحق والصدق والمعاني المقدسة ؟ لقد ظل هذا الملك وأوليائه يمتثلون أشنع التمثيل بالمذهب البيوريتانى ( مذهب الخوارج ) كما يمتثلون برجاله - فلو شهدت الحال إذ ذاك لرأيت البيوريتانية مصلوبة على الأعراد كأحساد أربابها . ولكن الصلب والتمثيل لم يبق من مسير قائلتها . لا بد للعمل الصالح من أن تسيير آثاره مهما مثلت بأهله وأصحابه . نعم إنا لنطرح البصر قسرا على آثار أولئك الخوارج ، ونرى الدستور والحرية والسعادة التى تنتبع بها الآن أغراسا زرعتها قرأهم وسقوها طورا بأوعية الدموع وتارة بسحال الدماء . وهم الذين سنوا المذهب القاتل بأن جميع الناس أحرار بالفعل أو سيكونون أحرارا يوما ما - أحرارا تقوم حياتهم على أمن أسلح من الحق والعمل لا التقاليد والباطل ١ هذا وكثير غيره من حسن آثار الخوارج وحليل نعمهم علينا .

والواقع أنه اتضحت مآثر الخوارج هذه وعلت فى النفوس مكائاتهم وضروحت أفئدة النهم عن حواشى أعراسهم ، واستترلت عن أعواد الصلب ذكرى عهودهم وأحدا بعد واحد . بل لقد قدست أسماء بعضهم وعدوا ضمن أولياء الله المصطفين

وحسب من الأبطال أمثال إليوت وهامبدين ويسم ، حتى ليلو وهانشون وفان أولئك القساوسة السياسيين الذين إليهم يعزى ما نعلم به اليوم من حرية البلاد . أيقرو اليوم إنسان أن يلوث بالدم أعراض هؤلاء ؟ وهكذا أصبحت لا تكاد تجد من بين القوم إلا من له أنصار يقومون بعذره ، وشيعة تشيع فى الناس فضله وتشيد له صروح الإحلال والإكبار . كلهم قد برأ الله ساحته ، وجعل فى النفوس مكانته ، وأعذب فى الأفواه ذكره ، وأدال له إلا واحدا هو سيد الجميع وقضى القوم - الملك الأكبر رفع لواء الحق - أوليفار كرومويل . فإنى أرى عرضه لا يزال مجال الألسن السالفة الأظفار المزقة ، وأرى ذكراه لا تزال مصلوبة فى أعمال الجلع وماله من عاذر ولا نصير ، والناس مجموعون عليه بالذم والكبر ، وأنه شريك جيت . هم لا ينكرون أنه كان رجلا كفوا حازما شجاعا مدبرا ، ولكنه عيان العهد فى نظريهم نقض العقيد ، وكان فيه أثره وحشع وغدر ومكر وتصنع ونفاق . حول ذلك بخاد العظيم الملبول فى سبيل الحرية إلى طريق منفعه الشخصية ، بهنده اختلال وأسوأ منها يعتنون أوليفار كرومويل ، ثم بقانونه بالزعماء واشتجوتون وسواه ، ولا سيما بالأبطال يسر وهامبدين وأليوت الذين سلهم ثمار أعمالهم العالية ، ثم أوسع تلك الثمار إفسادا وتشويها .

وليس يعجب أن يكون ذلك رأى القبيح هو رأى القرن الثامن عشر ، والشئ من معدته لا يستغرب ، وما قلنا فى محادم غرفة الملك منطق تماما على الرجل اللحد ، كلاهما لا يفهم معنى بطولة ولا يعرف ليطل إذا رآه ١ والمخاد ينتظر أن يسرى للملك ثيابا فاعرة مرصعة بالنذهب والفضة ، مرصعة بالدر والجوهر ، وحاشية كثيفة من الخنول والأنياب ، وأبوها تصيح وطبولا تفرع ، وأرجل اللحد - رجل القرن الثامن عشر - ينتظر أن يرى للإمام الرئيس قواعد محترمة ، أو ما يسمونه ( مبادئ ) . وينتظر أيضا أسلوبا خطايا نعت الناس بالجوذة والبراعة . يحتاج عن نفسه ويدافع فى أفصح بيان وأنتز لهجة ، فيفوز باستحسان قرن كاذب متصنع كالقرن الثامن عشر ، وجملته القول إن ينتظر ما ينتظره المخاد - أغنى زخارف ظاهرية وأثوابا وقشورا وقوالب ورسوم

ليست من الحق فى شئ . كلاهما يريد أن يخرق والزينة السطحية ليقر بأن صاحبه

ملك وبطل ، فإذا برز لهم الملك في سيماء القشف والخشونة ، وزى الفقراء والصعاليك أنكره وقالوا ليس بملك .

وما كنت قط لأقول صراحة أو تلميحاً أدنى ما يحط من أقدار رجال كالبوت هامبدين وبيم ، أولئك أقر لهم بالنفع وأشهد لأعمالهم بالنفع ، ولقد قرأت كل ما يسر لي مما كتب ، ونبئت وإرادتى أن أستلذ عهودهم وأعجب بأبائهم وسيرهم . أعيدهم عبادة الأبطال . هذه نبئت وإرادتى ولكنها لسوء الحظ لم تتحقق ، نعم لقد كنت أحمد ظواهر أولئك الرجال ولكن نفسى لم تجد تمام الارتياح لبواطنهم ، ولا أنكرتهم كانوا عصبة كراماً أمجاداً يمشون الهوى عليهم برود العزلة وسرايل الجلال ، فإذا طلقوا فما شفت من حكمة ولب ، تجرى الفصاحة بين قلوبهم وأستبهم ، وتجول لفلسفة بين لهواتهم وشغافهم ، ويضحدون بالخطب البرمائية تحدر النيل ، ويتدفقون بها تدفق العيوب ، ويأخذون فى الأغراض التشريعية والاقتراحات الإدارية فيطيلون عنان القول ، ويحاذرون الدلو إلى عقد الكرب (١) . مرسلين الحكمة فى عرض كلام كالجواهر المنثور ، تجول على صدره قلائد البيان ، ويطرده فى أمثاله ماء البديع ، ويتحير فى حواشيه رونق الحسن - فحينئذ هم من رجال أساطين علم وأمة تشريع وأولى عزة بمجد وجلال . ولكن قلبى بعد كل ذلك لا يخف لهم ولا يخش أحشائى ولا تهتر حوائجى ، اللهم إلا خيالى فإنه قد يحاول أن يجد لهم بعض الإحلال . رأى رجل فى وجود تعزوه الأرحية وهزه الطرب ويلتهب قلبه شوقاً لهؤلاء النفر ؟ كلا لقد أصبحت راجعهم وأبائهم غايه فى الجمل والتقل : نعم إن بلاغة أولئك الفحول قد تكون أبهر لأشياء وأروعها ولكنها شئء ثقيل - ثقيل كالرصاص ومجذب كالصخرة للساء . جملة القول إنه لم يبق فيها لقراء العصر غبار لذة ولا ظل مطرب ومستمتع ! فإن أبيت لا امتداحها فقل إنها كانت كأساً رشف الدهر أطيبها وأعذبها فلم يبق إلا صياحة مرة كلدة ! فسلام على أولئك الفحول ، ولندعهم تلوين مضاجع مجدهم وشرفهم ، ولتقبل

(١) قطعة من حبل نفقد بطرف الرشاء نرى حبل البر وتشد بها الدلو مثل فى توفية الناس ، منه وهو من قول لعلس بن عتبة بن أبى لهب :  
من يساحلنى يساحل ساحداً ملاً الدلو إلى عقد الكرب

على الرجل الخشن التوعر الطريد النبوذ أوليفار كرومول فإن فيه وحده ضلالتنا من السادة الإنسانية ، وكنوز الكرم الصراح والبطولة العالية . إن فيه لذلك وإن لم يكن فيه فصاحة وكتابة وبلاغة وخطابة ، وبراعة ومعالجة . وكم من بلغاء مصقولى حوائب اللسان رفاق حواشى الطبع ليس ورانهم كبير فائدة ، وما سرنا من إنسان نفاقة كفيه إذا كان لا يقرب الأعمال إلا لاساققازة .

وبعد فلست أرى فى رضى القرن الثامن عشر عن خطباء الحوارج وزعمائهم إلا شعبة من رسميات ذلك القرن وكفريات ، وكيف وهم (رجال القرن الثامن عشر) يعبرون أن يكون سبب دستورنا وحريتنا هو « الحرافات الدينية » يقصرون بذلك مذهب الحوارج من « حرية العبادة » ، ويقولون : هلا كان لحريتنا مصدر أشرف وأسمى من « الحرافات الدينية » مثل « حرية وضع الضرائب » ؟ ويقولون : إنه كان من الزعم والخرافة والتعصب الأعمى والجهل المطبق بالفلسفة الدستورية أن يجعل آياتنا الأولى غايتهم الوحيدة هى « حرية العبادة » ، وإنما الغاية الوحيدة فى مذهب القرن الثامن عشر هى حرية وضع الضرائب « أسمى امتناع الإنسان عن دفع الدراهم من كيسه حتى يزن له السبب الذى يدفعها من أجله ، فأناس يجعلون هذا أول حقوق الإنسان لا ذلك جملة أغنياء ، وأرى أنه لن تكون الدراهم وحدها قط باعثاً للعاقل على أن يثور ضد حكومته . وما زال الإنسان يرضى بنفع المال لحكومته بشرط أن يبقى له سداد من عوز . وابتى أحد أن الإنكليزى حتى فى هذه الأوقات إذا لم يرض أن يدفع للحكومة ضرائب عديدة من غير أن يبين لها أسباب دفعها ، اضطرت إلى أن يهاجر وطنه إلى غيره من بلاد الله . وكانى بالإنكليزى يقول : « حابى الضرائب ! المال أخذوا مالى . بما أنكم قادرون على أخذهم ويحتاجون إليه خلوه وذهبوا ودعوني وشائى ، أتركوكنى وشغلى فإننى لا أزال فى دارى ووطنى قادراً على تجديده المال بالعمل . قادراً على العيش السهل المرضى بعد كل ما سلبتموه » . بهذا الكلام يجيب الإنكليزى رجال السلطة إذا أتوه يطلبون ماله ، فأما إذا جاءوه يقولون له : « اعتقد هذه الأكاذوبة ، وأحسب أنك تعبد الله وأنت لا تعبدته . ولا تؤمن بما تراه أنت أنه الحق . وإنما بما نراه نحن حقاً أو ندعى أننا نراه حقاً ! » كان جديراً أن يجيبهم

بقوله : « كلا وعين الله . أتم في حل من مال تأخذونه متى شئتم . ولكنى لا أبيع دينى ولا أخسر عقيدتى . أما المال فذلك غنيمة باردة لأى قاطع طريق يتهادى بسلاحه . ولكن نفسى ملكى وملك الله ، ودينى لن تغلبونى عليه ولا تخدعونى عنه ما دام فى حلقى نفس يتردد ، رسألفع عنه بأخر قطرة من دمي .

رقم الإيداع ٧٠٠٧ / ٩٤

I.S.B.N

977-11-0867-0

## الفهرس

- المحاضرة الاولى - البطل في صورة اله ..... 13
- المحاضرة الثانية - البطل في صورة رمول ..... 52
- المحاضرة الثالثة - البطل في صورة شاعر ..... 84
- المحاضرة الرابعة - البطل في صورة قصيد ..... 118
- المحاضرة الخامسة - البطل في صورة كاتب ..... 158
- المحاضرة السادسة - البطل في صورة ملك ..... 199